(٥)

روايات عالمية

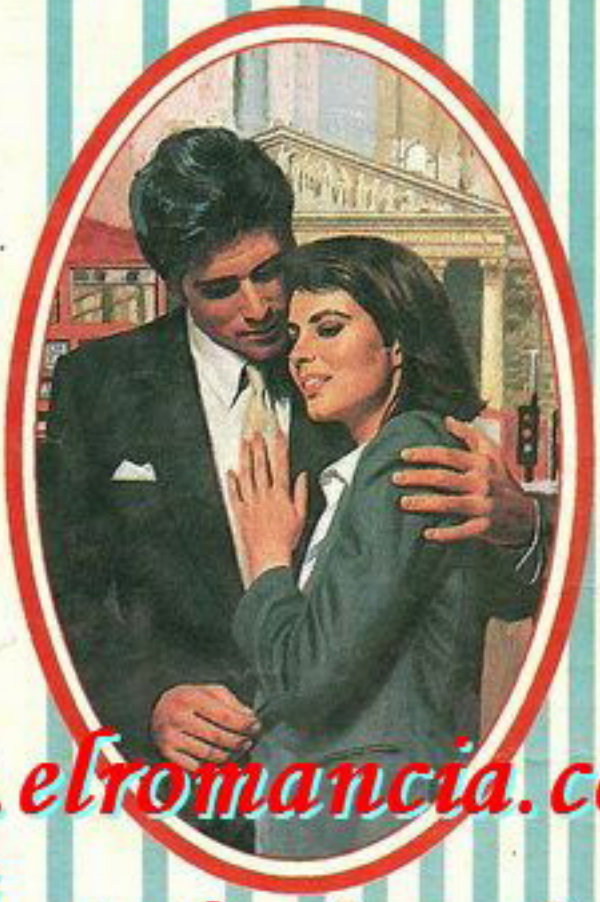

www.elromancia.com

مرمورية

إعداد وتقديم : أنچيل بشارة واصف

بالحب وحده

يا لها من تحيّة مثيرة !

من يا ترى التي تحدثني في هذه السّاعة المبكّرة ؟

هكذا تساءل " برودي " أملا أن يأتيه من خلال الهاتف صوت ناعم مثير . لكنه استقبل سيلا من التوبيخ واللوم القاسي من صوت امرأة غاضبة تطالبه بألا يخلّ بموعده مع أطفالهما . كانت المشكلة أنّ " برودي " لم يكن أبا للأطفال ، وأنّ السيدة الثائرة قد أنهت المكالمة دون أن تدري أنّها لم تخاطب الشخص المعني .

فقد طلبت " نوويل تشاندلر " تلك الأم المطلقة الفاتنة رقما هاتفيا خطأ، فاهتدت من خلاله إلى الرجل المناسب الذي استولى على مشاعرها . فقد جاءها في المكان والزمان، اللذين حددتهما في مكالمتها : راعي بقر وسيم قارع الطول جذّاب الطلعة حوّل أفكارها من البؤس والتعاسة إلى الدفء وإلى بيت يضمهما . فسخّرت الحب لتفوز بقلب مدرّب الخيول ، ذلك الشاب القويّ الذي بدا وكأنه مطارد بفكرة الانتماء إلى أسرة تنشئه .

www.elibrary.com

مقدمة

قصة مثيرة رتبها القدر بحادث عادي هو اتصال بطلة الرواية عن طريق رقم هاتفي خطأ بشخص غريب ما إن التقى بها بدافع منع جريمة محتملة الوقوع حتى تطورت الأحداث في تسلسل منطقي شيق .

تعكس هذه الرواية جانبا من الحياة في ولاية "أوكلاهوما" عاصمة الأفراس الربيعية الشهيرة على مستوى العالم كله ..

وقد تضمنت معلومات مستقاة من مصادرها الأولى عن صناعة الخيل استيلادا وتربية وترويضا وتدريبا وسباقا مايكفي كمقومات بحث متكامل في هذا المجال.

شخصيات الرواية

"نوويل تشاندلر" المطلقة الفاتنة – بطلة القصة

"ستيف تشاندلر" زوجها السابق

"داستي" ، و"داني تشاندلر" ولداها التوءمان المتماثلان .

"برودي سوير" مدرب الخيل بطل هذه القصة

"رايلي سوير" شقيقه الأصغر

"جو سوير" والدهما الذي تنازل عن أبوته لهما

"كاندي" زوجة "رايلي" وطفلاها "تايلر" و"جاميكا"

"دارسي ديورانت" المغنية السمراء المثيرة صديقة "نوويل"

"كورد" .. أخوها

"دوب روبرتس" الزوجان اللذان قاما بتنشئة الأخوين "برودي" و"رايلي سوير"

"روبي روبرتس"

"جلوريا روبرتس" ابنتهما الجُبلّية الشرعية طبيبة الخيل

"روس فوربز" أحد العاملين بمزرعة "فينكس" التي تمتلكها أسرة "روبرتس"

"بيلي سكسكيلر" سايس خيل عجوز يعمل بمزرعة "برودي" و"رايلي سوير"

"واندا سكسكيلر" زوجته التي تعنى بشؤون منزل "برودي"

"بوير سميث" عامل عجوز بمزرعة الأخوين "سوير"

"جيم هانكس" مساعد "برودي" في شؤون السباق بـ"رويدوسو"

"تومي" و"تيري" طفلا أحد العاملين بمزرعة الأخوين "سوير"

"مس ماري جونسون" مدرسة التوءمين بمركز الرعاية النهارية للأطفال

"مسز سترلنج" جليسة الأطفال التي ترافق التوءمين.

www.elromancia.com

"أيها المنحط الحقير"

هكذا جاء صوت امرأة ثائرة .. "كيف تجرؤ على أن تظل نائما هكذا !"

فتح برودي عينيه ولم يزل شبه نائم غير متأهب بعد لتلقي تلك الإهانات . يالها من مفاجأة يستهل بها يوما جديدا .

وواصلت المتكلمة تعليقاتها المثيرة :

– "هل تسمعني ؟" سألت أخيرا

– "من الصعب جدا ألا أسمعك يا سيدتي . نصف ولاية "أوكلاهوما" على الأقل تسمعك . من أنت على أي حال ؟"

– "أنت تعلم من أكون أيها التافه . هل لديك أدنى فكرة عن مدى ضيق ولديك الصغيرين في هذه اللحظة ؟"

ولداى؟

– "والآن انتظري لحظة واحدة ..." بدأ "برودي"

–"لقد انتظرت كثيرا جدا . أريدك أن تنتزع جثتك من فوق فراشك اللعين وتقابلنا في حديقة الحيوان أمام بيت الغوريلات خلال ساعة واحدة . إذا لم تأت فلا تحاول أن تغمض عينيك بعد الآن"

وبذلك التهديد المشؤوم أنهت المتحدثة المجهولة المكالمة .

تنهد "برودي" . حاول الإخلاد إلى النوم ثانية ، إلا أن صوت تلك السيدة ظل يلازمه . لم يكن يعلم من تكون فضلا عن أنه لم يكن أبا لأي أطفال .

الفصل الأول

استيقظ "برودي سوير" من عميق نومه بعد يوم طويل جدا من العمل المضني على رنين الهاتف . فقد استقر ذلك الرنين في مكان ما من ذهنه المشوش حتى اختلط بأحلامه إذ لم يكن قادرا على أن ينهض جسده المنهك ليسكت تلك الضجة .

أخفى رأسه تحت الوسادة أملا ألا يصل الرنين إلى مسمعه . وأمل أن يكف طالب رقمه عن الإزعاج . أو أن يؤجل تلك المكالمة إلى وقت لاحق .. لاحق جدا حتى يكون قد تهيأ لإجابته .

لم يكن الطالب على هذا المستوى من كرم الأخلاق ، فلم ينقطع الرنين . لا مفر إذن .. استجمع "برودي" قواه واندفع ليمسك بالسماعة ويجيب بصوت أجش زاده عدم الرضا والاجهاد خشونة .

– "نعم ؟"

– "أيها المنحط الحقير كيف تجرؤ أن تظل نائما هكذا ؟ أيها الأناني الأحمق أليس عليك حقوق يجب أن تراعيها ؟"

هكذا جاء صوت نسائي مهاجم .

– "ماذا ؟"

فتح "برودي" عينيه ولم يزل شبه مترنح ، لم يكن متأهبا بعد لتلقى مثل هذه الإهانات .. يالها من مفاجأة يستهل بها يوما جديدا سعيدا .. فهل يضمر له باقي النهار ماهو أسوأ ؟ لم يكن من ذلك النوع المغضب للنساء .فأخذ يكد ذهنه المتعب عساه أن يتعرف على شخصية تلك المتكلمة .

وجاءت تعليماتها اللفظية المثيرة على نحو موصول حتى بدأت أذنا "برودي" تؤلمانه من هول ما سمع ومن كثرته .

– "هل تسمعني ؟" سألت أخيرا ...

www.elromancia.com

– "من الصعب جدا ألا أفعل يا سيدتي . نصف ولاية "أوكلاهوما" على الأقل تسمعك . على أي حال من أنت ؟ "

– "أنت تعلم جيدا من أكون أيها التافه عديم القيمة . كيف تجرؤ أن تخل بوعدك مرة أخرى ؟ "

كانت هذه اللمحة هي الخيط الأول الذي أنبأه بأن تلك السيدة كانت تعوي في غير الغابة المعنية .

كان "برودي" منذ بدء حياته قد انتهج سياسة مؤداها ألا يقطع عهودا ، وبالتالي كان أقل نقضا للعهود . في معاملاته المتعلقة بالعمل فقط ،كان يعد ويحترم ويفي .. ولكنه لم يعرض نفسه لأي من تلك الوعود الخاوية التي كان يمقتها . فقد أنزلت بطفولته وطفولة أخيه الأصغر "رايلي" أذى باقيا .

– "فعلتها مرة أخرى أيها الوضيع ؟ "قالت بصوت محكم التوجيه "هل لديك أدنى فكرة عن مدى ضيق ولديك الصغيرين في هذه اللحظة؟ هل لديك ؟ أولاد !

– والآن انتظري لحظة واحدة – بدأ "برودي" ، فقد اتضح له أنها قد أخفقت في أن تتصل بـ"الفلان" الصحيح . ومع ذلك لم تتح له الفرصة لأن يخبرها ..

– "انتظر ! مقلب جميل جدا" أطلقت ضحكة ساخرة عرف منها "برودي" أنها لم تكن حتى تبتسم . " أنا والأولاد لم يسعنا إلا الانتظار . وانتظار من ! "

– "حسنا . إني ... "

– "لاتكلف نفسك عناء الإجابة . بل لا تتكلم على الإطلاق .

اصغ مرة واحدة خلال حياتك التافهة المخيبة للآمال . ألا تنفق على أطفالك ؟ أمر رديء بما يكفي . فأي شخص له ذرة من احترام الذات، أو لمحة من التهذيب يفعل ذلك . إلا أن الموجب للتوبيخ حالا هو أنك من الأنانية والبلادة بحيث لا تبذل أية محاولة لتراهما على نحو منظم . فهل هذا المطلب بعيد المنال ؟ "

– "سيدتي ! "

– "قلت لا تتكلم أبدا "

ابتسم "برودي" وصمت . فقد كانت في نوبة تدفق كلامي إيقاعي متصل . كان بإمكانه أن يضع حدا لهذا الفيض من التقريع بأن ينهي المكالمة ولكن شيئا ما جعله لا يفعل . و رغم جهده في سبيل ألا يتأثر بذلك الحديث ، إلا أنه قد أسر بالأدب الجم الذي أفصحت عنه تلك الغاضبة .

– "هل أنت مصغ إليّ ؟ "

– "نعم يا سيدتي . أنا .. "

– "قلت لا تتكلم . كل ما أريده أن تنتزع الآن جثتك من فراشك اللعين وتديرها صوب حديقة الحيوان كما وعدت "داستي" و"داني" . سنكون في انتظارك أمام بيت الغوريلات خلال ساعة واحدة . وإذا لم توجد هناك ، فلا تحاول إذن النوم ثانية لأنني لن أكون مسؤولة عما قد يحدث لك . "

وبذلك التهديد المشؤوم أنهت المتحدثة غير المعروفة المكالمة بعد أن استقبلت أذنا "برودي" كل ما انطوت عليه من ثورة غضب .

أعاد سماعة الهاتف إلى موضعها واسترخى على فراشه مرة أخرى متمتما

– " امرأة مجنونة "

وبنظرة سريعة إلى الأرقام المضيئة للساعة المجاورة لفراشه تبين "برودي" أنها كانت العاشرة والنصف . لقد نام ما يقل عن ساعتين عما يحتاج إليه . فقد أمضى الليل كله يرافق فرسا مصابا بالمغص سيرا على قدميه . ولم يأو إلى فراشه إلا بعد شروق الشمس بوقت طويل بعدما اطمأن إلى أن ذلك الحيوان الثمين قد تجاوز مرحلة الخطر وعهد إلى أحد معاونيه بالعناية به .

توهجت أشعة شمس "أوكلاهوما" المشرقة بالخارج . فقد كان الجو شديد الحرارة رغم أن ذلك كان اليوم الأول من شهر مايو . لم يكن "برودي" مهيأ من الناحية المعنوية لأن يتذوق أو يقدر هبات الطبيعة ، فاتجهت نيته إلى العودة إلى النوم ونسيان ذلك الحادث كلية . فقد كان أسوأ حالات المكالمات الهاتفية الخاطئة التي سمع عنها .

وعبثا حاول .. فقد لازمه ذلك الصوت المرتعد .. صوت تلك السيدة شديدة الغضب . قد تصورها من الأشخاص الذين يمكن إثارة غضبهم ، أو دفعهم إلى

www.al-maktabeh.com

مثل هذه الثورة ، مهما استوفيت مبررات الغضب . وعلى الرغم من إبداعها في انتقاء ألفاظ القدح والقذف ، إلا أنه تصورها غير مرتاحة عما جاد به فوها . لم يكن "برودي" معتادا على استعراض مثل هذه الانفعالات القاسية ، ولكنه أحس بدموع تكاد تتفجر .

وقد يتساءل هل انخرطت في بكاء مر بمجرد أن انتهت المكالمة ، وليس معها من مواس سوى هذين الطفلين اللذين كانا يقفان قبالة النافذة في انتظار ذلك الوالد المستهتر الذي لم يحضر أبدا ؟ .

بدأ يتخيل وجه تلك السيدة . وفجأة أخذ يضغط بشدة على وسادته .. منذ متى كان له كل هذا الخيال ؟ أو كان يهتم بدموع امرأة ؟ أو يقلقه ضيق طفلين لا يعرفهما ؟

قد لا يكون من حسن المعاملة أو من العدل ، أن يتركهما ينتظران . لكنه تذكر أنه عندما كان طفلا كان هناك حشد كبير من الإخصائيين الاجتماعيين يفاخر بما تكشف له من أن الحياة لم تكن عادلة دائما . وأن خيبة الأمل لم تكن مهلكة .. لقد كان هو وأخوه الأصغر "رايلي" دليلا حيا على ذلك .

كذلك – وعلى حد خبرته أيضا – ربما تكون تلك السيدة قد استنزفت زوجها عند الطلاق منه ، بالضبط كما فعلت زوجة أخيه السابقة . التي امتصت كل ماله في جشع شديد.

لقد كان أخوه في تلك اللحظة لا يزيد على كونه كتلة مهملة يغط في نوم عميق بعد ليلة طويلة من المرح الصاخب . لم يكن قد اعتاد مثل هذه الحياة الخاوية حتى جردته "كاندي" من كل ما كان يمتلك ، فضاع منه كل شيء بدءاً من أصوله السائلة ، وانتهاء باحترام ذاته .

لقد استجاب "رايلي" بكرم واسع لجميع مطالب زوجته حتى أن "برودي" قد اضطر إلى المساهمة بنصيب مكافئ في تلك الخسارة . رهن "سيمارون" كي يستطيع الوفاء . فعلا ذلك من أجل طفليها إلا أن "كاندي" كانت تضن عليه برؤية هذين الطفلين التي كانت قد رزقت بهما من زواج سابق لها . وكانت تسبب له المشاكل في كل مرة يحاول رؤيتهما بغية تحطيمه تماما . فلم تكن

ترضى إلا أن تتركه حطاما .

لكن شيئا من ذلك لن يحدث . لن يتخلى "برودي" عن أخيه . لقد أقسم أن ينتشل أخاه من أساليب تحطيم الذات التي كان ينتهجها ، ولو كلفه ذلك العمر كله ، ومهما صعبت هذه المهمة أو قوبلت بالمقاومة من الطرف المستفيد .

أغمض "برودي" عينيه ليرى بذهنه هذين الولدين " داستي" و"داني" كما ذكرت اسميهما . وبديا له مثل هذين الطفلين المزعجين الرثين غير المرغوب فيهما ، اللذين كانا يوما ما ؛ هو وأخوه "رايلي" .

نعم كان يعرف مشاعر الأطفال الذين يتخلى عنهم والدهم . وينكث بعهده لزوجته. عليه اللعنة ذلك الوالد . هذه هي متاعب الوعود .. تقطع بسرعة خارقة، وتخلف بسهولة فائقة .

أخذ "برودي" يتقلب في فراشه في غير ارتياح . جذب الوسادة على رأسه. كانت الحجرة معتمة تماما وهادئة إلا من طنين مروحة السقف الخافت . فقد زود كلا من حجرات المنزل بإحداها ليطرد هواء المنشأة إلى الخارج . لقد تعلم من كثرة أسفاره حول الولاية بخصوص السباق بالأفراس التي كان يدربها للغير أن هواء الزفير أحط مساوئ الإقامة بالموتيلات .

أيقن "برودي" أنه لن يستطيع الاستسلام للنوم ثانية وإن لم يكن يفطن إلى سبب ذلك . أكد لنفسه أن مشكلة تلك المرأة التي يجهل شكلها كما يجهل اسمها .. ليست من شأنه ويجب ألا تشغل باله .لماذا إذا لم يستطع أن يعتبر مكالمتها الهاتفية كأن لم تكن ؟

ظل في فراشه المشعث دقائق أخرى . ثم نهض دون أن يدري ما هو مقدم عليه ، وارتدى "جينز" أزرق باليا وقميصا غربيا من اللون الأزرق الفاتح . وبينما جلس ليثبت سير حذائه المرتفع ، أخذ يلعن نزعة الإنسانية التي أبت أن تترك تلك الأم وطفليها يظنون أن الوالد قد أمعن في الإهمال ، وأملت عليه الذهاب إلى ذلك الموعد بدلا عنه ليشرح اللبس الذي حدث .

كان ذلك مضيعة لوقته ، لكن أكثر الأعمال صلاحا كانت كذلك لاشك . لكن لا بأس . فقد يمكن أن يمنع حدوث عاهة مستديمة لا داعي لها . على الأقل لا

يستحق أي إنسان حتى ذلك الزوج المنحط الحقير المقصر في حق أولاده أن يلقى حتفه وهو نائم .

زيارة حديقة الحيوان كانت آخر ما يخطر ببال "برودي" أن يفعله . لكنه مع ذلك ذهب يبحث عن كبير معاونيه ليخبره بأنه سوف يتغيب عن الموقع قليلا . سار عبر الساحة الجميلة ونادى محييا "بوبر سميث" راعي البقر المسن الذي أبى أن يعتزل ورضي أن يعنى بأحواض الأزهار . وقد احتفظ "برودي" باسمه ضمن قائمة المرتبات لأنه كان صديقا قديما له .

دخل "برودي" الحظيرة الرئيسية التي تشتمل على بناء فخم طالما أعجب به. كانت متسعة انسيابية ورطبة رغم حرارة الجو .كانت مشيدة على نمط حديث للغاية ، وكل ما فيها ينطق بلمسة ذوق فني . وقد اشتهرت إسطبلات "سيمارون" بأنها إحدى أفضل أماكن تدريب الافراس الربيعية في المنطقة وكان "برودي" يسعى جاهدا لأن يجعلها الأفضل بدون منازع .

لقد بذل من الجهد الكثير حتى يبلغ ذلك المبلغ بمساندة ومعاونة "دوب روبرتس" أبيه بالتنشئة . وكل ما أحرزه "برودي" من نجاح مدين له به . فقد تولى "دوب" وزوجته "روبي" مسؤولية العناية بولدي "سوير" البائسين بعدما تخلى عنهما نظام الرعاية الأسرية . لم يعطهما أبواهما الحقيقيان إلا الشح ، علاوة على بدء حياة ضعيفة بائسة . لكن "دوب" و"روبي روبرتس" أعطياهما الحب والاستقرار واحترام الذات قبل كل شيء .

كان يكدح ويشقي ليحوز رضا "دوب" . لم يكن يعلم شيئا عن الخيول عندما جاء إلى "فونيكس فارمز" ليعيش مع "دوب" و"روبي" .لكنه سرعان ما تعلم عنهما الكثير . في العاشرة من عمره أصبح صبيا مدربا لمعاون الإسطبل ، وفي سن العشرين كان قد أصبح مدربا بارعا . والآن يمتلك "سيمارون" حيث يقيم ويسهر على تدريب جياد الأثرياء .

كان يبذل الجهد والعرق ويجني الثمار وفيرة إذ كانت الغالبية العظمى من الجياد التي يدربها تفوز في السباق الذي تشترك فيه . ولم يكن غريبا أن تكون خدماته في هذا المجال محل طلب دائم ، وأن يقربه كل يوم يعيشه من تحقيق

حلمه المنشود .

ولم يسلم "برودي" بنجاحه جدلا ؛ فقد استثمر الجزء الأكبر من عائد خدماته في العمل على تنمية منشآته . لم يكن من ذلك النوع الذي تستهدفه زخارف الحياة المترفة ، فعاش حياة معتدلة معظم الأحيان . وباستثناء الركوب بالدرجة الأولى بالطائرات في تنقلاته لأداء عمله لم ينل من أسباب الترف إلا النادر اليسير .

كان معروفا بطيبة قلبه وإنسانيته ، حتى أن الكثيرين من رعاة البقر كانوا يتوقون إلى الالتحاق بخدمته . وكان رجاله مخلصين جديرين بالثقة ، يعملون على تصريف كافة الأمور بالكفاءة الممكنة أثناء غيابه .

وقد عهد إليه أصحاب الخيول – وهم من الأطباء والمحامين والرياضيين وغيرهم ممن كانت دخولهم تفوق احتياجاتهم – بحماية استثماراتهم هذه . احترموه لأنه كان يحترم حيواناتهم الثمينة تلك . وقد ساعده على النجاح في عمله مقدرته الفطرية على اكتشاف إمكانات الفرس والنهوض بها الى أقصى حد ، وهي مهارة نادرة عادت على إسطبلات "سيمارون" وعلى المتعاملين معها بالربح الوفير.

وجد "برودي" معاونه "بيلي سكسكيلر" في مربط الفرس المريض.

– "كيف حاله ؟ في الواقع عليّ أن أتغيب عن هنا فترة من الزمن ، لكنني سأبقى إن كنت تحتاج إلي" .

– "لا يا رئيس . امض في طريقك . سيكون على خير ما يرام"

كان ذلك السايس الهندي قد نسي من أمور الخيول أكثر مما تمنى "برودي" أن يتعلم .

– "سأثق في كلمتك . فلو قلت لي : إنه سيطير .. لابد وأن تجدني أبحث له عن أجنحة"

ووضع "برودي" مسدسه في جيب سترته المصنوعة من الدنيم تحسبا للظروف .

– "ماذا تنتظر يا رئيس ؟"

- " ربما مبررا لئلا أمضي ." قالها متحسسا بطن الفرس بيده المدربة.
- "أين أنت ذاهب ؟ "
- "إلى حديقة الحيوان"
- "حديقة الحيوان ؟ "
- "نعم . حديقة الحيوان . هل لديك مانع من ذلك ؟ "
- " بالتأكيد لا . فأنت الرئيس"
- " والآن أخبرني . لماذا أراك تسايرني هكذا ؟ "

خرج من الباب وسمع "بيلي" من خلفه يضحك في خفوت . ماذا ياترى يكون مضحكا ؟ مجرد فكرة أن يكون له رئيس أم أنه قد فهم بأن "برودي" ذاهب للتسكع في حديقة الحيوان في محاولة فاشلة بالتأكيد .

الفصل الثاني

تمشيا مع التقاليد التي تتمتع بقدسية القدم في ولاية "أوكلاهوما" كان يجب ألا تترك نوويل تشاندلر طليقة هكذا . فلم تهبط درجة حقدها على زوجها السابق كما بدا في حديثها الهاتفي على الإطلاق خلال الدقائق العشرين التي قطعتها بالسيارة ما بين منزلها المجاور لـ"پن سكوير" وحديقة حيوانات مدينة "أوكلاهوما" .

ولحسن الحظ أن انشغل توماها نوا السنوات الأربع نهائيا بمراقبة حركات الفوريلا المسلية وإلا لكانا قد تأثرا بسوء مزاجها الذي قلما بدا للعيان .

- هذه هي القشة المطفحة للكأس " تمتمت من خلال أسنان مطبقة بينما أخذت تذرع المكان جيئة وذهابا . وأكثرت من مراجعة ساعة يدها فكانت تعلم الوقت بالتحديد . عشر دقائق أخرى كل ما سوف تمهله . إذا لم يحضر "ستيف" فستتناسى أنه والد الطفلين وسوف تطلب من محاميتها "إيف فرانكلين" التصرف بشأنه . كانت "إيف" قد أحيطت علما بظروف الموضوع ، وتأهبت لمقاضاة "ستيف" لامتناعه عن الإنفاق على طفليه لمدة ثمانية عشر شهرا كاملة ، علما بأن الطلاق لم يتم إلا منذ عامين فقط . لم يكن "ستيف" على مستوى المسؤولية .

كانت اللائحة التنفيذية للقوانين الجديدة التي تتعلق بنفقه الأبناء ، تحتل المكان الأول في جدول أعمال السلطة التشريعية للدولة ، فقد اقتنع كل من المحامين والقضاة بثقل العبء الذي يقع على عاتق الأسر ، وعلى الاقتصاد القومي على حد سواء بسبب تهرب بعض الآباء القادرين ماديا من إعالة أبنائهم .

وكانت "إيف" قد أكدت لـ"نوويل" أن زوجها السابق قد يتعرض للسجن لعدم تنفيذ حكم المحكمة بدفع النفقة المحكوم بها للطفلين .

ولم تكن "نوويل" من ذلك النوع المحب للانتقام . ألم تمنح "ستيف" قبل ذلك

www.liilas-romancia.com

عددا من الفرص الثانية ، تعجز الآن عن معرفته لكنه على الاقل مسؤول عن الإنفاق على طفليه . وان لم يف بهذا الدين أو على الأقل بالوعود التي يعدها بها فسوف تعمل على سجنه فعدة أسابيع وراء القضبان لابد وأن تقوم مسلكه وتشعره بالندم على أنه لم يدرج أمر طفليه ضمن جدول أعماله المثقل .

– انظري هذا الصغير يا أمي " قال "داستي" صارخا وهو يجثو على ركبتيه ليرى الغوريلات من خلف الحاجز في حظيرتها المنخفضة المسيجة الفسيحة المكسوة بالحشائش الخضراء .

– وانظري هذا الكبير يا أمي قال "داني" الذي لم يترك لأخيه الكلمة الأخيرة "هل هذا أبوه ؟"

– "أعتقد ذلك يا حبيبي"

فقد ظهر في ذلك المنخفض الفسيح ظهر غوريلا ذكر ضخم وقد احتضن في ذراعيه القويتين صغيرا كان يهزه برفق بينما جلست أنثاه على مقربة منه في حالة يقظة تامة تلتهم برتقالة ، في الوقت الذي كان هناك صغيران أخران من تلك الأسرة يلهوان على أرجوحة مطاطية .. صورة متكاملة حقيقية لسعادة الحياة الأسرية للغوريلا التي تفوق ما يتحقق أحيانا لبعض الأسر البشرية .

نظرت "نوويل" إلى أسفل إلى رأسي طفليها المتشابهين تماما وهدأت نوبة غضبها بعض الشيء . يالهما من طفلين بائسين . من غير العدل أن يكون أبوهما على هذا المستوى من الوضاعة . كان "داستي" و"داني" بحاجة إلى والد أهل للمسؤولية يكون مثلا أعلى لهما ، يحترمانه ويحبانه ويقتديان به . على عكس "ستيف تشاندلر" الذي كان دون مستوى المسؤولية .. متخلفا عاطفيا ومفتقرا إلى الغرائز الأبوية المتوفرة لدى الغوريلات . اقترب "برودي" من منصة مشاهدة الغوريللا بحرص شديد . لقد كان لديه من الوقت ما يكفي ليرتب ما سيقوله لتلك المرأة صاحبة المكالمة الهاتفية ، إلا أنه لم يقرر شيئا معقولا يقوله لها ، فليس أمامه إلا أن يواجه الأمر على وجه السرعة أو أن يعود أدراجه .

رأها شقراء صغيرة تصطحب توءمين متماثلين تنظر إلى ساعتها وهي تتفحص جمهور صباح الأحد ، ولما لم تجد ضالتها لاحت في عينيها الزرقاوين

الزاهيتين نظرة يأس قاتلة .

لاشك أن "برودي" لم يرج أبدا أن يضع نفسه موضع زوجها السابق . ربما يجب أن ينسى الأمر برمته ويعود ويتركها تكتشف ذلك الخطأ بنفسها .

تراجع بضع خطوات بالفعل ثم عاد ليلقي نظرة أخرى . وجدها تتحدث إلى الطفلين وكأنها تحاول أن تصرف اهتمامهما عن التفكير في أن أباهما لم يأبه بالمجيء .

وبقدر ما كانت رغبة "برودي" في الانصراف شديدة بقدر ما منعه عنه شيء لم يدركه . قد يكون ذلك راجعا إلى فتنة قسماتها ، أو إلى الجرح الذي نطقت عيناها بأنه . لقد جرحت بغير ذنب .. هكذا شعر .

أحب فيها تلك المشية الرشيقة التي تحرك فيها قوامها الصغير الممشوق ، رغم قلقها وأساها . لم تبد له وكأنها من ذلك النوع من النساء الذي يعتصر الرجال ويتركهم حطاما . رآها ناعمة وحلوة ووديعة . ضحكت على تعليق نطق به أحد طفليها فتغيرت تعبيرات وجهها فأضاء بجمال نابع من أعماقها .

نظرت مرة أخرى حولها في قلق شديد فأحس "برودي" برغبة ملحة في أن ينحس ذلك الرجل الذي سبب كل ذلك الحزن الذي تنطق به عيناها .

انجذب إلى تلك المرأة على عكس المنطق السليم . نشطت غرائزه الدفاعية الكامنة كي تحارب رغبته ، ولكن دون أن يدري ما كان مقدما عليه اندفع نحوها رافعا قبعته على النحو الذى لقنته "روبي" أن يفعله عند لقاء السيدات .

– "صباح الخير يا سيدتي . أنا "برودي سوير" . أعتقد أننا تحادثنا منذ وقت قصير ." قال مطلقا إحدى بسماته العريضة ،التي طالما جردت محدثيه من أسلحتهم ، ومد نحوها يدا قوية ليصافحها .

فزعت "نوويل" عندما خاطبها راعى البقر الطويل القامة وضمت طفليها إليها باندفاعة غريزية . لم تجب فورا لأن حديقة الحيوان كانت آخر مكان تتوقع أن تكتشف فيه مصادفة . ثم قالت بحذر :

– "ليس بسبب ردامة الخط .. قد يكون هناك تغيير في النظام الأول . ألم نلتق في مكان ما قبل ذلك ؟"

أجفل "برودي" ، فقد كان يريد ألا يتضح صدقه من خلال نبراته .

– " في الواقع لا . لكنك اتصلت بي هاتفيا هذا الصباح في حوالى العاشرة والنصف . " غمز بعينيه وابتسم في عبث . "هل تتصلين بالناس صباحا كي تلعنيهم ؟"

بدت السيدة مضطربة . نظر اليها "برودي" عن قرب ، فوجدها أكثر جاذبية وسحرا . فقد شكل التقاء شفتيها الممتلئتين ابتسامة رقيقة وإن كانت حذرة . نظر إلى عينيها الزرقاوين الساحرتين وأحس فجأة وكأن فرسا قد ركله .

– " لم تديرى الرقم الصحيح للهاتف " قال مفسرا في رقة " وبذلك كنت أنا من طلبت لقاءه عند بيت الغوريلا" .

وكان أن تذكرت "نوويل" الطوفان العارم لتلك المحادثة ذات الطرف الواحد وتأوهت .

– " أوه ... لا ! "

– " أوه ... نعم ! " قال "برودي" مبتسما ليؤكد لها أنه غير غاضب مما سمع . "ولم أكن أنا من أردت مقابلته هنا أليس كذلك ؟ اعتقد أن دعوتك كانت موجهة إلى شخص تافه منحط حقير أناني أحمق ... "

– "زوجي السابق " قالت "نوويل" وقد بدأت تشعر بحرارة تجتاح وجهها . لفت جلدها الأشقر الذي كان يتحول إلي مثل حمرة الأيدى المتقرحة بفعل الرطوبة أو البرد في كل مرة تتعرض فيها لحرج أو خجل .

– " هذا ما اعتقدته ولكنك ضننت علي بفرصة نطق كلمة واحدة قبل أن تنهي المكالمة . وهذا ما جعلني آتي إلى هنا كي ... " ولم يستطع أن يقدم عذرا واحدا يبرر مجيئه .

– " كي تشرح لي الخطأ الذي حدث ؟ " أكملت حديثه بابتسامة فاترة .

– "نعم" . نعم ؟ لقد قالها بأسلوب لاجئي أفلام "جارى كوبر" القديمة . أين ذهبت كل الكلمات المهذبة التي عرفتها .. "نظيف" و"مثقف" و"مهذب" ؟

وابتسمت "نوويل" قائلة "نعم" بطريقة نطقه لتلك الكلمة .. إنه راعى بقر .. لا بأس .

– "أشكرك على تحملك تلك المشقة يا مستر ..."

– "برودي"

– " يا مستر برودي"

– "أنا لست "مستر برودي" قال موضحا " اسمي "برودي سوير" ويمكنك أن تناديني "برودي" "

تجاهلت محاولته إغفال الكلفة ثم استطردت .

– " صدق أو لا تصدق يا "مستر سوير" هذا أول خطأ من نوعه أقع فيه " .

– "أعتقد ألا أحدَ معصوم من الأخطاء "

نظر إليها ثانية وعاوده الشعور بركلة الفرس . ورأى أنه من غير المناسب أن يشير في هذه المرحلة العصيبة من لقائهما إلى ذلك الخطأ الجسيم الذي جعلها تتزوج منه.

لم تشعر "نوويل" بالارتياح إزاء نظرات التقييم التي كان يحيطها بها ، وتمنت لو أنها ارتدت "جينز" فضفاضا وقميصا أكثر اتساعا . فقد بدا لها إعجابه الكبير بما عاين .

– " أعتقد أني مدينة لك بالاعتذار عن مغادرتك فراشك على الرغم منك" ثم اكتشفت أن ذلك لا يكفي إزاء إمطارها إياه بجميع اللعنات والشتائم التي قرأتها في كتب أو سمعتها في أفلام سينمائية على مدى سني حياتها . فقالت "أنا في غاية الأسف " .

لكن "برودي" تراجع قليلا . اعتقد أنه هو المدين بالاعتذار لها عن الأفكار السيئة التي كانت تراوده .

– " كان ذلك ممكن الحدوث لأي شخص . فقد كنت مضطربة عندما أدرت القرص " .

– " في الواقع أنني كنت عندئذ قد تجاوزت مرحلة الاضطراب إلى مرحلة ارتكاب الجرائم .

اتجه ذهنه إلى التفكير في مبررات نومه حتى تلك الساعة المتأخرة من الصباح . هل كان يحاول التخلص من آثار مرح صاخب عاشه أمسية السبت ؟

www.elromancia.com

إذا كان الأمر كذلك فقد أفاق إذن في حالة جيدة . مدت له يدها مصافحة وقد عرفته باسمها .

– " نوويل " ؟ مولودة عيد الميلاد .. هيه ؟ "

ملحوظة ذكية أخرى يا "سوير" هكذا كان يفكر . أنّب نفسه عندما ترك يدها . ثم تساءل لماذا لا يزال هناك . لقد أدى الواجب الذي شعر بضرورة أدائه. فضلا عن ذلك يجب أن يعود ليرعى فرسه المريض . كذلك شقيقه قد يكون في حالة أسوأ في تلك اللحظة . فما الذى يبقيه ؟ .

– "الخامس والعشرون من ديسمبر"

كانت يدها دافئة بفعل مصافحتها لهذا الغريب .

أحس "برودي" بلمسة لبنطلونه الـ"جينز" فنظر إلى أسفل ليرى وجه أحد الطفلين ملتفتا الى أعلى . كان ذلك الوجه مستديرا يحفه إطار من الشعر الأشقر الفضي في قصة مستديرة . وكانت عينا الطفل الزرقاوان تفيضان فضولا .

– " هلا حملتنى حتى أرى الغوريلات أوضح ؟ "

– " وأنا ايضا . وأنا ايضا " صاح شقيقه المطابق له شكلا . جثا "برودي" على إحدى ركبتيه ، وظل الطفلان يحملقان فيه .

– " الأشياء الأكثر أهمية تأتي أولا . كيف يمكننى أيها الرفاق أن أميز بينكما؟"

أجاب الطفل الذي تحدث أولا قائلا :

– " أنا "داستي" وهو "داني" . " كما لو كان قد كشف غموض الموضوع ثم استطرد " إننا لا نرتدي ملابسا متماثلة . كل ما هنالك أن تتذكر أنني أرتدي قميصا أزرق بينما قميصه هو أحمر "

– " هذا سهل جدا لكن لو فرض أن رأيتكما المرة التالية ويكون هو المرتدي القميص الأزرق ، وأنت قد ارتديت القميص الأحمر ؟ "

هز الطفلان كتفيهما مقهقهين فأوضحت "نوويل" :

– " إنهما توءمان متطابقان ، ولكن بمجرد التعرف عليهما يسهل التمييز بينهما"

وقف رافعا الطفلين إلى أعلى بعد أن أجلس كل منهما على أحد منكبيه العريضين .

– " قد يكون ذلك سهلا عليك يا سيدتي "

– " هلا أسديت لي معروفا يا "مستر سوير" ؟ " سألت مبتسمة

– " لو أمكنني "

– " كف عن مخاطبتي بلقب "سيدتي" "

– " اذا وافقت أنت على شرطي بألا تناديني "مستر سوير" "

راقبته "نوويل" وهو يولي الطفلين اهتمامه مرة أخرى وقد راحا يثرثران عن الغوريلات . فقد كان هذا القطاع هو المحبب إليهما بحديقة الحيوان . وغالبا ما قضيا معظم الوقت يراقبان تلك الحيوانات ويضحكان . بينما كان "سوير" مشغولا بأمور أخرى تسللت نظرات "نوويل" إليه عن قرب تتفحصه .

كان قميصه الغربي يمتد عبر منكبين عريضين من القوة ، بحيث يستطيعان أن يحملا ثقلا يزن ٧٥٠ر٣٣ (ثلاثة وثلاثين كيلو ، ٧٥٠ جراما) من الأطفال كثيري الحركة بدون مجهود يذكر . كانت نظراته من ذلك النوع الخلوي المخلص الذي خشنه العمل . وحذاؤه البالي لم يكن بالتأكيد مخصصا لحفلات الرقص واللهو . وقد ارتدي – مسايرة لخطوط أزياء رعاة البقر الحديثة "ابزيم" حزام ضخم ، وقبعته منخفضة على وجهه . فلم يكن ذلك الرجل مجرد مرتد لملابس رعاة البقر ، بل كان يحيا تلك الحياة .

انزلق الطفلان إلى الأرض عندما ثنى "برودي" ركبتيه بعمق . وهنا لم يسع "نوويل" إلا أن تلاحظ عضلات فخذيه القوية – ضمن أشياء أخرى – تتقلص بإحكام وراء نسيج بنطلونه الـ"جينز" الذي أبلاه العمل وذلك دليل على اكتمال ذكورته .

وفي الواقع أن صناعة الـ"جينز" الأزرق برمتها قد فاتها شيء مهم بالتأكيد . فلو أن "برودي سوير" قد احتل إعلاناتها لقفزت مبيعاتها لتتخطى عدة تريليونات من القطع . وكذلك النساء اللائي يعشن وحيدات لعدم إمكانهن

www.elromancia.com

التوصل إلى فارس في ردائه التقليدى البراق سوف يشعرن بسعادة كاملة في العيش مع أحد هؤلاء الفرسان في ذلك الـ"جينز" الضيق .

ورغم كماله البدني ، بدا أنه كان يشعر بحسن ملامح وجهها ، وإن كان غير مدرك لما لتأثير رجولته الصارخة على النساء .

أمر غريب . أي رجل في مثل حسنه لابد وأن يعلم ....

وعندما تطلعت اليه بإحدى نظراتها رماها بنظرة جانبية ، وتألقت على شفتيه ابتسامة عرفتها بأنه يشعر بأنها تجرى عليه فحصا سريعا . ثم تساءل أحد الحاجبين الذى رفعه وأطلق معه غمزة خفية عما إذا كان ما رأته قد أعجبها .

وشعرت بشيء يرتعد بداخلها ظنته خجلا من أنها قد ضبطت متلبسة . ولكن عندما مسحت نظراته وجهها ثم عنقها ولتستقر على صدرها المتلئ علمت "نوويل" أن ذلك الشعور الذي انتابها لم يكن خجلا .

ورغم هذا اللقاء الذى رتبته الصدفة بل القدر بينهما شعر "برودي" بإعجاب "نوويل" به ، أما هو فرآها جميلة جذابة ، وشعرها الأشقر المبهر يكاد يدعو يدي أي رجل لتعبثا به كما كانت بشرتها البيضاء الناعمة تدعوهما للمسها .

وعيناها الزرقاوان المليئتان بالأسى تحيطهما رموش طويلة كثيفة وشفتان ممتلئتان مغريتان .. كلها ملامح قلما تتوفر لوجه رقيق دقيق .

لم ير فيها تلك النظرة القوية الشرسة التي تمكنها من أن تقهر رجلا إذا صارعته ، بل كان كيانها يوحي وكأنه خلق من أجل أن يحب فقط .. ناعم ورقيق.

تسارعت أنفاسها لما شعرت بنظرته الفاحصة ، فارتفع نهداها ثم هبط بقدر خفيف يكاد المرء يجن له . استسلم "برودي" لحسنها فاتخذ خطوة نحوها قابضا بعينيه على نظرتها وهو يفحص عينيها فذبلت الابتسامة على شفتيه .

اختلطت أنفاسهما وانفرجت شفتاها في دهشة وهي ترى لون عينيه البندقي .

شعرت برغبة في أن يقترب منها خطوة أخرى مهما كان دافعه إلى ذلك . ولما لم يفعل شعرت بخيبة أمل ممزوجة بالارتياح .

- "ماما ! أكاد أموت عطشا " قال "داستي" شاكيا

- " وأنا ايضا " أكد "داني"

تراجع "برودي" إلى الخلف في ارتباك . ترى ما الذى كان سيحدث لو لم يقاطع الطفل أفكاره التي كانت قد ذهبت إلى حد بعيد . كان من المحتمل أن يتلقى صفعة على وجهه لو أتيحت له الفرصة لينال شيئا مما دار بخلده . تبين أنه لاشك مدين لهذا الطفل بمشروب على الأقل نظير إنقاذه من حرج أكيد .

أمسك يدي الطفلين وتوجه إلى أقرب مقصف .

- "هيا .. ماما " ناداها بنظرة جانبية " لنقدم لرفيقي مشروبا غازيا " .

وتلا المشروب غداء . وبعد أن تناولوا غداءهم المكون من الفطائر والشواء والمشروبات الغازية انطلق التوءمان يثرثران وأكدا المثل القائل : إذا أردت أن تعرف شيئا ما فاسأل طفل الرابعة .

- " وجارنا "مستر روبرت" قال : إنه سوف يعطينا خمسة دولارات إذا أقنعنا ماما بأن تعطيه موعدا . " قال "داني" . أما "داستي" ففعل حركة بوجهه وقال :- " يوه ! لقد كانت لنا مواعيد في وقت من الأوقات ولكنها لم تعجبنا . ولكننا قلنا لأمي ما قاله "روبرت" فقالت : إنها تفضل المرض على ذلك العجوز ."

- "داستين ! " صرخت "نوويل" رغم أنها كانت تعلم أنه سيأتي اليوم الذي تندم على وضوح نطق الطفلين .

- " أعلم أنه قول رديء ، ولكني كنت أخبر "برودي" فقط بما قلته ." قال "داستي" معترضا في براءة .

- "اعلم أنه كان يجب أن أضع ربع دولار فى الجرة المخصصة لمن يتلفظون بألفاظ غير لائقة ، ويجب أن تفعل أنت ذلك إذا قلتها ثانية ."

ضحك "برودي" في خفوت قائلا :

- "يجب أن تكوني قد أودعت مبلغا كبيرا في ذلك الوعاء هذا الصباح" .

نظر "داستي" إليه وابتسم قائلا :

- "هل تعلم ربما تجمع لدينا الآن في وعاء الشتائم ما يكفي لقضاء إجازة ممتعة "

– "نعم" قال "داني" مؤيدا : "ماما تحصل على هذا القدر من الإجازة من البنك" قال رافعا كل أصابعه إلى أعلى وموحيا بأنه لوكان له المزيد من الأصابع لرفعها أيضا .

مسّ "برودي" شعره سائلا :

– " لكن ما حجم ذلك الوعاء يا رفيقي ؟ "

– "هكذا " أجاب فاتحا ذراعيه إلى أقصاهما

وفي محاولة للحصول على نصيبه من العناية وقف "داني" يربت كتف "برودي" قائلا :

– "هل تحب أن تقضي الإجازة معنا ؟ "

وأسرعت "نوويل" تعمل على إلغاء تلك الدعوة .

– "إني آسفة . لقد أعجب الأولاد بك ، والأطفال فى سن الرابعة يتبعون مبدأ بيتي هو بيتك" ولايدركون دائما ما يعرضون ."

وكاحتياط وقائي رأت "نوويل" أن تذكر الأولاد علانية :

– "ثلاثتنا فقط هم الذين سيقضون تلك الإجازة معا . مفهوم ؟ "

– " نعم " قالا في وقار

ولأسباب لم يدركاها عندئذ شعر "برودي" بالارتياح أن ذلك الزوج السابق الشارد كان خارج الصورة على نحو قاطع .

وفي هذه اللحظة مر ترام النزهة ذو العربات المفتوحة الممتلئة فجذب انتباه الطفلين .

– "هل يمكننا أن نركبه .. هل يمكننا أن نركبه " ؟

لم يعلم "برودي" أي الطفلين هو الذي وجه السؤال . ورغبة منه في إسعادهما وعدهما بسرعة قبل أن تتمكن أمهما من رفض الطلب .

– "بالتأكيد . لكن سيكون على حسابي . أعتقد أن والدتكما لديها أبواب أفضل لإنفاق النقود " .

كانت "نوويل" موشكة أن تخبره بأنها لم تشتم إلا مكرهة ، إلا أن الطفلين لم يتيحا لها الفرصة كي تفعل .

ركبوا الترام وجلس أربعتهم على المقعد المستطيل والطفلان في الوسط . سأل "برودي" عبر رأس الطفلين .

– "بأي بنك تعملين " ؟

أخبرته ، وأومأ قائلا :

– "أتعامل مع فرع آخر " وظل يدرسها لحظة ثم استطرد "وما نوعية عملك هناك ؟ اذا قلت لي : إنك تحبسين الرهن عن الأرامل والأيتام لن أثق ثانية في حواسي الطبيعية" .

– " أنا مديرة مساعد العمليات"

– "آسف . فمظهرك لا يوحي لي بذلك . ولا بأنك من المصرفيين ليست لك تلك الحدة التي تميزهم " .

– " في الواقع لم أخطط للحصول على وظيفة مصرفية أو شيء من هذا القبيل. لكن عندما تدهورت صناعة الزيوت وعانت أعمال زوجي من جراء ذلك قبلت العمل كأمين للخزينة لأعاون في مصاريف المعيشة .

– " ونتيجة لعملك الجاد المخلص أمكنك أن تشقي طريقك إلى ذلك المنصب . أليس كذلك " ؟

– " نعم لقد بلغت أعلى السلم الوظيفي رغم افتقارى إلى الطموح اللازم . وعندئذ تم طلاقي فأصبحت أحوج إلى راتبي " .

وحيث إن "برودي" كان قد أحيط علما بتقاعس زوجها السابق في إعالة الأسرة، اكتفى بالابتسام تعبيرا عن تفهمه الوضع .

وبينما تقدم بهم الترام وارتفع معدل بهجة الطفلين اضطر "برودي" و"نوويل" إلى التنازل لهما عن مكانيهما حيث كانت الرؤية أفضل عند طرفي المقعد . وقد انتهت إعادة التنظيم هذه إلى جلوس "برودي" و "نوويل" جنبا إلى جنب . ولم يهتم "برودي" بذلك مطلقا .

كان من المفروض أن يعود إلى عمله منذ فترة طويلة ، إلا أنه رفض فكرة إنهاء ذلك الوقت الممتع الذي جاء به القدر . فعمله ثماني عشرة ساعة يوميا لسبعة أيام أسبوعيا لم يترك له سوى ساعات قليلة ينامها . والآن وقد أتيح له بعض

- اللهو فكيف يتنازل عنه ؟

أعجب "برودي" إلى حد كبير بالرعاية الصابرة التي أغدقتها "نوويل" على طفليها اللذين وإن كانا صعبي المراس ومرحين دائما ، فقد كانا حسني الخلق يستحوذان في سهولة على قلب من يراهما . قارن هذين الطفلين بابني زوجة أخيه سيئي التوافق . لم يكن الطلاق إذن هو السبب في هذا السوء

وأعجب "برودي" فوق كل ذلك بـ "نوويل" . لم تكن من ذلك النوع العادي من النساء اللواتي لجأ إليهن سعيا وراء المتعة ، ذلك النوع الذي لا يتوقع الكثير ولا يطلب أكثر مما يمنح . ذلك النوع الذي ما إن يوافق على تجربة حظه مع "برودي" حتى يطرح قلبه جانبا خشية تورطه في اللعبة .

لذلك لم يشعر "برودي" بالارتياح إزاء افتتان "نوويل" به ، كانت تميل إلى أن تكون من نوع الفراش والمأكل والأطفال . ربما كان بيتها مليئا بالأشياء لذيذة الطعم التي أعدتها لتجذب الرجل وتحتفظ به . قد تطلب وعدا لا يستطيع أن يعدها به أو ضمانات . قد تتوقع منه الكثير . ولم يكن مثار عدم ارتياحه إلى ذلك أنه لم يكن يستحق .

يا لها من فتاة بائسة غير خبيرة إلى الحد الذى تفطن معه إلى الخطر الذي يطوقها . أفضل ما يمكن أن يقدمه لها هو أن يفترق عنها الآن وقبل أن تتطور الأمور إلى ما هو أبعد . هذا هو التصرف السليم .

إلا أن "برودي" كان وللمرة الأولى في حياته قد خلب لبه بها . كان يريد أن يعرف المزيد عنها ، وأن يفهم معنى ذلك العمق في شخصيتها وتلك التعقيدات التي لم يأنسها في أي ممن التقى بهن من قبلها . وقد حذرته الفطرة السليمة بأنه واقع في خطأ جسيم لا محالة بتماديه في ذلك الذي استحال عليه اجتنابه.

وحيث إن "برودي" كان يؤمن بالفطرة السليمة ، فلم يمكنه تجاهلها في ارتياح.

لذلك وضع ذراعه على الحافة الخلفية للمقعد آملا في بعض الراحة .

أعجب "داني" بقبعة "برودي" فسأله بفضول :

- "هل أنت راعي بقر حقيقي يا برودي" ؟

- "نعم" أجاب باختصار رغبة في أن يحتفظ بهدوء أعصابه .

- "هل تركب خيولا حية حقيقية ؟" أراد "داستي" أن يعرف

- "بالتأكيد ... وكل يوم . هذا هو عملي الذي أعيش منه . أنا مدرب خيل"

- "ماهو حجم الفرس على أي حال ؟" سأل "داني" .

- "الجميع يعرف" قال "داستي" متباهيا "الخيل كبيرة حقا" .

- "خيول أصيلة ؟" سيطر حب الاستطلاع على "نوويل" فلم يكشف "برودي" النقاب إلا عن اليسير جدا عن نفسه .

- "أفراس السباق الربيعية ."

تنهدت "نوويل" . فلم يكن "برودي" على المستوى المناسب .كانت "نوويل" وصديقتها "دارسي ديورانت" تطبقان مقاييس خاصة في تقييم الرجال لمعرفة إلى أي مدى يمكن أن يحققا أحلامهما كأزواج.

ووفقا لتلك المقاييس كان "برودي" متقدما إلى حد بعيد فيما يتعلق بالمظهر العام وخفة الظل والذكاء ، وهابطا جدا في الناحية الوظيفية.

اختبرت "نوويل" الحياة في كنف رجل غير مأمون المستقبل الوظيفي ، فلم تكن على استعداد أن تعيش مثلها مع آخر . أرادت رجلا يعود إلى بيته في أوقات محددة ، ويحضر مرتبا ثابتا يوم الجمعة من كل اسبوع ، رجلا يرغب في أن تكون زوجته مديرة منزل بأصدق معاني الكلمة ، رجلا يرتدى أفخر الثياب ويقود سيارته الجميلة رجلا يبشر بمستقبل باهر موثوقا به مستقر التصرفات ، لا رجلا يكسب عيشه من تنظيف إسطبلات الخيل .

وجه "داني" عندئذ السؤال الملتهب مقاطعا به أفكار أمه

- "هل أنت والد ؟"

- "لا" أجاب "برودي" بابتسامة ظريفة ، وعبس "داستي" متسائلا

- "هل أنت زوج إذن ؟"

ضحك "برودي" في خفوت وهو يعلم تماما ما سوف يؤدي اليه الحديث .

- "لا" .

- "اذاً ماذا تكون ؟" سأل "داستي"

- "متسكع بريء" قال عارضا .

ابتسمت "نوويل" . و حاولت جذب انتباه الطفلين بعيدا عن مجال الأسئلة وقالت في تعجب :

– " انظر .. إنها الحمير الوحشية "

فقد رأت أنه من غير الحكمة أن تدع الطفلين يبوحان بالمزيد من أسرار الأسرة لأن "سوير" كان يعلم عنها أكثر مما علمت هي عنه.

وبينما سار الترام احتفظ "برودي" بالحديث متصلا ولم تدر "نوويل" ماهي فاعلة براعي البقر المندفع هذا ، نظرت اليه فرأت ابتسامة طفيفة وبريقا يشع من عينيه ، كما رأت قبعته التي أزاحها إلى الخلف فأضفت عليه عدم الاكتراث ... وانطلقت نواقيس الإنذار .. هاك رجلا يمكن أن يجرح فؤادها لو وجد الفرصة ولكنها لن تتيحها له . فقد سبق لها أن لعبت هذا المشهد ولم تنس آلامه بعد .

شاهدوا المناظر وقدم لهم "برودي" حلوى "غزل البنات" وبعد أن استعملت "نوويل" منشفة مبللة بالماء لتنظف أيدي توسيها أعلنت أن لا أمل من ذلك . عندما وجهت طفليها صوب ساحة انتظار السيارات تصورها "برودي" وكأنها طائر وديع يرعى صغاره .

ساعدها "برودي" بأن ثبت حزامي الطفلين بمقعديهما بالسيارة ثم تحول إلى جهة مقعد السائق . أنزلت "نوويل" زجاج النافذة المجاورة لها وانتظرت لترى ما عساه يفعل بعد ذلك وقد اختلطت فيها المشاعر.

– "أشكرك على المجيء يا "برودي" لقد كان لطيفا منك أن تعامل الطفلين بهذا الحنان . إنهما لا يلتقيان بالرجال كثيرا ،لذلك كانت عنايتك بهما تعني لهما الكثير " .

انحنى قليلا وثنى الجزء الأمامي من ذراعه على حافة النافذة .شعر بالسعادة أن لم يكن في حياة الطفلين رجال كثيرون . ولا في حياة "نوويل" لو صدق إحساسه .

– " وكم تعني لك أيتها الجميلة ؟ "

أثار سؤاله أعصابها .

– "أكثر مما كنت أريدها " قالت بصدق .

– "نعم " . قال بابتسامة مهذبة . "لقد كان اليوم أمتع ما جاء به عليّ رقم هاتف غير صحيح " . مد يده من خلال النافذة وضم يدها برفق " خذي الأمور بتلقائية، ودون اكتراث . لكن كوني حذرة ممن تطلبين المرة القادمة . ليس الجميع في مثل كرم أخلاقي" .

نظر "برودي" الى المقعد الخلفي وخاطب الطفلين :

– " اعتنيا بأمكما " فأقسما على أن يفعلا .

وإذا قال ذلك لمس قبعته في أدب وانصرف متجها إلى شاحنته الصغيرة التي يغطيها الغبار .

وأخذت "نوويل" رغما عنها تنظر إلى ظهره الذي كان يعكس أية كمال الأجسام حتى انزلق على مقعد القيادة . هزت رأسها آملة أن تسقط هذه الهزة صورته خارج ذهنها .

لا شك أنها تخلصت منه بسهولة . لأن مثل هذا الرجل كان يفوق بالتأكيد طريقتها في التصرف معه . يجب ألا تفكر حتى في أن تراه ثانية . ولكن لماذا تضايقت لأنه لم يطلب أن يعرف رقم هاتفها ؟

ذكرتها الثرثرة المنبعثة من المقعد الخلفي باهتمامات أكثر فورية مما كانت تفكر فيه . فقد انجرفت بتفكيرها في غريب لا تعرفه . قد يبدو ذلك الرجل لطفليها اللذين يتحرقان شوقا إلى الرعاية الأبوية بطلا أسطوريا . ولكنه لم يكن ما أرادته في الرجل الذي تتطلع إلى الارتباط به . ولم يكن إعجاب طفلي الرابعة به مبررا لأن تعجب به هي الأخرى .

فالجاذبية التي شعرت بها نحو "برودي" لم تكن مؤشرا للتعقل أو الحكمة لو أخذت بيئته الوضيعة في الاعتبار ولوجب ألا تفكر فيه أو في كيفية ابتسامته ، ولافي أسلوب انقباض عضلاته القوية .يجب أن تتجاهل كل الأشواق الكامنة التي أثارها فيها ، فقد دخل حياتها مثل نسيم رقيق ، ويجب أن يغادرها كهواء الزفير . باختصار شديد يجب ألا يكون لهذا الرجل استمرار أطول في حياتها.

لم تكن تعرف عنه شيئا باستثناء اسمه وصناعته ومع ذلك كانت تتخيل شعورها

في ذراعيه القويتين . كانت تعلم ما تنطوي عليه مثل هذه التخيلات من خطورة. ولكنها كانت تدرك مع ذلك أن "برودي سوير" مدرب الخيول لابد وأن يضايقها بأن يشغل حيزا كبيرا من تفكيرها تلك الليلة على الأقل .

تمنت لوكان لها الحضور الذهني المناسب ، لأن توجه إليه بعض الأسئلة التي تهمها . مثال ذلك "ماهو الدافع الفعلي لمجيئه إليها اليوم" فقد كان مسليا ومحبا، وأكثر من ذلك كان له أسلوب متميز في معاملة السيدات . لماذا إذن لم يطلب لقاءها ثانية ؟ وإلى أين كان ذاهبا ؟ وهل كانت هناك امرأة تنتظره ؟ .

أدارت محرك السيارة وضحكت بسخرية على مجرد حجم تلك الأسئلة التي أوحى بها "برودي" ، وظلت غير مجاب عنها .

- "هيه يا أطفال ! من كان ذلك الرجل المتنكر على أي حال ؟ "

قالت مخاطبة طفليها اللذين جلسا يقهقهان بالمقعد الخلفي .

الفصل الثالث

- "ماما" نادى "داستي" جاذبا ثوب أمه الواقفة تغسل الأطباق بعد عشاء ذلك المساء " أريد قبعة مثل قبعة "برودي" "

- " وأنا أيضا " أضاف "داني" متحمسا للفكرة .

- " قبعة "مستر سوير" قالت مصححة "سأتذكر ذلك حتى أجعلها هدية أحد أعياد ميلادكما . لماذا لا تذهبان خارجا للعب على الأرجوحة ؟ .

وتسابق الطفلان نحو الباب ليريحاها قليلا . "برودي" هذا "برودي" ذاك . بدأ الأمر يثير أعصابها . لم ترغب شيئا بقدر ما رغبت أن يترك "سوير" ذهنها نهائيا . لكن "داني" و"داستي" قدجعلا ذلك مستحيلا . كانا يثرثران عنه طوال فترة بعد الظهيرة . فقد أثر راعي البقر طويل القامة في طفليها بعمق .

لم يكن راعي بقر بالفعل .. فكرت مصححة معلوماتها عنه . كان مدرب خيول . يدرب خيول السباق . والسباق ينطوي على المراهنة .. وهذه تعني المقامرة . ربما أنه يراهن على الجياد التي يدربها فيعيش في رخاء إذا فازت أو في ضنك إذا خسرت السباق .

قذفت "نوويل" منشفة الأطباق إلى النضد . لماذا تنجذب إلى الرجال البعيدين عن العمل المستقر الذي ليس له صفة الدوام والثبوت . فقد كان "سهلا يأتي .. سهلا يضيع" هو المبدأ المالي الذي عاشته وألفته .

ولو لم يكن "ستيف" على هذا القدر من اللامبالاة لما أجرت تلك المكالمة الهاتفية اللعينة ، ولما ظلت تفكر في رجل من المفروض ألا يشغل بالها . وضعت آخر الأطباق وأطفأت الضوء . تمنت لو كان ممكنا أن تختفي صورته من ذهنها بهذه السهولة .

كانت تعلم أن مجرد التفكير فيه سخف . دق عندئذ جرس الهاتف فقفز قلبها قبل أن تتذكر أنه من غير المعقول أن يكون "برودي" هو المتحدث . تحول ضيقها الغامض إلى استياء شديد عندما جاءها صوت "ستيف" .

www.elromancia.com

– " هاي يا حبيبتي إنه أنا "

حبيبتي ؟ أثارت نبرات صوته أعصابها . فعندما يخرج لفظ "حبيبتي" من فم "ستيف" يتغير مضمونه من التدليل إلى الإساءة فقد ناداها كذلك سنوات عديدة ليشعرها بعدم جدواها وضعفها وافتقادها التام لأي طموح . دعاها "حبيبتي" ليسلبها الثقة بالنفس وليؤكد أنانيته . حتى عندما تولت الإنفاق على الأسرة بالكامل كان يشير إلى ذلك بأنه دخل من عملها البسيط . حبيبتي ؟ إنها ليست حبيبة أي انسان .. ليست بعد كل ما كان بينهما .

– "أنا ؟ من ؟ "

– " لا تعامليني هكذا يا حبيبتي . أعلم أنك غاضبة بسبب زيارة حديقة الحيوان هذه ، لكن طارئا ما وقع ."

– " حمدا لله أنه لم يحدث شيء مهين ."

– " بقدر ما لسانك حاد بقدر ما قلبك بارد يا "نوويل"

– " أشكرك . فقد علمتني الكثير " .

– " والآن يا حبيبتي أرجو ألا تظلي غاضبة مني هكذا . كنت سأذهب إلى حديقة الحيوان لو كان ذلك بوسعي . أنت تعلمين جيدا ."

– " ستيف ! إليّ به "

– " بماذا يا حبيبتي ؟ "

– " بذلك الجزء من البرنامج المتعلق بالأعذار . وأسرع حتى أعود وأنجز شيئا نافعا " .

كان "ستيف" كما ظنته قد اتصل بها ليفرغ في أذنيها مزيجا من التوسل والأنين وحلو الحديث ، سعيا لكسب شعورها كالمعتاد ، كانت وسيلته هذه تنجح فيما مضى ، لكنها لن تجدي معها الآن .

– " والآن وقد أحطتني علما بموقفك دعني أعرفك بموقفي " قالت بنبرة حادة تفتقر إلى العاطفة " طفلاك يستحقان منك ما هو أكثر من عدم الإنفاق عليهما ، وعدم الوفاء بما تعدهما به . كان اليوم آخر الفرص الكثيرة التي سمحت لك بها . وسوف أتصل صباح غد بالمحامي " .

– " لا يا "نوويل" .. تعقلي . إني مرتبط بصفقة كبيرة الآن ."

– " الأفضل لك أن تحاول العمل في مجال آخر من قبيل التغيير "

فأجابها بحدة مألوفة لها :

– " اصغي إليّ . كيف أستطيع دفع نفقة الأبناء في الوقت الذي لا أجد فيه عملا ؟ "

– " يبدو لي وكأنه من الأفضل أن تحصل على عمل ، وعلى وجه السرعة فقد انتهت مرحلة التعقل بالنسبة لي . وأصبحت وضيعة جدا "

وإذ قالت ذلك أنهت المكالمة ، وتركت السماعة بعيدة عن الهاتف حتى لا تضطر إلى إجابته إذا ما عاود الاتصال .

قضت "نوويل" بقية الأمسية في مشاهدة أفلام فيديو " شارع السمسم" واللعب بعض الوقت مع توسيها ثم قرأت لهما بعض القصص المحببة إليهما ، بعد أن أويا إلى الفراش .

كانا يقاومان النوم حتى لا يغيب عن ذهنيهما مرح ذلك اليوم . تجلدت كثيرا إزاء طلبهما جرعة ماء للمرة الثالثة والتوجه إلى دورة المياه لمرة إضافية أخرى . كانت صلواتها في تلك الليلة طويلة جدا ، إذ طلبا منها أن يبارك الله جميع الشخصيات المشتركة في أفلام "شارع السمسم" كلا باسمه .

هدأ تدريجيا ، وغطا في نوم عميق بمجرد أن استقر رأساهما الصغيران على الوسادة . كانا يبدوان غاية في الحلاوة والبراءة والبؤس ، وهما راقدان بحيث أن "نوويل" كانت تأمل ألا يظلا متأثرين بانفصال والديهما .

ألقت عليهما نظرة طويلة أخرى من خلال الباب وتمنت لهما ليلة سعيدة .

إلا أن "داستي" تقلب لحظتها متمتما :

– " أي نعم . يارب بارك "برودي" أيضا " .

– "نعم . "برودي" أيضا أكد "داني" بصوت ناعس .

أغلقت الباب برفق وتنهدت . "برودي" ثانية ! خشيت أن يشعر الطفلان بالضيق إذا لم يريا "برودي" مستقبلا .

اتجهت إلى حجرتها رأسا ، واستعدت للنوم . كان الوقت لا يزال مبكرا . لكن

www.elromancia.com

ربما لو غطت في النوم لأمكنها أن تتجنب التفكير فيه . ولم تتوقع أن يجرؤ ويغزو أحلامها .

تركت "نوويل" طفليها في صباح اليوم التالي بالحضانة حتى تذهب إلى عملها . كانت لا تزال تشعر بقلبها ينقبض في كل مرة تتركهما فيها . ورغم أنها كانت قد قرأت مقالا مؤداه أن أطفال العاملات من النساء يكونون أكثر استقلالاً ويبدون مهارات فائقة إلا أنه لم يسعها إلا أن تعتقد أن مكانها الفعلي هو المنزل .

كانت الضغوط المترتبة على الأمومة المفردة تزداد أحيانا ، ولكنها تبلغ أقصاها كلما اتجه تفكيرها إلى أنها بعيدة عن ولديها في مرحلة مهمة من حياتهما . تلك المرحلة التي لم تكن لتضحي بها في ظل القوانين العتيقة .

عندما وصلت إلى مقر عملها وضعت نصب عينيها أن تجيب عن السؤال التقليدي الشامل : كيف كانت عطلة نهاية الأسبوع ؟ بكلمة "حسنة" العادية وغير المحددة المعنى . لم تشأ أن تقص على زميلاتها في العمل وعلى الأخص صديقتها المقربة إليها تفاصيل ذلك الغريب بحديقة الحيوان .

فقد كانت "دارسي دورانت" حسنة النوايا ، إلا أن خدمة العملاء لم تكن العمل المناسب لها . كانت تغني الأغاني الريفية من قبيل المرح ومن أجل الربح معا . وكانت عاطفتها الملتهبة خير دليل للمحرومين من الحب . فقد أقامت تلك السمراء المتحمسة نفسها مراسلا حربيا في المعركة بين الجنسين .

وبينما لم تؤمن "دارسي" بالزواج ، إلا أنها كانت تعاني مما أطلقت عليه "نوويل" "الأعراض المتزامنة لعهد نوح" ، فلم تكن تذوق للسعادة طعما ، ما لم تر الجميع يعيشون أزواجا . لذلك فضلت ألا تخبرها بالأمر حتى لا تتيح لها فرصة تشجيعها . فلم تكن "نوويل" بحاجة إلى مهارات "دارسي" في صنع الزيجات ولن تلجأ إليها خاصة إذا كان الأمر يتعلق بـ"برودي سوير" .

وبحلول يوم الجمعة كانت "نوويل" قد فقدت كل أمل في أن تسمع منه . ثم كان ظهر أحد الأيام عندما غادرت اجتماع المستخدمين ونظرت عبر حجرة الاستقبال بمدخل البنك لتصعق إذ رأت راعي بقر يجلس إلى مكتبها بالبنك .

قبعة كبيرة ساقان طويلتان ومنكبان عريضان .

"برودي" ! اطمأنت على ملبسها في لحظة وعلى مظهرها ، وشعرت بالسعادة أن ارتدت ذلك اليوم ثوبها الحريري الأحمر الذي كان يجعلها تبدو كامرأة جذابة أكثر منها عاملة في بنك .

كان ذلك كل ما استطاعت عمله كي تخفي سعادتها برؤيته ثانية - بينما سارت عبر حجرة الاستقبال المزخرفة بوحدات اللونين الأخضر والخوخي . تمهلت في سيرها حتى تلحظ تأثيره على العاملات بالبنك . فكان من دواعي اغتباطها أن رأت أن حضوره قد التقطته كافة قرون الاستشعار الأنثوية على مدى دائرة نصف قطرها خمسون قدما .

كانت "دارسي" شديدة اليقظة دائما ترتعد في استجابة فورية ، وتتساءل عما إذا كان بإمكان أية امرأة على الإطلاق مقاومة جاذبية "برودي" . لم تعتقد أن ذلك ممكن لأنه لم يكن مبرمجا ليترك أي ذهن أنثوي في راحة بال .

رجحت أنه كان يرتدي ملابس العمل فقد كان زيه يناسبه تماما ، كما تناسب الحلة ذات القطع الثلاث المستخدم المصرفي .

حيث كان يرتدي قميصا من الدنيم فاتح اللون و"جينز" قديما وحزاما وحذاء مرتفع الرقبة يدوي الصنع . عندما دخلت وقف وخلع قبعته . لقد سمعت "نوويل" بالتأكيد تنهيدة أنثوية جماعية تنطلق من بين العاملات .

انحنت صوب مكتبها ونظرت إليه في سعادة . لقد تذكر مكان عملها واهتم بالمرور عليها لرؤيتها .

- " إنها مفاجأة قطعا لم أتوقع أن أراك هنا " .

أخرج لها عددا من الإيصالات وأوراق النقد دليلا على أنه كان هناك في مهمة مشروعة .

- " عادة ما أتعامل مع فرع آخر . ولكنني كنت قريبا جدا من هذا المكان فقررت المجيء الى هنا " .

- " أرى أنهم مازالوا يستخدمون تلك الخطوط القديمة البالية " .

- " ولم لا طالما أنها تؤدي الغرض ؟ "

– "هل سبق لك المجيء إلى هنا ؟ يسعدني أن أطلعك على الإمكانات التي لدينا إذا رغبت . إننا حقا فخورون ببعض الاستحداثات التي أدخلت ."

فكرة مدهشة .. هكذا اعتقدت "نوويل" فكانت تبدو كأنها نصائية تسويق .

– "لم آت إلى هنا لأقوم بجولة أعاين خلالها الإمكانات . في الواقع أن مجرد مشاهدتي إياك تسيرين عبر حجرة الاستقبال كافية لأن تجعل مجيئي إلى هنا ذا قيمة" .

جاءت "دارسي" متمهلة نحو "نوويل" ووضعت على مكتبها مذكرة مكتوبة . كانت قد أصغت إلى ما قاله "برودي" حالا ، وبمجرد أن تجاوزته بمسافة كافية التفتت إلى "نوويل" وأتت حركة بيدها في مواجهة صدرها ، ثم حركت شفتيها كما لو كانت تنطق بما بدا لـ"نوويل" آه " وووو وي ي ي " ، تشتت أفكارها لما فعلته "دارسي" حتى كاد تعليق "برودي" التالي يفوتها :

– "سبق أن قلت لك : إنك لا تشبهين بأي حال من الأحوال المسؤولين المصرفيين."

هز رأسه وقال ، ولم يزل يبتسم : " إلا أن أسلوب حديثك اليوم يؤكد أنك كذلك ."

أجابته مبتسمة

– " مجرد عادات متأصلة وكل ذلك .. "

– "قد أحتاج لتلك الجولة التي ذكرتها كي أرى المزيد ." قال مقترحا وهو يمسدها بنظراته . "قد تتاح لنا بذلك فرصة أن نضل طريقنا . هل نكون بمفردنا؟"

نظرت في عينيه فرأتهما ينطقان بالتهور .

– "ليست هناك فرصة واحدة لذلك ."

– " وا خسارتاه " . انحنى مقتربا منها وقد خفض صوته إلى أقصى حد " عيناك أوسع عينين رأيتهما في حياتي وأكثرها زرقة ."

لم تدر "نوويل" كيف تجيب عن تلك المجاملة الصارخة لأنها لم تتعرض لمثلها من قبل . فعاودتها تلك الحركة السخيفة في أسفل منطقة بطنها ، وشعرت

بالحرارة تندفع إلى وجهها عندما انحنى ببطء شديد نحو شفتيها.

وعندما أصبح على قيد أنملة منها سألها :

– "هل لديك أية خطط لهذا المساء ؟"

وأفاقت على رنين أحد الهواتف بمكتبها فتذكرت أين كانت واستحال لون بشرتها إلى اللون القرمزي بلون ردائها عندما أدركت عدد أزواج العيون الذي كان يتابع ما تبادلاه من حديث . عادت إلى الخلف قليلا تاركة عرض مكتبها بينهما .

– "هذا المساء" ؟

– "بالتأكيد . يمكننا أن نتناول عشاءنا خارج المنزل أو أن نذهب إلى السينما أو ... أي شيء آخر"

ولم تترك نظراته شكا حول ما كان يعنيه بذلك الشيء الآخر كان لا شك يعرف كيف يستغل وقته .

– "أسفة يا "برودي" لكن من الصعب أن أطلب جليسة أطفال في مثل هذه الفرصة الضيقة ."

هز كتفيه ولسان حاله يقول : لقد حاولت ، ثم دون رقمه الهاتفي على مجموعة رسائلها . ونظر حوله ثم قال بلهجة جادة : من أجل أولئك المستخدمين الذين كانوا يحاولون جهدهم ألا يتكشف استراقهم السمع .

– "وأخطريني بما يحدث يا "مسز تشاندلر"

راقبت "نوويل" شاحنته الصغيرة تغادر ساحة الانتظار ثم جلست إلى مكتبها . أخذت قطعة الورق التي تحمل رقم هاتفه تحسبا للظروف . ثم رأت مذكرة "دارسي" . فتحتها وابتسمت لما رأت مكتوبا بخط يد صديقتها المشعث "عظيم جدا"

لم تكد تنتهي من قراءة تلك الرسالة المختصرة حتى أحست بـ"دارسي" تمسك مرفقها وتوجهها نحو حجرة الاستراحة . قدمت لها قدحا من القهوة ودفعتها فوق أحد المقاعد . وما إن جلست إلى جوارها وبيدها قدح قهوتها حتى بدأ وابل الأسئلة :

www.elromancia.com

– " من كان ذلك الشاب الضخم ؟ هل من مزيد من أمثاله في البيت ؟ أين التقيت به ؟ لماذا حجبت عني أمره ؟ قولي كل شيء ولا تنسي أيا من التفصيلات ."

– " "برودي سوير" . لا أعلم .. حديقة الحيوان .. لأني كنت أمل أن أتحاشى هذا الاستجواب " .

ورشفت "نوويل" من قهوتها واستطردت . "هل هذا يكفي ؟ "

– " هل هذا كل شيء ؟ "

– "نعم . أي نعم . إنه مدرب خيول " .

بدا على "دارسي" التأثر به الى حد بعيد .

– "مدرب خيول ؟ "

– " هذا ما قاله "

– " وماذا تعنين بذلك على وجه التحديد ؟ "

هزت "نوويل" كتفيها

– " شيء محير . أعتقد أنه يركب الخيل في حلبة السباق أو شيء من هذا القبيل . "

– " حسنا . فهو ليس عالم صواريخ إذا . ومظهره لا يهم ففغرت "نوويل" فاها في دهشة ساخرة

– " أتقترحين أن أهتم بـ "برودي سوير" كهدف للجنس ؟ "

– " إنه أكثر الأهداف التي وقع بصري عليها عبر فترة طويلة جنساً . " ثم استطردت تسأل " لقد التقيت به في حديقة الحيوان إذن .. في حديقة الحيوان؟"

– " في حديقة الحيوان . "

– " متى ؟ "

– " الأحد الماضي "

– " هل اصطحب معه أولاد ؟ "

– " لا . لقد سأله "داستي" و "داني" عما إذا كان أبا أو زوجا فأعلن براءته من

كليهما . "

– " بالتأكيد لابد أن يفعل .. ما لم يكن محبا للحيوانات من صميم نفسه ، لا يمكنني أن أتصور رجلا مثله يتسكع في حديقة الحيوان بدون عذر قوي . "

– " نعم . لقد كان لديه العذر . " أضاءت عينا "نوويل" فوق قدح قهوتها

– " أها ! " مالت "دارسي" نحو الأمام وهي تقول بأسلوب تهديد مازح : "التفاصيل يا سيدتي التفاصيل . "

أوضحت "نوويل" كيف أن اللقاء قد تم بسبب الرقم الهاتفي الخطأ . وكما توقعت لم تكن "دارسي" على استعداد لأن تصدق ذلك . ثم أخبرتها بعرض "برودي" موعد للقاء خارج المنزل وكيف أنها تنوي عدم الاستجابة .

– " لابد أنك قد جننت حتى تدعي مثل هذا النموذج يفلت من الشص بهذه السهولة " .

– " "دارسي" ! لم يمنحني الفرصة الكافية لأتدبر أموري . من الذي سيرعى الولدين أثناء غيابي ؟ فضلا عن أني لم أحب أسلوبه هذا في أنه قد افترض أني لم أكن مرتبطة بموعد مع غيره "

– " هل هذا صحيح ؟ "

– " لا .. إلا أن ذلك لا يمنع من أن تصرفه ينطوي على شيء من الوقاحة . "

– " الرجل الرائع غالبا ما يكون وقحا " وضحكت "دارسي" على هذه النكتة التي قالتها . " لو لم أكن مرتبطة بموعد الليلة لاعتنيت بطفليك بنفسي . "

– " أشكرك . ولكني أعتقد أنه من الأفضل ألا ارتبط بذلك الـ"مستر سوير" الأسمر . "

– " ولم لا ؟ إنك لا تقضين أوقاتا كافية خارج المنزل . لو كنت تفعلين لقدرت قيمة هذه الصفقة التي تزمعين إضاعتها التقدير الصحيح . "

– " لم أكن أعلم أنك تتأثرين بالمظاهر إلى هذا الحد . إنك لا تعلمين شيئا عن هذا الرجل . لكن لمجرد أنه مقبول الشكل أجدك على استعداد لأن تضعي أعز صديقاتك بين يديه " .

هزت "دارسي" كتفيها قائلة :

www.elromancia.com

– " الإعجاب بشخص جميل القسمات في مثل سهولة الإعجاب بشخص عادي، غير أن الأول إذا ما بات غير ذي جدوى أصبح من الممكن أن يصلح على الأقل لتجميل المنزل ".

– " ليست لدي النية لأن أعجب بأي شخص . فضلا عن أني لا أرى أننا سوف نتفق في الكثير – اللهم إلا فيما تتفقين فيه معي من أنه على قدر كبير من الجاذبية – لأن بيئته وضيعة بعض الشيء ."

– "بناء على تقديرات من ؟ إن هاتين العينين وذلك التيه المثير كفيلان بأن يعوضا أية هفوات تافهة في الشخصية ، أو أية ميول نرجسية صريحة . الواقع أنك لم تكوني في دائرة المواعيد مدة كافية كي تدركي أن هذا النوع من الرجال في ندرة أسنان الدجاج " .

حملت "نوويل" قدحها إلى حوض الغسيل .

– " لقد تعلمت أن النساء دائمات البحث عن رجل لا يحصلن عليه بصفة دائمة . لقد كان لي رجل ولست من ذلك النوع . "

لم تأخذ صديقتها هذا التعليق مأخذا شخصيا فقالت :

– "مازلت أعتقد أنه يجب أن تحاولي إيجاد جليسة لطفليك . "

أصرت على إنهاء الحديث فقالت :

– " أعتقد أنه من الواجب أن نعود إلى عملنا ما دمنا نعمل هنا " .

وكانت أفكار "نوويل" – على مدى اليوم كله وفي الوقت الذي كان يجب أن تنشغل فيه بأمور أخرى – تنجرف إلى دعوة "برودي" الارتجالية لها . وكلما فكرت في الأمر بدا لها كريها . فقد كان عليها أيضا أن توجه اللوم إلى إحدى أمينات الخزينة لتقصيرها ، لذلك كانت قلقة على غير عادتها عندما طلبت "برودي" هاتفيا قبل انتهاء ساعات العمل مباشرة .

واستغرق دخوله الخط بعض الوقت . واتضح لها من الضوضاء التي كانت في الخلفية أنه قد أجاب الهاتف من خلال جهاز متحرك بإحدى الحظائر في مكان ما .

– " "برودي" ! أنا "نوويل" "

– " أعلم " . لكنه لم يعلم سبب الحزن الغالب على صوتها .

– " لقد رأيت من واجبي أن أتصل بك لأخبرك بأنني لم أستطع استدعاء جليسة أطفال " . لم تكن هذه كذبة حقيقية . ربما لم تحاول . لكن مع ذلك لم تكن هناك جليسة ". أعتقد أني لن أستطيع تلبية دعوتك الي العشاء أو السينما أو الـ "أي شيء آخر "

– " أسف أن أسمع ذلك " .

هل كان أسفا حقا ؟ أم أنها كانت تأمل أن يكون كذلك ؟

– " على أي حال أشكرك على هذه الدعوة " .

– " ربما المرة القادمة " .

هكذا عرض عليها قبل أن ينهي المكالمة . رأت أن "سوير" لم يكن الشخص الذي يضيع وقته في ثرثرة غير مجدية .

أعادت سماعة الهاتف إلى مكانها وهي تشعر وكأنها قد أضاعت تذكرة يا نصيب رابحة . رغم أن ذلك سخف . فأية امرأة لديها ذرة من الاحترام لذاتها لا تقبل موعدا في آخر لحظة مع "دون جوان" قادم من الغرب مثل "برودي" . كان واضحا أن ذلك الرجل كان يسعى وراء مغامرة غرامية . وقد أكد ذلك لها عدم تحديده موعدا مستقبلا .

لم يكن من ذلك النوع من الرجال الذي تحتاج إليه "نوويل" في حياتها المعقدة هذه .

عندما وضعت طفليها في الفراش تلك الليلة جلست بمفردها لتقضي ليلة جمعة هادئة . شعرت بالرضا على الحكم السليم في موضوع "برودي سوير" وقررت أن تقصيه عن دائرة أفكارها نهائيا .

بدلت ملابسها وارتدت تلك الملابس المريحة التي تحبها .. قميصا رماديا طويلا وجوربا زغبيا قصيرا . ألقت نظرة خاطفة على دراجة تمارينها التي بدت وكأنها تسخر منها في صمت من ذلك الركن المغطى بالغبار . ذهبت إلى المطبخ لإعداد بعض الفشار . فمثل هذا المأكول المسلي مع نشاط آخر لا يحتاج الى

www.elromancia.com

التفكير مثل مشاهدة فيلم تليفزيوني .. كانا مناسبين لتلك الأمسية .

كان الفيلم قد انتصف عندما دق ناقوس الباب . كانت تعلم المسؤول عن ازعاجها في هذه اللحظة . هل لم يستطع "ستيف" أن يفعل شيئا أفضل من التقرب إليها شخصيا ؟ لقد أخبرته يوم الأحد الماضي بأنه غير مرغوب فيه وإن كانت هذه محاولة من جانبه كي يثنيها عن مقاضاته فقد أخطأ التقدير . فتحت الباب واستبقت السلسلة واستعدت تماما للقائه كي تقول له : إن اللقاء الحقيقي بينهما سيكون في قاعة المحكمة .

الفصل الرابع

وبدلا من "ستيف" وجدت "برودي" مبتسما يستند إلى جانب الباب . سيطرت عليها الدهشة فلم تجد ما تقوله سوى السؤال المنطقي :

- "ماذا تفعل هنا ؟"

- "لا أعرف" . ولم يخبرها "برودي" أنه كان يجلس في سيارته منذ نصف ساعة سابقة يحاول أن يستجمع شجاعته ليقرع ناقوس الباب ، رغم أن الشجاعة كانت من أهم مميزاته . لم يستطع تفسير تلك الظاهرة أيضا . وتشتت ذهنه إذ رآها ولم يفهم لماذا .

- "لم ترفض مواعيدي قط قبل الآن . وأرى أنني على غير استعداد لتقبل الأمر بهذه السهولة ."

ابتسمت "نوويل" لما سمعت تلك الإجابة التي جاد بها غروره ، ولكنها لم تتخذ خطوة واحدة نحو السلسلة كي تفتحها . وقف في الردهة حاملا قبعته بيده وقد شعر بأنه أغبى مما كان فعلا .

- "لم يكن هناك سوى "ن. تشاندلر" واحدة بدليل أرقام الهواتف فقررت أن أجرب حظي ."

وكان دون شك واثقا من أنها ستسعد لرؤيته .

- "لم تكن إذن قريبا من المكان وقررت المرور علىّ ؟"

لم تصدق أنها كانت على تلك الصورة الشعثة عندما رآها "برودي" ، كانت زينة وجهها تكاد تكون انمحت بالكامل . وتجمع شعرها إلى الخلف في هيئة ذيل الفرس والجورب الذي ارتدته كان أسوأ ما عندها .

- "أحسست بحاجة شديدة إلى صحبة . وأعتقد أنه قد جانبني الصواب في حكمي بأنك قد تكونين أيضا بحاجة إلى صحبة . كان يجب ألا أحضر ."

كان بالتأكيد يجب ألا يأتي ، إلا أن "نوويل" لم تدرك لماذا أحست برغبة في أن تؤكد له عكس ذلك . فتحت قفل السلسلة ثم الباب :

www.elromancia.com

- " لا . لا . هذا على ما يرام ."
- "حسنا "

دخل رأسا إلى حجرة المعيشة ببيتها الصغير ، قبل أن تستطيع تغيير رأيها . وحيث إنه قد صار هناك بالفعل ، لم يشأ أن يطرد كأي مراهق شغوف .

نظر حوله وأعجب بكل ما رأى . لم يكن ذلك البيت الصغير مهيئا وفقا لتصميم أحد مهندسي الديكور ، إلا أنه كان مريحا جدا . وقد أوحى له دفء المكان بأن من أعده على هذا النحو اهتم بأن يشعر الضيف فيه بأنه على الرحب والسعة أكثر من أن يفتتن بجماله .

فبيته هو رغم أنه فسيح وعصري لم يبد له مريحا هكذا . لم يقض فيه أوقاتا طويلة . ربما كان ذلك هو السبب في أن بيته كان يبدو موحشا وخاويا . والغريب أنه لم يفكر قط في مثل هذه الأمور حتى دخل "بيت" "نوويل" الصغير المنظم . لقد توقع لها العيش في مثل ذلك البيت الجميل .

لا يعتذر المرء مطلقا عن فعل أتاه بعد تفكير حذر ، إلا أن "برودي" وجد نفسه يفعل ذلك على غرار المتبع عادة .

- " ربما كان من الواجب أن أتصل بك هاتفيا قبل حضوري ."

مثل هذا التحذير أو الإخطار كان لابد وأن يؤخذ مأخذ الاستساغة لكن .. هل حذر اليونانيون أهل طروادة ؟ أم أن الثور الجالس قد حذر "كاستر" ؟

- " تفضل بالجلوس يا "برودي" "

أشارت "نوويل" إلى المقعد المريح ، ثم جلست ساكنة تماما على الأريكة . اختار أن يجلس إلى جوارها .. ففعل .

أمسكت بجهاز التحكم عن بعد لتطفئ التليفزيون ، ولكنه أصر على أن تتركه يعمل .

- " لا أحب أن أفسد عليك رؤية الفيلم . استمري في متابعته ، لا تشعري بأني هنا . يمكنني الانتظار حتى ينتهي ."

الانتظار ! لعمل ماذا ؟ كانت تتساءل . ابتسم لها وركز اهتمامه على الشاشة الصغيرة كما لو كان السبب الحقيقي لمجيئه هو اللحاق بالنصف الأخير من الفيلم رغم أنه لم يكن على مستوى ملحوظ من الجودة . أرادت أن تعمل بنصيحته حتى تستطيع أن تفكر على الأقل وتهتدي إلى سبب مجيئه في تلك الساعة . لم تستطع أن تتجاهل وجوده .

ارتدى في تلك الليلة بنطلون "جينز" مجعد تماما مع قميص أبيض زاد منكبيه عرضا . استراح على الأريكة وأحد كاحليه علي ركبة الساق الأخرى . كان حذاؤه لامعا للغاية وقدمه مرتعدة . رماها بنظرة تلو الأخرى حتى استحال عليها متابعة أحداث القصة المعروضة على الشاشة .

- " لاتضايقك صحبتي . أليس كذلك ؟ " سألها لما ضبطها تراقبه .

- " لا ."

لماذا يسأل وقد أوحى بل وقال بأنه سيبقى ؟ قفزت واقفة والتفتت تجاه المطبخ وسألت ما إذا كان يرغب في مشروب خفيف .

- " هل لديك مشروب ما ؟ "

- " مشروب غازي ."

- " سيكون مناسبا جدا ."

ولما عادت تحمل كوبا لكل منهما وجدت أنه قد أتى على الفشار بالكامل . استمر في مشاهدة التليفزيون . و أثناء فقرة الإعلانات حاولت أن تقص عليه ما فاته من أحداث الفيلم . شعرت أنها عوضته بذلك عما فاته ورجت أن يعوضها شخص ما عما فاتها .

واتضح لها أن تصرفات "برودي" كانت نتيجة لحافز لا يدركه الشخص العادي . وتذكرت أنها قد رفضت دعوة لقضاء تلك الأمسية معه . فكيف يتأتى أن يكون الآن جالسا إلى جوارها في بيتها يرتشف مشروبا ؟.

كان "برودي" من جانبه يأمل ألا تلاحظ "نوويل" أن الفيلم ليس على المستوى الذي يروقه . كان صعبا عليه أن يتظاهر بغير ذلك . وكان شغله الشاغل أن يظل ينظر إلى "نوويل" في اللحظات التي تظن أنه مشغول بمشاهدة

الفيلم . كانت تبدو فاتنة قطعا في تلك الليلة فكانت مثل طفلة صغيرة عابثة ترتدي قميص والدها .

لقد رآها أما تحسن الرعاية وتنجز مسؤولياتها طبقا لما يمليه ضميرها . ورآها موظفة مسؤولة بالبنك . لكنها راقت له وهي على هذه الصورة أكثر من ذي قبل . بدت عليها شدة الحساسية حتى انتابه شعور بالذنب إزاء رغبته الملحة في إغوائها .. إلا أن الرغبة لا تعني التنفيذ .. فسوف تكون في أمان .

كان لديه الكثير من مبررات عدم التورط في علاقة معها . إلا أن الجو الهادئ في حجرة معيشة "نوويل" ذات الإضاءة الخافتة قد أنساه تماما تلك المبررات .

أي نعم لقد تذكر الآن . "داستي" و"داني" ولديها قلبان أخران لن ينجوا من الجراح .. إذا ترك لتلك العلاقة العنان لتتخذ مجراها . كانت ممن يهدفن إلى الزواج أما هو فيقينا لم يكن يبحث عن زوجة . لقد رأى المتاعب التي تسببها الزوجات أحيانا . آثر أن يترك الحب الحقيقي والحياة المستقرة ويعيش حياة السطحية والخيال كأخيه "رايلي" .

ولقد اتهمه والداه بالتنشئة "دوب" و "روبى" بأنه سوف يتحول إلى عزب ضامر وقد يكونان صائبين اذا ما بلغ الخامسة والثلاثين ، ومع ذلك فهذا أفضل من الطلاق وضياع كل ما يملك .

كانت "نوويل" أبعد ما تكون عن ذلك النوع الرياضي . لذلك قد لا ترضى بعلاقة صداقة ظريفة . شيء رديء للغاية . فأكثر الصفات اجتذابا له كانت مقومات إعراضه عنها وعدم التفاته إليها .

رمقها بنظرات جانبية وهي ترتكن على الوسائد . كان واضحا أنها لم تلبس كل ملابسها الداخلية . فماذا كانت ترتدي تحت ذلك القميص . ربما لا شيء على الإطلاق . حاول أن ينتزع أفكاره من ذلك المجال ويركز اهتمامه على متابعة الفيلم .

وبدأت مشاهد خاتمة الفيلم وأطفأت "نوويل" الجهاز . فقد شاهدا بما يكفي ، وحان وقت تجاذب أطراف الحديث . ربما يفضل "سوير" أن يظل غامضا ، ومع ذلك فسوف تحصل على بعض الإجابات منه وإلا فليذهب

ويضايق غيرها .

- " إذن حدثني عن نفسك " إذا لم يكن هذا السؤال موجزا ومصيبا للهدف فما الذي يكون ؟

- " عن ماذا مثلا "

- " كيف أصبحت مدربا للخيول ؟ "

- " بالصدفة المطلقة . الوالدان اللذان توليا تنشئتي كانت لهما خيول "

أحس "برودي" بأنها لم تعن شيئا بهذا السؤال ، فقد قالته بنبرات صوت من يسأل : " أخبرني كيف أصبحت جادل سلال تحت الماء ؟ "

حاول ألا يغضب لأن الغالبية العظمى من الناس لا يعلمون شيئا عن عملية السباق .

- " وكم من الجياد .. أه .. تدرب ؟ "

- " الكثير . "

كان يريد إن يحدثها عن "سيمارون" وعن نجاحه في ذلك المجال ولكنه خشي أن يبدو متباهيا لو لم يمكنه الحديث بأسلوب بعيد عن الفخار . فقد تعلم في طفولته من قاموس "دوب" و"روبى" أن التواضع يأتي في المرتبة التالية للتُقَى .

- "هل تنتمي الى هذه الناحية ؟ "

- " في "أوكلاهوما" ولدت.. وفيها نشأت " .

تنهدت . لم يكن على هذا المستوى من الإيجاز في الحديث عندما أراد أن يحصل على معلومات شخصية عنها . تذكرت سؤال "دارسي" عما إذا كان هناك المزيد من أمثاله في البيت . كانت تأمل ألا يكون هناك المزيد رأفة بقلوب النساء .

- "وماذا عن الأسرة ؟ "

- " لي شقيق واحد : "رايلي" وقد اتخذنا "دوب" و"روبي" كولديهما عندما كنا صغيرين . هما كل أسرتنا وابنتهما "جلوري" في مكانة أختنا الصغيرة . وإن كانت لم تعد صغيرة إلى هذا الحد الآن . تدرس في مدرسة بعيدة في الوقت

الحاضر وتخطط لأن تكون طبيبة خيول . قليلات من الجنس اللطيف يعملن في هذا المجال .

– " واضح أنها مصرة على ذلك " .

– " نعم . هي كذلك . وماذا عنك ؟ هل لك عائلة ؟ "

– " أنا ابنة وحيدة . طلق والداي . يعيش والدي في كاليفورنيا مع زوجته الجديدة وتعيش أمي في "تلسا" ".

– " ولماذا لا تعيشين معها ؟ قد تعاونك قليلا في رعاية الطفلين " .

وسألها عن أشياء كثيرة أخرى يعتبر الإنسان المتحضر ألاّ دخل له بها .

– " أمي لها حياتها الخاصة . فهي موظفة إدارية مرموقة بإحدى شركات الإلكترونيات وليس لديها من الوقت ما يمكنها من القيام بدور الجدة أو رعاية الأطفال . فضلا عن أنني لو عشت قريبة منها فسأضطر إلى أن أتحمل تعليماتها على نحو يومي . مرتان خلال الشهر كما هو الوضع في الوقت الحالي يعتبر فيه الكفاية لتردد على مسامعي كيف تزوجت الرجل غير المناسب وحطمت حياتي ".

– " إنه لأمر سيء ألا يكون معك من يعاونك "

– " لست بحاجة إلى أية معاونة " .

– " اذن لماذا فعلت ؟ "

فاتها أن تفهمه فسألت :

– "لماذا فعلت ماذا ؟ "

– " تزوجت الرجل غير المناسب . حتى لو لم تحطمي حياتك أعتقد أن زوجك السابق مراوغ في سداد النفقة ولأكتمك سرا إذا قلت لك إنه من الصعب على أن أفهم . كيف يتأتى لإنسان أن يكون من المهارة بحيث يتزوج امرأة مثلك ثم يكون غبيا إلى الحد الذي يجعله يدعك تتركينه " .

ابتسمت في سخرية :

– " لم يكن هناك مجال لـ"يدع" هذه . هناك حد حتى لقوة تحملي " .

– " هل تجاوزته بعد ؟ " سأل مبتسما .

– " علي وشك أن . ولكني سأتركك تشك في ذلك لو أنك صارحتني بسبب مجيئك إلى هنا " .

– " لم أستطيع ألا أجيء "

كان صدقه واضحا رغم ارتباكه .

– " فهمت " .

– " أخبريني المزيد عن زوجك السابق هذا . "

– " ولماذا ؟ "

– " حتى أستطيع أن أفهمك . "

لم يعرب لها رجل قبله عن رغبة في أن يفهمها .

وجدت نفسها تجيب عن كل أسئلة "برودي" قبل أن تفكر في ألا تفعل .

– " كان زواجنا خطأ منذ البداية ، ولكني ألوم نفسي قبل أن ألوم "ستيف" على ما حدث . "

– " استمري" قال "برودي" ضاغطا

لم تكن تريد أن تسترسل في ذلك الحديث إلا أن نبرات صوته الرقيقة دفعتها بل شجعتها على ذلك .

– " كان يجب أن أكون الطرف الأكثر تعقلا . عندما صارحني "ستيف" بحبه لي وعرض علي الزواج منه ، أوقعت به ظلما مجحفا إذ قبلت " .

– " هل يرضيك أن تكوني الملومة دائما . اعتقدت أن عملك لابد وأن يكون قد علمك كيف تتهربين من المسؤولية " .

جعلت ملاحظته تمر دون ما تعليق منها . كانت تعلم أن من لم يعمل في منشآت مصرفية من أمثال "برودي" لم يكنوا لهذه الأعمال الكثير من التقدير .

– " لم يكن "ستيف" أهلا لتحمل المسؤوليات ولكنني اعتقدت أنه يمكنني أن أغيره .. أن أعطيه هدفا . ولشد ما كان خطئي إذ ظننت إن أجلا أو عاجلا ستتوحد أهدافنا في الحياة " .

– " وكيف ذلك ؟ "

انطلق مقتربا منها يفحصها بتركيز .

www.elromancia.com

– " كان أملي أن يكون لي بيت صغير ذو حديقة خلفية ويكون لي الاستقرار والأولاد . ذلك لأنني افتقدت في طفولتي طابع الضواحي هذا . كان والدي يذهب إلى عمله وتبقى أمي في البيت تصنع الكعك والفطائر وتخرج أحيانا لحضور الاجتماعات ".

– " حتى ذلك لم يكن متوافرا لي ".

– " وهذا ما جعلني أعتقد أن ذلك هو المثل الأعلى الذي يجب أن أجاهد في سبيل بلوغه . كنت على استعداد لأن أعمل وانتظر حتى يتحقق . لكن "ستيف" كان يتطلع إلى الثروات الطائلة والنفوذ . لجأ إلى الطرق السريعة . وقد استغرقت وقتا طويلا لأكتشف أن كثيري الأحلام كانوا دائما فوق مستوى العمل الشريف ".

– لا بأس من أن يكون للمرء بعض الأحلام ". قال "برودي" بهدوء " أنا شخصيا لدي البعض منها ، لكن الفرق كبير بين من يحلمون فقط وبين من يخططون لتحقيق أحلامهم ".

نظرت مفكرة .

– " أنت على حق . لكن "ستيف" كان أسوأ الأمرين . لم يستطع أن يفرق بين ما يريد أن تكون الاشياء عليه وبين ما هي عليه فعلا . استغرقت طويلا لأكتشف أن أحلامنا كانت متباينة ".

صمت "برودي" عدة لحظات كما لو كان يتدارس ما قد قالته حالا .

– " إنه مريح جدا ".

– " ما هو ذلك ؟ "

– " إنكما قد انفصلتما بسبب هذه الفوارق الجوهرية . كنت سأكره أن أكون قد انجذبت إلى امرأة تهجر رجلها بسبب أنه يقلم أظفاره في الفراش مثلا ".

وانفجرت "نوويل" ضاحكة بعد عدة ثوان من التفكير المركز . هل كان يقلقها أن تطورت الأمور على هذا النحو الشخصي جدا والجاد جدا ؟ لتترك الأمر لـ"برودي" ليحول دون حدوث ذلك .

– " كنت تعملين في البنك إذن ... بينما كان زوجك يتفرغ ليحيك مخططاته ".

– " تقريبا فقد كانت لديه دائما صفقة يعد لها ، ولكن لم تنفذ من تلك الصفقات الا القليل النادر . وباقتراب النهاية كان لي عمل طوال اليوم وطفلان وفواتير واجبة السداد . كنت بذلك مشغولة إلى حد لم أهتم معه بما كان يفعل . ثم انهارت صناعة الزيت ، وتحول تجاره إلى صناعة الأخشاب . وبعد ذلك استقر في المنزل يندب حظه التعس ".

– " كيف تخلصت منه إذن ؟ سأل "برودي" بدهاء .

– " لم أكن بحاجة إلى أن أفعل شيئا من ذلك . فقد عدت من عملي في أحد الأيام فوجدت سيارة تقف في الممر الخاص بنا . كان مقعدها الخلفي محملا بمتعلقاته ، بينما جلس هو وشقراؤه ينتظرانني بالمقعدين الأماميين ".

– " لا تتوقفي هنا . ماذا فعلت ؟ " غمز بإحدى عينيه قائلا :

" أراهن أنك قد أشبعتها سبا ".

– " لم أفعل شيئا من هذا على الاطلاق " قالت ضاحكة . ولأول مرة كان لذكرى ذلك اليوم مثل هذا التأثير عليها .

– " إليّ به الآن . لا تنسي أنني كنت على الطرف المستقبل لغضبك ذلك اليوم . هيه ! هل طردت الشقراء ؟ "

– " كيف يمكنك أن توجه لي مثل هذا السؤال ؟ الأناس المتحضرون لا يطرد بعضهم بعضا ".

دقق "برودي" النظر إلى عينيها فرأى بريقا مفرطا يتألق فيهما .

– " لكنك فعلت ! ربما ضربتها أيضا . أليس كذلك ؟ "

ابتسمت في حياء وقالت :

– " حسنا .. لقد سعت هي إلى ذلك . إلا أني لم أفقد السيطرة على أعصابي حتى بدأت تشكو كيف أني والأولاد كنا نسيء إلى "ستيف" المسكين . إن اختيارها للألفاظ التي خاطبتني بها هو الذي جلب عليها ما جلب . وفي النهاية وعدت بأنها سوف تعمل على معاونته في تحقيق أحلامه ".

تمنى "برودي" لو أنه لم يطرق الموضوع . فقد آلمه أن يفكر في أنها قد اهتمت يوما ما برجل غيره إلى حد يجعلها تشترك في مشاجرة من أجله .

– " سخرية امرأة وكل هذه الأشياء . أليس كذلك ؟ "

– "ليس بالضبط . فقد كان ذلك يشبه يوما من العمل الشاق بالبنك . إلا أني شكرتها إذ تولت عني مسؤولية إسعاد "ستيف" . كنت قد بدأت عملي على أساس اليوم الكامل كما كنت قد رزقت بهذين التوءمين " .

قدر "برودي" وقع هذه الظروف على امرأة في رقة "نوويل" .

– " لنكف عن الكلام في هذا الموضوع . حدثني عن أسرة "روبرتس" "

– " ليس هناك الكثير مما يقال . يمتلك "دوب" و"روبي" محطة لاستيلاد الأفراس الربيعية بالقرب من "تورمان" . لقد هيأ لي ولأخي "رايلي" البيت عندما احتجنا إليه . جعلانا جزءا من الأسرة . وعلمتنا "روبي" الأخلاق وحسن السلوك وعلمنا "دوب" كل ما نعلمه الآن عن الخيول " .

أحست "نوويل" بأنها لن تعلم منه أكثر من ذلك فيما يتعلق بحياته الخاصة ماضيها أو حاضرها . لذا رأت أن تغير مجرى الحديث ليتناول أحوال مناخ "أوكلاهوما" المتقلب وغيره من الموضوعات الشيقة الأخرى .

وعندما استنفدا كل ما يقال جذبها "برودي" إلى ذراعيه هامسا

– " تعالي يا "نوويل" . "

– " لا . لا أستطيع " همست وهي تدفع صدره بكفيها بينما كانت تواقة لأن تذوب في قبضتيه .

التقط كفيها ووضعهما حول رقبته .

– " تعلقي بي جيدا . سنفعل شيئا غير عادي . شيئا كلانا يحتاجه بشدة " .

– " لا أستطيع ... الأولاد .. "

حاولت أن تتركه ولكنه حال دون ذلك . فقد وضع يدا خلف عنقها وجذب رأسها إليه حتى استقرت على كتفه .

– " سيكون مجرد عناق " قال مفسرا بينما راحت شفتاه تمسدان صدغها ويداه تربتان ظهرها :

– " آه " همست وقد ضمت عنقه بشدة "عناق ؟ لقد اعتقدت .. "

– " أعلم ما اعتقدت لكن اطمئني . لن أدفعك أبدا إلى ما لا تريدينه " .

أحست صدقه في عمقها وتمنت لو لم تتركه أبدا . لم تلتق بإنسان في مثل قوته منذ زمن بعيد ولم يكن لديها من يعرض عليها السلوى . فزعت إذ تبين لها شدة توقها إليه . مدت يدها وربتت فكه القوى فانتفض كما لو كان تعرض إلى لمسة قضيب محمي .

أبعد ذراعيها عن رقبته ووقف فجأة :

– " الأفضل أن أنصرف الآن والأمور مازالت في مجراها الحسن . والآن شكرا على الفشار ، وعلى الصحبة ، وعلى هذا العناق " .

عندما همت "نوويل" بالنهوض منعها بإشارة من يده على نحو إشارات شرطي المرور .

– " لا عليك . سأخرج بنفسي " . سار إلى الباب الخارجي ثم توقف وعاد إليها ثانية . احتوى وجنتيها في يديه الكبيرتين اللتين ترك عليهما العمل الشاق بصماته . قبل شفتيها مسرعا وبعنف .

– " تصبحين على خير يا "نوويل" وأشكرك ثانية " .

وكما حضر على نحو غير متوقع انصرف كذلك ، استلقت "نوويل" على الأريكة تسيطر عليها الحيرة والدهشة . كيف بدالها ذلك البيت الصغير خاويا الآن . لم تزل قبضة ذراعيه عليها وحرارة قبلته تعيشان فيها .

شعرت بتوتر متزايد طوال تلك الليلة وتساءلت كيف يمكن تحرير ذلك التوتر على نحو مهذب . لن تقلق على ذلك فهي تعلم مصير البالونة المنتفخة عندما تتعرض لوخزة دبوس مفاجئة .

لم تفهم لماذا انصرف على هذا النحو المفاجئ . هل كان ذلك بسبب شيء قالته ؟ أو شيء كان يجب أن تقوله ولم تقله ؟

لقد عرفت المزيد عنه ، وأثار ذلك فضولها . كان لغزا حقيقيا . صادقا مع كونه غامضا . جامدا مع حساسيته الشديدة . عطوفا لحظة ثم فظا أخرى . قد تجن من تحاول فهمه ، ربما يجب ألا تفعل .

انتظر "برودي" في شاحنته الصغيرة حتى انطفأت جميع أضواء منزل "نوويل" ثم اتجه عائدا إلى منزله . لم يدرك لماذا انجذب اليها إلى هذا الحد .

www.elromancia.com

ولكنه علم فقط أن لا غنى لحياته عنها .

وبمجرد أن غادرها شعر بغباء فعلته لماذا تصرف هكذا ؟ لقد شرب وتعشى مع كثيرات من النساء كما ضاجع من شاء منهن ، لكن "نوويل" كانت الأولى في حياته التي تاق إلى مجرد عناقها .

وبينما هو يقود سيارته في طريق عودته إلى بيته كان يتساءل لماذا يضيع وقته وجهده قلقا على رغباته المعقدة ألم يكن لديه من المتاعب ما يكفي ؟ ألا يكفيه "رايلي" ومشاكله أيضا ؟

قرر أن ينسى "نوويل" . ولا شك أن عودته إلى عمله في اليوم التالي سوف تعينه على ذلك . فلديه عدد من الأمهار الجاري تدريبها ، كما عليه أن يتابع الاستعداد للسباق الاستقبالي الأمريكي . باختصار شديد إن وقته لا يسمح الآن بمغازلة النساء حتى لو شاء .لكن لو لم تكن "نوويل تشاندلر" مخلوقة للمغازلة لأكل قبعة ثمنها مائتا دولار .

الفصل الخامس

قاد "برودي" سيارته مبتعدا عن منزل "نوويل" . كان مشحونا بخليط من العواطف . أعجب بنفسه أن كان حكمه على النساء صائبا على طول الخط . بل وكان تقييمه دقيقا للغاية . ستتطلب "نوويل" مغازلة من نوع خاص . يا للجحيم ! إنها تستأهل ذلك .. وهذه هي المشكلة الأساسية .

حتى وإن كانت لديه الرغبة في ذلك فلن يتوفر الوقت .

كان في قمة انشغاله بتدريب الأمهار الصغيرة التي كان يأمل لها الفوز في أكبر سباق للأفراس الربيعية من هذه الفئة وهوالسباق الاستقبالي الأمريكي الذي سوف يقام في منخفضات "رويدوسو" بـ"نيومكسيكو" .

إذا فاز فسوف يحصل على الميدالية الفضية البراقة وعلى نصيب المدرب الذي يبلغ عشرة في المائة من إجمالي قيمة الجائزة البالغ قدرها مليون دولار .. للسنة الثالثة على التوالي .

الفوز للمرة الثالثة أمر حرج جدا . من المعروف أن سباق الخيل تحكمه الظروف غير المتوقعة والمفاجآت . لذلك يعزى الفوز بجدارة للمرة الأولى إلى حسن الحظ ، والفوز للمرة الثانيةعلى التوالي يعتبر مصادفة سعيدة ، أما الفوز للمرة الثالثة فلا شك أنه يدفع المتشككين إلى تسجيل ملاحظاتهم . يمكن أن يصنع "برودي" هذا العام شهرة ، ويثبت إلى الأبد أن "برودي سوير" ليس ظاهرة عابرة .

يبدو أن حياته العاطفية أيضا كانت تسير وفق هذا المبدأ . لقاؤه بـ"نوويل" كان صدفة من صنع القدر . مجرد رقم هاتفي خطأ كان من الممكن بل من المفترض ألا يكون بالمدينة ذلك اليوم ليجيبه لولا تلك المشكلة التي طرأت فأخرت رحيله .

فقد كان وجوده الطبيعي في هذا الوقت من العام هو "رويدوسو" حيث يبقيه عمله هناك خلال المدة من شهر مايو ، وحتى يوم عيد العمال الأمريكي الذي يوافق أول أيام الاثنين من شهر سبتمبر . لا يعود خلالها إلى "أوكلاهوما" إلا

www.elromancia.com

يوافق أول أيام الاثنين من شهر سبتمبر . لا يعود خلالها إلى "أوكلاهوما" إلا نادرا .

وكانت هذه مشكلة أخرى . كيف يمكن أن يقيم العلاقة التي يمليها افتتانه بـ"نوويل" ما لم يكن مقيما بنفس الولاية التي تعيش فيها . لقد قرأ في المجلات التي كان يتصفحها خلال رحلاته بالطائرة مصطلح العلاقة التبادلية ، لكنه لم يعلم إلى أي مدى نجحت مثل هذه العلاقات . باختصار شديد لم يكن هناك وقت أسوأ من هذا كي يلتقي فيه بـ"نوويل" .

لو فرض أنه طرح المنطق جانبا ، فقد كان هناك عائق كبير آخر يعترض سبيل علاقته بها . لقد أحس بعدم استحسانها مهنته التي يحبها . وإن كانت لم تفصح عن احتقارها لعمله هذا صراحة ، إلا أنه تألم لذلك إلى الحد الذي يجعله يرفض الاعتراف به .

لم يكن لديها أدنى فكرة عن طبيعة عمله أو عن مدى اتقانه له ونجاحه فيه . إلا أنه لما لاحظ تسرعها في الحكم عليه باستنتاجات خاطئة ، احتفظ بهدوئه ، وتركها تتمادى . لماذا لم يخبرها عن "سيمارون" ؟ عن نجاحه ؟ عن علب الميداليات التي تنطق بالأدلة على أنه لم يكن مجرد شخص خيالي يعتمد في رزقه على حسن الحظ ؟ حقيقة لم يكذب عليها ولكنه لم يخبرها في الوقت ذاته بالحقيقة كاملة .

هل خشي أن يجدها مثل معجبات حلبة السباق اللائي يبدين اهتمامهن وافتتانهن به في حالات الفوز فقط ؟ المال والأضواء لهما تأثير فعال على بعض النساء . لم يكن بالأمر السهل على نفسه أن يعلم أن من بين النساء من يقبلن صداقة أصحاب الخيول ومدربيها وراكبيها في حالات الفوز فقط وأن النجوم الفعليين في هذا المجال لانتاح لهم الفرصة الحقيقية مع النساء .

وفي الوقت الذي بلغ فيه بيته كان قد وصل إلى حد الاعتراف بأن تقصيره في أن يعرفها حقيقة عمله ومنزلته كان منشؤه الخوف . الخوف من أن تحتقره أو تحتقر عمله كأحد أفضل مدربي الخيول على الإطلاق . الخوف من ألا يلبي توقعاتها الرفيعة أو أن يخذل فكرتها عن الأناقة .

وبعد أن قضى بضع ساعات مستلقيا يفكر في جميع الاستفسارات والاستنكارات توصل "برودي" الى قرار مؤداه ألا يتخذ أية قرارات . لقد لعب القدر لعبته فرتب أول لقاء بينهما . لم لا ينتظر إذن ؟ ويرى كيف سيكمل القدر تلك اللعبة ؟ سيترك الأمور تسلك مسارها الطبيعي.

التقى صباح اليوم التالي بذلك الرجل الغضوب صاحب أحد الأفراس الذي كان "رايلي" قد وعده وعودا مستحيلة التنفيذ وهو في إحدى حالاته المتسمة بوهم العظمة . وقد كلفته تهدئة ذلك الرجل الكثير من الحديث اللبق الظريف، فضلا عن غذاء فاخر في أحد المطاعم .

استقل "برودي" الطائرة بعد ظهر ذلك اليوم قاصداً "نيومكسيكو" حيث يجب أن يوجد ويكون في أمان تام من التفكير في تلك الشقراء إزاء حجم العمل الذي سوف يستولي على كل اهتمامه ويشد كل انتباهه .

هذا ما ظل يفكر فيه مدة أحد عشر يوما من العمل الشاق .ليس لأنه لم يكن جادا في محاولته نسيان "نوويل" بل لأنه ظل يذكر نفسه بأنها لم تكن ذلك النموذج المناسب له . فقد كانت تنتمي إلى النوع الزواجي فضلا عن أن لها ولدين بحاجة إلى شبح والد موجود كل الوقت . وهو دور وإن بدا مغريا بادئ الأمر فإنه يستحيل تطبيقه عمليا . عمل واحد كل الوقت يكفي .

أقسم "برودي" على أن تبقى "تورطاته" – التي رفض أن يسميها علاقات – خفيفة وخالية من الالتزامات . لكن مثل هذا القسم يضعف وينهار عند أول فرصة ، ومع عدم المساس بإحساسه وهو يضم "نوويل" بين ذراعيه والذي ظل يلازمه ، ويشعوره بأنه قد أصاب بضمها إلى صدره ، فقد أثارت فيه أنوثتها مشاعر القوة والرجولة الفعلية . ولم يكن ذلك بالأثر اليسير الذي يتركه فيه عناق واحد .

وبقدر ما حارب رغبته في "نوويل تشاندلر" بقدر ما زادت تلك الرغبة . كان يريد أن ينقب عن الإمكانات على الأقل . هكذا اقتنع ولن يكون ذلك بالأمر اليسير لو أخذت تجربتها السابقة مع حالم مختلف عنه تماما في الاعتبار . يتعين أن يكون تقدمه بطيئا .فقد كانت عرضة لأن تجفل بسهولة مثل سهولة

الجياد التي يدربها . يجب أن يفوز بثقتها أولا ، ثم يقذف إليها بالحقيقة كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة .

تلمس عذرا معقولا ليعود إلى مدينة "أوكلاهوما" . وبمجرد أن هبطت الطائرة أرض مطار "ويل روجرز" توجه رأسا الى الباب الخارجي لمنزلها وقرع . يمكنه الآن أن يتخذ قرارا رغم سابق قراره بألا يقرر شيئا .

لم يسمع صوتها على الجانب الآخر للباب إلا بعد مضي بضع دقائق .

– "من هناك ؟" سألت وقد نسيت أن تطل من خلال العين السحرية التي ركبت بالباب مؤخرا .

– "برودي"

نظرت من خلال العين السحرية لتتأكد . لقد كان "برودي" فعلا هناك يرتدي قبعته كما لم يفعل أي راعي بقر قبله . كانت هذه المرة رمادية اللون لتناغم معطفه الأنيق الغربي ، والـ"جينز" الأزرق الضيق والقميص الأبيض مع رباط العنق الطويل ، لم تكن تصدق لو لا أن ابزيم حزامه المصنوع من الفضة الخالصة كان صارخا بشكل مثير .

رأته مبتسما كما لو كان يقول لها "لا تكوني مجنونة . أنت تعلمين كم تحبينني" كانت ابتسامته تفيض زهوا بالذات ومع ذلك كادت تكون فاتنة .

كانت أول فكرة تطرأ لها هي أن تفتح الباب لتستمتع بلقه ثانية في وجهه . فقد مر أسبوعان دون أن تسمع منه كلمة واحدة . وها هوذا جاء يتسلل إليها بغتة وبمظهر يفوق ما يحق له أن يبدو عليه .

– "برودي" ؟ " قالت بلهجة المتحيرة " "برودي" من ؟ "

– "سوير" .. إذا لقد تأثرت السيدة بعدم زيارته لها . مؤشر جيد لا شك .

– "أي نعم ؟." لم يكن يعلم كم من المشاعر قداعتملت في داخلها عندما رأته- "مارق حديقة الحيوان ! "

– "لم يكن ذلك ما كنت أمل أن تتذكريني به بالضبط . ولكنك تذكرت على الأقل . هل ستدعينني أدخل ؟ "

كانت تفكر في المجعدات التي ثبتتها في شعرها وفي وجهها الخالي من

المجملات وفي ثوبها البالي .

– "إني أتدارس الأمر "

وعندما رأته يهز كتفيه ويخطو بعيدا عن الشرفة فتحت الباب مسرعة . فلم تهتم بما قد بدت عليه من مظهر مادامت ستراه ثانية دون حواجز بينهما .

– "لقد عدت إلى المدينة منذ لحظات " ، قال ذلك دون أية مقدمات ، بينما أخذ يسير نحو الداخل . " فكرت في أن أمر عليك عسى أن تكوني راغبة في تناول العشاء معي بالخارج ".

– "أسفه فإنني على موعد خلال ساعة ". لم تحجب عنه متعمدة أن هذا الموعد كان مع "دارسي" . إلا أن التعبير المظلم الذي اجتاح وجهه جعلها تسر بأنها قد فعلت .

– "هل هذا الموعد مع شخصية ذات أهمية خاصة عندك ؟ " سأل "برودي" بعدم اهتمام متعمد .

– "أي نعم . مهمة للغاية " رأت لون وجهه يميل الى السواد قبل أن تضيف : "إنها "دارسي ديورانت" أعز صديقاتي . وسيضايقها جدا ألا أذهب " .

هي ! شعر براحة عميقة أن "نوويل" لم تكن على موعد مع رجل ما . غفر لها إجابتها المضللة .

– "أعتقد أن دعوتي لم توجه مسبقا بفترة كافية ".

– "نعم . وللمرة الثانية " قالت مذكرة إياه بدعوته الأولى لها .

– "ربما كان يجب أن أتصل هاتفيا ؟ " وقف ممسكا بقبعته وهو يسأل نفسه ، لماذا لا يقرع الأرض بقدمه . إن جدول السيدة مزدحم هذا المساء .

– "قطعا ".

– "هكذا إذن يجب أن تسير الأمور . هيه ؟ " كان سؤاله من البراعة حتى جعل "نوويل" تبتسم رغم أنها كانت متكدرة جدا في وقت سابق على مجيئه .

– "بين المتحضرين من الناس . اجلس يا "برودي" أريد أن أوجه إليك سؤالا جادا "

اتخذ مقعدا وجلس بحذر . سيطر عليه قلق مفاجئ ترى ما عسى أن يكون

ذلك السؤال .

– " نعم " .

أخذت يديه في يديها ونظرت في عينيه بعمق . كان الأخضر يغلب اليوم على لونهما البني .

– " هل تكن في أعماق نفسك عداء دفينا لاختراع " الهاتف " ؟ إن كان الأمر كذلك يجب أن نناقشه على الفور " .

ضحك وشعر بالارتياح أنها لم تكن غاضبة منه .

– " لقد كان مجيئي الآن تهورا وغالبا ما تعوق الهواتف النزوات " .

غفرت له "نوويل" ، فقربه منها وحضوره بشخصه أفضل عندها من مجرد سماع صوته عبر الأسلاك .

– " لقد انقضى قرابة الأسبوعين منذ أن سمعت منك آخر مرة . ظننت أنك غير مهتم بأن تراني ثانية " .

– " بل . ومهتم جدا " كانت سعادته لرؤيتها غامرة جدا ، رغم المجعدات التي تعلو رأسها ، ورداؤها غير المناسب .

– " أعتقد أنني بحاجة إلى تفسير منك " .

– " في الواقع إنني أقضي خارج المدينة وقتا أطول مما أقضيه داخلها . أكون طوال الصيف في "نيو مكسيكو" . وباقي الوقت في المنطقة الجنوبية الغربية أتابع سباقا أو آخر . أسلوب حياتي لا يوحي بالضبط بعلاقات مستديمة . وكان انطباعي عنك أن هذا النوع الأخير هو ما يستهويك " .

– " لغز . هيه ؟ إذا كانت هذه هي رسالتك إليّ ، فلماذا جئت الآن ؟ "

– " جئت لأني تقت إلى رؤيتك ثانية . أريد أن أعرفك . "

نظر إليها بصدق . ذابت نظرته في نظرتها

– " ومن جميع النواحي " .

ما أوحت به كلماته جردها من كافة أسلحتها الدفاعية .

– " تريد أن تصل إلى لب الموضوع ، أليس كذلك ؟ "

– " أنا من ذلك النوع الصريح من الرجال ، ولا وقت لدي للعبث . فما رأيك في

ذلك ؟ هل من جانبك تحبين أن تتعرفي عليّ بدرجة أكبر ؟ "

– " ألا يكون ذلك عسيرا بعض الشيء على ضوء ما قلته لي حالا ؟ "

بدا قربه منها وكأنه يسلبها القدرة على التنفس . بدأ نبضها يتسارع ودقات قلبها تتزايد . شعرت وكأنها تتسلق تلا عاليا عدوا .

– " ربما . ولكني أعتقد أنه يستحق منا ذلك الجهد . بالنسبة لكلينا " .

– " ولداي في المقام الأول من كل اعتبار "

– " بالتأكيد فقد فكرت فيهما أيضا . انظري. إذا تناولنا الأمر بعيون يقظة بلا وعود ولا شروط فلن يضار أحد " .

– " لا إيداع لا عائد ؟ " أرادت أن تقتنع . لقد خاضت ورطة جادة واحدة في حياتها انتهت بالزواج . لم تكن تعتقد أنها تستطيع تقبل فكرة العلاقات المتاحة لتكون تحت تصرفها عند الحاجة إليها فقط .

– " بالضبط هكذا . لننس ما يتعلق بالآمال البعيدة ، ونفكر فيما لدينا والآن . فما الضرر الذي يمكن أن يصيبنا لو استمتعنا ببعض وقتنا معا ؟ " قال ناظرا إليها بتركيز " يمكنك الاستمتاع ، أليس كذلك ؟ "

– " نعم . إذا أجبرت على ذلك " .

– "عظيم . الإجبار هو اسمي الثاني . مارأيك إذن في هذا المساء ؟"

– " لقد وعدت "دارسي" بأن أحضر حفلها الليلة . فهي مغنية ."

أومأ ثم هز كتفيه . كان عاجزا عن أن يخفي مقدار ضيقه .

– " وغدا ؟ تذكري . لن أبقى في المدينة طويلا " .

– " لا أحب أن أترك الطفلين مع الجليسة ليلتين متتاليتين "

قالت "نوويل" ثم سألت :

–" هل تحب أن تأتي معي ؟ "

انتشرت الابتسامة تدريجيا حتى كست وجهه .

– " أحب " وهنا تذكر فجأة أنه لم يتناول شيئا منذ طعام فطوره فسأل :

" هل يمكنني أن أتناول شيئا من الطعام هنا ؟ "

– " بالتأكيد يمكنك . فالأولاد وأنا كنا على وشك الجلوس إلى المائدة لتناول

العشاء . مارأيك في وجبة من البيتزا ؟ "

– " عظيم جدا . إنها إحدى ماكولاتي المفضلة " .

وهنا دخل الطفلان فقطعا الحديث .

– " نعم ! صرخ "داستي"

– " إنه هو " .

– "حسنا ." قال "داني" وهو ينظر الى "برودي" :

– " لقد أخبرت "داستي" إنك بالخارج "

– " أنا الذي قلت ذلك أولا " أصر "داني"

– "لم تقل ."

– " قلت ."

ابتسمت "نوويل" نحو "برودي" ابتسامة تنطق بمقدار معاناتها ثم قالت :

– "هل ستظلان تتجادلان هنا ؟ أم أنكما ستهدآن لتتناولا معنا البيتزا؟"

– "هل ستتعشى معنا حقا ؟ " أراد "داستي" " أن يعرف ، فسأل بعينين مفتوحتين من شدة الدهشة . فقد اعتقد أن هذا العشاء الجماعي هو الخطوة الأولى نحو الأبوة المرتقبة .

وضع "برودي" قبعته على الأريكة وانحنى نحوهما :

– " إذا كان ذلك مناسبا لكما "

– " نعم . إنه مناسب " أدار "داستي" بيده الصغيرة صدغ "برودي" نحوه

– "هل ستصطحب ماما لتسمع "دارسي" تغني ؟ "

– "نعم " قال "برودي" بأفضل أصوات رعاة البقر .

– " نعم ! " وفي ذروة دهشتهما وسعادتهما لوى عنقه فشعر بأن قلبه ينقبض . لم يكن يحلم بأن عناق الطفلين الذي ينطق برائحة الصابون يمكن أن يؤثر عليه الى هذا الحد . نظر الى "نوويل" فرآها عابسة فبادرها :

– " هناك من هو سعيد على الأقل ."

لم تشعر بالارتياح إزاء تقبل الطفلين الفوري له . اذا لم تجر الأمور على ما يرام يمكنها أن تعيش خيبة الأمل التي قد تترتب على ذلك . كانت على

استعداد لأن ترتكب الأخطاء مادام "برودي" أحدها . لكن "داستي" و"داني" موضوع آخر. لقد جرحا فيما سبق ، وعليها أن تحترز من أن يصيبهما أذى جديد .

لامت "نوويل" نفسها على أنها قد أبقته بالمنزل أكثر مما كان يجب. لم تكن أفضل من "داني" منطقا . ومع ذلك حاولت التظاهر بالسعادة فقالت :

– "البيتزا تنادينا ."

– " ماما " قال "داستي" في أسى .

– "البيتزا لا تستطيع الكلام ."

لكن الصغار يستطيعون دون شك ، فقد حالت ثرثرتهما النشطة من أن يكون للكبار نصيب من الحديث أو الأفكار أثناء تناول العشاء. كان "برودي" يأمل أن تتاح له الفرصة ليلمح لها بما كان يشغل وقته على مدى الأسبوعين السابقين ولكن دون جدوى .

– " كنا ننظر من ثقب باب حجرة نومنا عندما حضرت المرة السابقة " قال "داني" محاولا أن يوحي بأقصى ما يمكنه من وقار من خلال وجهه الملوث بالبيتزا . "وعندما رأيناك تعانق "ماما" ظن "داستي" أنك ستكون والدنا الجديد."

– " وكذلك ظن "داني" أضاف أخوه

– " لكن ماما أوضحت لنا بأنك قد لا تكون والدا لأحد "

– " لقد قالت لهما . " قالت "نوويل" مقاطعة

– "إن أسلوب حياتك المثقل بالعمل قد لا يتيح لك بأن تكون الأبوة ضمن خططك"

ثم اتجهت إلى الطفلين في خجل وقالت : "إذا كنتما قد انتهيتما من تناول الطعام فاذهبا واغسلا أيديكما ونظفا أسنانكما جيدا بالفرشاة ".

– وبعد ذلك هل يمكننا أن نري "برودي" حجرتنا ؟ " سأل "داستي"

– " أرجوك " وألح "داني".

أزالت "نوويل" الأطباق عن المائدة وملأت بها المغسلة كي تظل بعيدة بعض الوقت عن متناول نظرات "برودي" الفاحصة .

– " لا أعتقد أنه يهتم بمثل هذه الأمور " قالت بصوت رقيق .

– " إني أتحرق شوقا لرؤية حجرتكما يا رفيقاي " . قال "برودي" بلهجة جادة . فقد وجد فيهما الحلف الذي ينشده ليلجأ إليه كلما احتاج عونا . لم تكن له الخبرة الكافية بأمور الأطفال إلا ما اكتسبه من خلال طفلي زوجة "رايلي" اللذين لم يعتبرهما مقياسا للأطفال الأسوياء .

تبع الطفلين إلى حجرة الحمام ليشرف بنفسه على النظافة المرتقبة . أعجب بالأيدي الصغيرة التي امتدت اليه طلبا للفحص والثناء و بالفمين المفتوحين حتى أقصاهما ليعرضا مدى النظافة التي أنجزاها .

– " إنجاز هائل " قال مشجعا وقد شعر بتأثير عميق لتلك البراءة الحلوة عليه . واضح أن نظافة الأسنان كان من الطقوس الليلية الثابتة . انقبض قليلا لما لم يتذكر شيئا من هذا بطفولته . هل اهتم به أحد إلى الحد الذي يقلقه على تسوس أسنانه ؟

– " يمكنك أن تقبلنا لو أردت " . عرض عليه "داستي" مبتسما . "ماما تقبلنا دائما . فهي تحب القبلات المعطرة برائحة معجون الأسنان " .

– "نعم " . قال "داني" متحمسا " إنها أفضل نوع من القبلات " .

– " يجب أن أتذكر ذلك دائما " قال "برودي" ثم قبل الطفلين وقال : إن قبلاتهما تنطوي على حلاوة من نوع خاص لا تعزى إلى نكهة معجون الأسنان وحده .

وبعد عدة دقائق كان معهما بحجرة نومهما يحاول الاستجابة إلى كل من "انظر إليّ" و"راقبني" وما إلى ذلك .

– " هل تحب تلوين الصور ؟ " قال "داني" وهو يجذب علبة أقلام ملونة من فوق أحد الأرفف ، أفرغها بالكامل على نضد من حجم أثاث الأطفال موضوعا بأحد أركان الحجرة .

"لدينا كراسات " الرجل الخفاش" " تلونها . إنها جميلة ".

وجذب "داستي" مقعدا صغيرا قائلا :

– " يمكنك الجلوس على مقعدي هذا يا "برودي" ".

– " اجلس على مقعدي أنا فهو أكبر " ، قال "داني" جاذبا مقعدا يماثل مقعد أخيه تماما .

– " ليس أكبر . "

– "بل أكبر . "

ثم تدخل "برودي"

– " أعتقد أني كبير جدا عن حجم مقعديكما يا رفيقاي . "

بدا عليهما وكأنهما مقدران ذلك .

– " نعم " قال "داستي" قد تكسره مثلما كسرت "جولديلوكس" مقعد الدب الصغير "

– "فعلا لماذا لا تجلسان على مقعديكما وأجلس أنا على الأرضية ؟ "

– " نعم " . قالا في صوت متحد " سنجلس جميعا على الأرضية " .

واندفع الطفلان يجلسان إلى جوار "برودي" وبدأ يشرحان له ضرورة الالتزام بالتلوين داخل الخطوط المحددة للرسم .

عندما انتهت "نوويل" من غسل الأطباق توجهت إلى حجرتها تستعد لقضاء الأمسية . نظرت إلى المرآة وهالها منظر وجهها غير المنمق ضحكت . واندهشت أن "برودي" لم يستقل شاحنته ويغادر المدينة كلها بعد أن ألقى عليها النظرة الأولى ذلك المساء . ترى ما الذي كان يدور بخلده عندما أخبرها بأنه يريد أن يعرفها جيدا ؟

جلست إلى مزينتها وأقسمت أن تجعله يشعر بالسعادة إن بقي .

كان النادي المقرر أن تغني فيه "دارسي" تلك الليلة مشيدا فوق ربوة مرتفعة قليلا . فارتدت "نوويل" ثوبا جديدا مؤلفا من جونلة وصدرة بلون الرمال من الجلد ذي حاشية جميلة ، ومعهما قميص من الحرير الفيروزي الداكن وحذاء من الجلد مرتفع الرقبة حتى ركبتيها .

كان ذلك "الطاقم" مختلفا عن سائر ملابسها الأخرى لكنها قد ابتاعته من ذلك المحل الصغير المجاور للمتنزه وهي تفكر في "برودي" . كانت "نوويل" لا تعتقد وقتئذ أنها سوف تراه ثانية إلا أنها انصاعت وراء نزوة طارئة واشترته .

والآن ، وهي تدور أمام المرآة وتشاهد نفسها بكامل طولها شعرت بسعادة غامرة ، إنها قد أصابت في استجابتها لمشاعرها التي أملت عليها شراءه . فقد زادها ثقة بذاتها .

عندما وصلت الجليسة سجلت لها "نوويل" رقم الهاتف الذي يمكنها الاتصال بها من خلاله إذا ما استدعت الضرورة ذلك . ثم تركت "مسز سترلنج" تشاهد التليفزيون وذهبت لتحضر الطفلين . فتحت حجرتهما ودهشت إذ رأت رأس "برودي" الأسمر يتوسط الرأسين الأشقرين الصغيرين .في انحناءة جادة على كراستي التلوين .

– " "مسز سترلنج" وصلت يا أولاد" هكذا أعلنتهما بعد أن نهلت كفايتها من المشهد المثير . هيا لترحبا بها . "

ألقى الطفلان بأقلامهما وخرجا من الحجرة فورا مبعثرين بأقدامهما العارية صورا للرجل الخفاش غير كاملة التلوين .

ووقف "برودي" وتسمر مكانه . يالها من فاتنة تلك التي تقف بمدخل الباب . ليست الليلة بالمرأة المصرفية . شعرها الأشقر اللامع وقرطها الفيروزى مع الفضي البراق إنها تفوق أجمل النساء فتنة وبهاء .

– " أنت بارعة في العناية بمنزلك "

قال أملا في تخفيف حدة التوتر بينهما . فضحكت في حياء .

– " هل هذه مجاملة ؟ إنه من الصعب عليّ أحيانا أن أفهم ما تعني "

– " بالتأكيد هي كذلك . تبدين فاتنة "

– " شكرا ولكنني أرى أني بعيدة الشبه من "آني أوكلين" أليس كذلك ؟ قالت وقد انتابها إحساس بأن الحاشية التي تحلي ثوبها لم تكن مناسبة تماما ، ولا الحزام المرافق فقالت "هل أبدو وكأنني تنقصني بندقية ؟ "

– " لا . أية امرأة في جمالك لن تكون بحاجة إلى بندقية "

شعرت "نوويل" بحمرة الخجل تعلو وجهها من جديد .

– " ماذا تفعل هنا على أرضية الحجرة ؟ "

كان قد جمع الكراسات وأعاد الأقلام المتناثرة إلى علبتها .

– " كنا نلون الصور "

– " لم تكن ملزما بعمل ذلك "

– " لقد طلب مني الطفلان ولم تضايقني مشاركتهما "

– " أراهن أنك لم تكف عن القيام بمثل هذه الأعمال إلامنذ سنوات قليلة "

– " بالفعل . كنت الآن أفكر كيف أنني لم أقم بمثل هذا العمل على الإطلاق "

– " أنت تمزح "

– " أذكر أنني و"رايلي" كنا من الانشغال بما يبقينا على قيد الحياة بحيث لم نضيع وقتنا في القيام بمثل هذه الأشياء "

قال ذلك ارتجاليا محاولا أن يخفف من وقع الكلمات ، فربما كانت تحاول أن تستشف ما وراءها ، إلا أن "نوويل" شعرت بالأسى والشفقة ممزوجين ببعض المرارة .

لقد دللها والداها المطلقان ليعوضاها عما قد يؤدي إليه شعورها بعدم اهتمامهما بأمرها واستغراقهما في ذاتيهما . دأبا على أن يشغلاها بكثير من الأنشطة والأشياء المادية . لم يكن الاهتمام أو القلق إزاء البقاء على قيد الحياة من الموضوعات التي تطرقت إلى ذهنها . على العكس كان من الصعب عليها أن تتصور تلك الطفولة التي عاشها "برودي" وأخوه "رايلي" .

أرادت أن تسأله المزيد ، لكنها أبت أن تتطفل . كانت تتمنى أن يشعر بالارتياح قبلها حتى يشركها في بعض نواحي حياته .

اتجه "برودي" بسيارته نحو النادي . أعجب "نوويل" ذلك التنجيد الفاخر الذي كسا الشاحنة من الداخل ، بينما كان الغبار يغطيها من الخارج . كانت شاحنته الصغيرة مزودة بالمقاعد المتحركة إلى الخلف والمكسوة بقماش تنجيد أخضر اللون ؛ وكانت نوافذها تعمل أوتوماتيكيا وآلة تنبيهها موسيقية .

إذا كل ما سمعته عن شدة اهتمام رعاة البقر بسياراتهم كان حقيقة . ومن الممكن أن تكون هذه السيارة أحد أصوله ذات القيمة .

شعرت بنظراته تتركز عليها وارتفع نبضها مرة أخرى . وعندما نظرت جهته ركز انتباهه على القيادة . سألها عن عملها وتحدثا حديث صديقين حتى

بلغا النادي .

كان مطعم ونادي "كاوبوي" المكان المحبب لهواة الموسيقى الغربية الريفية المحليين . فإلى جانب المشروبات والأطعمة الشهية كان ذلك النادي يفاخر بأجهزة نظام توزيع الصوت الممتازة وبالمرقص الفسيح الذي صمم خصيصا ليستوعب جميع الراقصين الذين يستهويهم عرض أساليبهم في أداء الرقصات.

كانت "دارسي" وفرقتها الصغيرة على ارتفاع درجة واحدة منهما كان المكان خافت الإضاءة أما المناضد فقد كستها أغطية بيضاء بلون الجليد . فقد كانت تلك الأندية دائما ما تغطي فيها فرقعة زجاجات المشروبات وسحب دخان السجائر على أي قصور في الديكور أو في وسائل الاستماع . وكان النضد الذي جلس إليه "برودي" و"نوويل" قريبا من المرقص أيضا . التفتت إليه قائلة :

- " "دارسي" موهوبة جدا ، وأنا سعيدة أن قيد اسمها بهذا النادي ".

- "هل تنوي تسجيل أشرطة ؟" سأل

- " تأمل ذلك . إنها تخطط لقضاء إجازتها مع الفرقة الموسيقية في "ناشفيل". ستسافر الأسبوع القادم لبحث الإمكانات . "

- " قد يسعدها الحظ ".

- "أرجو ذلك فهي تستحق ".

أزاح مقعده مقتربا من "نوويل" وأخذا يتحدثان في موضوعات محايدة ، من بينها طموح "دارسي" . حضرت إليهما إحدى المضيفات ، ذكرت أن اسمها "بام" . لم يقبلا على قائمة الأطعمة واكتفى "برودي" بطلب زجاجة من مشروب .

تحولت عنهما ، ولم تزل تدون الطلب في إضمامتها حتى اصطدمت فجأة بشاب طويل وسيم كان يسير خلفها .

- " لماذا تخلفت يا "رايلي" ؟ " قالت بأسلوب مهذب :

- " ماذا دهاك يا حبيبتي ، هل كان بيننا موعد أو شيء من هذا القبيل ؟" سأل بصوت عميق يشبه "برودي" إلى حد كبير .

- " شيء من هذا القبيل ! " تمتمت وهي تسرع مبتعدة عنه ". عذرا فإني على

عكس بعض الناس لدي عمل يجب أن أؤديه ".

راقبها "رايلي" لحظة ثم هز كتفيه وعاد يناديها :

- " "بام" حبيبتي أتيني بزجاجة مشروب في طريق عودتك " . وابتسم بقوة نحو "برودي" و"نوويل" اللذين كانا قد سمعا ذلك الحديث المتبادل ". أهلا أخي الكبير. أتبحث عني ؟ "

- " ليس الليلة " . أجاب مشيرا إليه ليجلس وعرفه بـ"نوويل" . " هل أنت بمفردك ؟ "

- " حاليا " وابتسم "رايلي" . ومن أسلوب نظراته وبريق عينيه علمت "نوويل" أن تلك الحالة لن تستمر

"عالم صغير ... هيه ؟ "

- " لقد أتينا لنسمع المغنية " . قال "برودي" بنبرات أوضحت أن نوايا "رايلي" لم تكن على المستوى الشريف .

استشعرت "نوويل" التوتر فقالت :

- "دارسي" هي أعز صديقة إليّ ، وتغني اليوم هنا لأول مرة ".

- " سمعت أنها جيدة " قال "رايلي" في شرود ذهن مركزا نظراته الثاقبة على "نوويل" . " لم نلتق هنا من قبل أليس كذلك ؟ "

وطوقها "برودي" بذراعه كما لو كان يعلن ملكيته لها .

- " كفى يا "رايلي" إنها على موعد معي أنا ".

- " أعلم ذلك " . وقد أفسد شبه اعتذاره هذا غمزة شيطانية انطلقت منه .

وابتسمت "نوويل" استحسانا . كان "رايلي" لا يزيد على كونه شيطانا صغيرا ، ولكنه لم يكن يختلف كثيرا عن أخيه الأكبر . لم تفهم لماذا كان "برودي" عابسا له خاصة عندما ابتلع "رايلي" زجاجة المشروب وطلب أخرى. كانت تظن أن "برودي" أيضا كان من المبالغين في احتساء تلك المشروبات لكنه كان قانعا بالارتشاف من كأسه بينما جلس ثلاثتهم يتسامرون .

لم يمض وقت طويل حتى قدمت "دارسي" إلى الجمهور فسارت نحو مكبرات الصوت وسط تصفيق حاد . ارتدت تلك الليلة حذاء مرتفع الرقبة

و"جينز" مريحا وصدره من الدنيم مرصع بقطع الماس الزائف فوق قميص وردي اللون ذي أكمام طويلة ، وقد صففت شعرها الأسود الطويل في مظاهرة من التجاعيد التي هاجت وماجت وهي تطرب الحاضرين . نظرت "نوويل" نحو "رايلي" و فطنت إلى أن صديقتها قد سلبته عقله .

كانت أولى أغنيات "دارسي" باسم "اليانس" وتحكي قصة رجل رفض أن يجعل أحدا يحبه . رجل أعماه السعي وراء الحرية عن أن يرى سجنه وهو يتجول في العالم وحيدا .

استرقت "نوويل" نظرة نحو "برودي" متسائلة ، هل لاحظ الشبه القريب بينه وذلك الرجل الذي تحكي الأغنية قصته . لم تعرفه بالقدر الذي تمنته ، ولكنها أحست باضطراب قلبه .

كان يبدو صريحا ومفتوح القلب ولكن خلال الفترات المحدودة التي قضتها معه تبينت أنه كان يلجأ إلى الفكاهة والضحك كملاذ يختبئ فيه ممن يحاولون الاقتراب منه إلى حد بعيد . قطعا كان " برودي سوير" أكثر بكثير مما يظهر منه ولم تكن واثقة في أنها تستطيع تفحص أعماقه .

عندما أتمت "دارسي" أغنياتها انضمت الى ثلاثتهم وأبدى "رايلي" اهتماما بالغا بتلك السمراء سريعة الحديث ، وبادلته الإعجاب حتى أنهما منذ اللحظة الأولى لتعارفهما ، لم تلتفت عيونهما ولا آذانهما إلى شخص آخر .

وانحنى "برودي" مقتربا من "نوويل" :

– "هل ترقصين ؟" قال بصوت مرتفع إذ كانت الموسيقى صاخبة .

– "هل تعتقد أنهم سوف يفتقدوننا لو أننا لم نرقص ؟" سألت بأسلوب عابث.

نظر "برودي" إلى رفيقيهما اللذين كانا قد ألصقا مقعديهما بعناية ، واندمجا في حديث خاص وقال لها :

– "لقد نسيا وجودنا كلية" .

وضع يديه على ظهرها ، واصطحبها إلى المرقص . وزاد إحساسها بوجوده في كل خطوة بحيث إنه عندما قادها إلى حلقة الرقص كانت قد بدأت تضج بمشاعر مكبوتة . لم تكن في مثل تجاوبه مع خُطَى الرقصة لكن تعليماته الرقيقة

وخفة ظله ساعداها على التغلب على خجلها .

وتوقفت الموسيقى وبقيا بالمرقص في انتظار العزف التالي .

كان "برودي" راقصا ماهرا وقد قادها جسده المتلوي إلى أداء الخطوات في سهولة . وعندما ضمها إلى ذراعيه في رقصة هادئة كشف له اقترابه منها تلك العواطف المكبوتة التي سعت بدون جدوى إلى التحكم فيها .

أخذا يتأرجحان حالمين على أنغام موسيقى إحدى الأغنيات الحزينة التي تفطر القلب بينما تألقت الأضواء فوق رأسيهما كنجوم أنخلت الى القاعة . أحاطت إحدى يديه بها ، بينما حملت اليد الأخرى يدها إلى عنقه ثم طوقها بكلتا ذراعيه ، وأحكم قبضته عليها ، وجذبها أقرب إليه حتى التصق جسداهما.

كانت "نوويل" مهددة باستجابتها لـ "برودي" وقوة انجذابها إليه . لكن وجودها في ذراعيه متعة لم تكن على استعداد لأن تتنازل عنها ، أو تبخل بها على نفسها . لقد انقضت مدة طويلة لم تقترب من أي رجل ، وقد وجدت الآن المتعة في قوة هذا الرجل ودفئه .

كانت تقهقه لسماع ما يهمس به في أذنيها وإن لم يكن مضحكا جدا . شعرت بأنها فتاة صغيرة مرة أخرى . لم تبلغ من العمر إلا تسعة وعشرين عاما، وكانت مع ذلك مسؤولة ومشغولة جدا منذ مدة طويلة أنستها كيف تستمتع بصحبة رجل، وكيف تشعر بأنوثتها .

كان وجود "برودي" يوحي لها بأنها جذابة جدا ومرغوبة جدا . لقد عاشت وحيدة ومثقلة بالعمل ومسؤولة عن طفليها وغالبا ما تأوي إلى فراشها منهكة القوى بعد ما تبذله من جهد طوال اليوم . لكن "برودي" أعاد إليها إحساسها بأنها امرأة غير عادية ، بل وأعاد إليها بعض الثقة التي كان "ستيف" قد سلبها إياها .

ربما من الخطأ أن تعزي كل هذه المقدرة إلى وجود رجل معين لا تكاد تعرفه . لقد قال لها إنه لا ارتباطات ولا وعود . كانت "نوويل" تعلم أنه يجب ألا تستثمر عواطفها عنده . لكن .. سواء أكان ذلك صوابا أم خطأ ، فليس هناك ما تفضل أن يحتويها في هذه اللحظة بالذات إلا ذراعاه .

الفصل السادس

وذابت رقصة هادئة في أخرى . وسرعان ما استسلمت "نوويل" للموسيقى الحالمة والمغناطيسية الفعالة التي انبعثت من جسد "برودي" . وإذا رفعت رأسها من على صدره إلى وجهه أنستها الرقة التي ارتسمت عليه جميع التحفظات التي اتخذتها نحوه .

لم يرمقها رجل قبله بمثل هذا الحنين الذي في عينيه .. كان مثيرا ورائعا .

لم يصبح هناك مجال للكلمات بعد أن تشبثا ببعضهما وكان انتباههما موجها إلى التغير الطفيف في الحركات والخطوات أكثر منه إلى الموسيقى التي بدت وكأنها تضيع في ضوضاء القاعة . ومرت الدقائق دون أن يشعرا أو أن يبديا أي اهتمام .

وعندما أحنى رأسه ليقبلها قبلة رقيقة لم تفكر حتى في الانسحاب بعيدا عنه ، بل شعرت براحة في قبضة عناقه . مسّ شفتيها بإبهامه ولم تدر هل كان ذلك ليمسح عنها تلك القبلة ويلغيها ، أم ليثبتها هناك أبد الدهر ؟

انتظرت بقلب خافق قبلة أخرى أعمق وأشد حرارة .

– " لا تنظر الآن يا راعي البقر " تمتمت "دارسي" إلى "رايلي" وهما يغادران المرقص إلى المنضدة " فقد توقفت الموسيقى " .

انفصل "برودي" عن "نوويل" وهما في حالة شعور بالذنب واصطحبها في العودة إلى مقعديهما دون أن ينطقا بكلمة واحدة . كانت "دارسي" تنتظر ممسكة بحقيبة يدها .

– " تعالي معي إلى حجرة السيدات " قالت لـ"نوويل" بلهجة ملحة .

لم تكادا أن تفارقا المكان حتى همست لها :

– "برودي" لابد أن يكون راعي بقر حقيقيا .

– " لم أعتقد أن ذلك أمر يحتمل التساؤل " أجابت "نوويل" بلهجة جافة .

وعندما وصلتا إلى حجرة السيدات أصلحت "دارسي" زينتها وقالت :

– " رعاة البقر الحقيقيون فقط الذين يرقصون مرتدين قبعاتهم . وإني أتساءل: ما الذي يفعله أيضا وهو مرتد قبعته ؟ "

– " إذا كنت تعنين ما أعتقد أنك تعنينه ، فلن أكتشف ذلك أبدا " .

نظرت "نوويل" إلى المرآة لترى وجهها وقد غطته حمرة الخجل . تذكرت كيف أنها قد حملت بعيدا عن المكان وهي على أرض المرقص . لقد خلبها "برودي" لكن شكرا لتلك الأضواء الساطعة التي أعادتها مرة أخرى .

– " ولم لا ؟ " سألت "دارسي" بإلحاح " كلاكما ناضج " .

– " "برودي" ليس بالرجل المناسب لي " .

– " ماذا تقولين ؟ "

– " إنه لا يبحث عن الارتباط . لقد أخبرني بذلك " .

دققت "دارسي" النظر في صديقتها .

– " وهل الارتباط مهم الى هذا الحد ؟ "

– " عليّ أن أفكر في الولدين . إنهما يحتاجان إلى أب يوجد حيث يقيمان " .

– " بدلا من أن تفكري فيما يستطيع الرجل أن يقدمه لك ، تبحثين عن والد لـ"داني" و"داستي" ؟ هل هذا إذن المعيار الذي تقيّمين به كل رجل تلتقين به ؟ "

– " إنه أحد الاعتبارات المهمة " قالت "نوويل" ذلك دفاعا عن رأيها .

– " عزيزتي . ليس لي أولاد . لذلك من السهل عليّ أن أعظ . أرى أنه يجب أن تشبعي رغباتك أولا . وإذا كان ما رأيته على المرقص الآن يشير إلى شيء فإنه يشير إلى أن "برودي سوير" هو الإشباع الحقيقي المتاح .. "

– " قطعا انسجمت مع "رايلي" تعمدت "نوويل" أن تغير مسار الحديث . لم تكن توافق على ما قالته "دارسي" تماما ولم تكن لتحب أن تعترف بأن تلك هي الحقيقة .

عبست "دارسي" وقالت :

– " التركيبة الكيميائية التي تجمع بيننا من مكونات الأساطير . إلا أن قصة الحب هذه لن تكتب أبداً " .

– " ولم لا ؟ إنه يبدو ولدا ظريفا ".

– " ذلك "الولد" في الحادية والثلاثين من عمره ، وأخباره سيئة ".

– " حقيقة ؟ " قالت "نوويل" في دهشة شديدة . لا لأنها كانت تشك في أن "دارسي" لابد وأن تكون قد توصلت إلى معرفة جميع التفاصيل الحيوية في حياة "رايلي" . فقد كانت صديقتها خبيرة في أن تجعل الناس ينطقون بما يكنون . ولكن المدهش أن "رايلي" لم يصغر عن "برودي" إلا بأربع سنوات فقط. ورغم أن "برودي" كان متهورا أحيانا كثيرة وسخيفا في بعض الأوقات ، إلا أنه كان ناضجا وهذا ما كان أخوه مفتقرا إليه .

– " نعم . حقيقة . كان يمكنني أن أتعامل معه لو كان عابثا مسرفا ، وهو كذلك قطعا . لوكان لك مثل خبرتي لاستطعت التعرف عليه بين جمهور من الرجال ".

– " ما المشكلة إذن ؟ " – واضح أنه معجب بك ".

تنهدت "دارسي" بأسى .

– " إنه يخيفني جدا ".

– " لم أعرف قط أنك جبانة فيما يتعلق بمعاملاتك مع الرجال ".

– " إنك لست مثلي " – أضافت "نوويل" في خفوت . فبالرغم من الاختلافات التي بينهما ، أو ربما بسبب هذه الاختلافات كانت هي و"دارسي" من ألصق الصديقات على مدى خمس سنوات كاملة . هناك اعتقاد شائع – بين مصنفي شعور النساء على الأخص – بأن الشقراوات أكثر تمتعا وعبثا ، فهل كان ذلك بسبب الخبرة التي يحصلن عليها في هذا المجال ؟ "

إلا أن "دارسي" تلك السمراء المثيرة المنطلقة بحكمة كانت لها كل المتعة التي تمنتها . بل وكانت دائما ما تتهم "نوويل" بشدة التحفظ والرجعية ، وطالما حثتها على التفتح والانطلاق .

إذا كانت "دارسي" صاحبة مبدأ "عش ودع غيرك يعيش" ترى أن "رايلي" سيئا فلابد أن يكون كذلك .

أزاحت "دارسي" شعرها إلى الخلف وقالت :

– " هذه هي المشكلة . في كثير من النواحي "رايلي" ليس بالرجل بعد .. لا يزال يحتاج إلى من يسهر على تنشئته ، وليس لدي وقت لذلك ". واختفت لهجتها الجادة فجأة . "ماعلينا من مقاييس ومعايير الملاءمة . الأخوان "سوير" شديدا الجاذبية لنذهب إليهما قبل أن تصادرهما عجلتان أخريان ".

ضحكت "نوويل" على تلك الاستعارة التي استخدمتها صديقتها :

– " ظننت أنك رافضة أخذه لتنشئته ".

– " نعم . إنني رافضة . لكن من حق أي فتاة أن تنال قسطا من اللهو و"رايلي" رفيق ممتاز في هذا المجال .. لمدة ليلة واحدة على الأقل " .

عادتا إليهما واندمجوا جميعا في أحاديث خفيفة متفرقة حتى اعتلت "دارسي" المسرح مرة اخرى لتقدم مجموعة أغنياتها التالية . لاحظ "برودي" ، و"نوويل" كيف كان "رايلي" معجبا بتلك المغنية السمراء ذات العيون البنفسجية فلم تفارق عيناه وجهها غمضة عين . وعندما أدت أغنية عن رجل أشعلت لمسته النار في عمق روحها كانت تبدو وكأنها تغنيها له وحده .

لم ينطق "برودي" أو "نوويل" بكلمة واحدة أثناء غنائها . تبينت "نوويل" كم كان حديثها قليلا . لقد قابلته لأول مرة منذ حوالي ثلاثة أسابيع . لم تعلم عنه الكثير . وهذا لا شك بالأمر الغريب إذ إن أول ما يعلمه الناس عن بعضهم في بدء التعارف هو عملهم . ففي دنيا العمل يكاد ما يقوم به الشخص يكون أكثر أهمية منه . ولم يكن "برودي" جزءاً من هذه الدنيا حتى يمكنها تقييمه على أساس تلك المقاييس حتى هي لم تكن على استعداد لأن تزج بأمور عملها في هذه اللحظات من الحياة الشخصية من قبيل التغيير .

ساورها الشك في أنه قد يكون متكتما سرا خطيرا مظلما . مثلما يخفي بعض الناس بعض البيانات في إقراراتهم الضريبية ، استرقت نظرة خاطفة نحوه ، ولم تدع مجالا لأن تراودها تلك الأفكار الغريبة . كان "برودي" في

نظرها شخصا ذا قلب كبير لا يؤذي أحدا، كما أنه شديد الاستقامة ، فلا يأتي فعلا مخلا بالشرف أو الاحترام .

رجحت أنه لم يقبل على الحديث عن عمله لأنه لم يكن فخورا بأن يكون سائس خيل في الخامسة والثلاثين من عمره .لقد ذكر لها مرة أن له بعض الأحلام . لم يكن إذن ينقصه الطموح كلية . لامت "نوويل" نفسها على مثل هذه الأفكار المجحفة . لم تكن ممن يتباهون بوظائفهم ، لماذا إذن تفكر بأسلوبهم ؟

ومع ذلك فقد كان لديها العذر في أن تتساءل . لقد ذكر "رايلي" أنه عائد إلى " العرض " في وقت لاحق وعندما سألته ما إذا كانا يعملان معا نظر إليها "رايلي" نظرة غريبة وقال "بالتأكيد" . وهنا اتجه بها "برودي" إلى المرقص ليثنيها عن توجيه الأسئلة . هل كان يخفي عنها شيئا ؟

ثم ماذا ؟ فلديها أيضا بعض الأسرار التي تحتفظ بها لنفسها ، وإن لم تصبح تلك في مثل كثرتها قبل أن ينتشلها من حياتها السابقة بحلو كلامه .

شعرت بنظرته تمسد جسدها . التفتت إليه فابتسم في سعادة . وبمجرد أن غادرت "دارسي" المسرح وسط تصفيق يكاد يصم الآذان انتزع يد "نوويل" مصطحبا إياها إلى المرقص .

– " لن يمكننا أن نرقص الآن " ، قالت مقترحة " الفرقة الموسيقية في وقت استراحتها " .

– " أرى أن هناك "صندوق موسيقى" سأغذيه ببعض قطع الربع دولار حتى تعزف لي شيئا هادئا ومريحا لأن ذلك ما سوف يتيح لي العذر في أن أقبض عليك بذراعي " قال رابتا وجنتها . "هل لديك اعتراض على ذلك ؟ "

هزت رأسها . فقد كان ذلك من القليل الذي لا يعترض عليه . طوقت عنقه بذراعيها وأراحت وجنتها على صدره في حركة أصبحت مألوفة لها . شعرت بنبضات قلبه تتسارع تحت وجهها . من الواضح أن ذلك كان أول أهداف مخترعي الرقص عندما خرجوا بأفكارهم الأولى .

وانتهى ذلك العناق عندما عادت الفرقة الموسيقية لتعزف لحنا سريعا .

ابتسم لها "برودي" واصطحبها إلى المنضدة ثانية وذراعه يقبض على كتفيها . وبدلا من أن يتخذا مقعديهما أخرج من جيبه عدة أوراق نقدية تركها فوق المنضدة ثم ودّعا "دارسي" و"رايلي" وخرجا الى الليل الدافئ الذي تضيئه النجوم .

عندما وصلا إلى منزل "نوويل" كان الطفلان في فراشهما مستغرقين في نوم عميق . بينما كانت "مسز سترلنج" مستلقية على أريكة حجرة المعيشة ونظارتها مائلة تكاد تسقط من على وجهها ، وإحدى فردتي حذائها مقلوبة تحت المنضدة الصغيرة بينما لا تزال الأخرى باقية في قدمها المتدلية خارج الأريكة . ومع كل شهيق دخل صدرها انطلق شخير مرتفع .

– " يبدو أن الطفلين قد أرهقاها إلى حد بعيد " همس "برودي" .

– " قد يكون عكس ذلك هو ما حدث . لو لم يكن "داستي" و"داني" في غاية الإرهاق لما استطاعا النعاس في كل ضوضاء هذا الشخير" قالت مداعبة وهي تبتسم .

– " من الخجل أن نوقظها "

– " أعلم ولكني عادة ما أتصل بـ"مستر سترلنج" فيأتيها "

– " يمكنني أن أصطحبها إلى منزلها " عرض لشدة شغفه بأن ينفرد مع "نوويل" . لم يغادر النادي لأنه قد مل صحبة "دارسي" و"رايلي" ولكن أحس بحاجة إلى بضع لحظات هادئة خالية من الإزعاج . لكن ما الذي يمكن أن يحدث إذا خرج ليوصل "مسز سترلنج" إلى منزلها؟ قد لا يستطيع العودة بسهولة . على الأقل ليس بدون دعوة "نوويل" له.

– " هذا جميل منك . شكرا "

– " عفوا " أجاب بفتور . لقد ضاعت منه أيضا فرصة وداعها بقبلة . إذ إن "نوويل" التفتت فورا نحو السيدة ، وأخذت تهز كتفيها حتى توقظها . هكذا كان ثوابه عن كونه "سامريا صالحا "

— " ماذا ؟ من فعل ذلك ؟ " اعتدلت "مسز سترلنج" في جلستها وتحسست نظارتها لتصحح وضعها . عندما تنبهت ورأت "نوويل" بدأت تشرح لها " لم أكن

نائمة ياعزيزتي . كنت أريح عيني فقط .

– " حسنا يا "مسز سترلنج" قالت "نوويل" وهي تساعدها على ارتداء باقي حذائها .

– " هل جاء "برت" ؟ " رمشت بعينيها ونظرت في غير وعي إلى ما حولها .

– " لا . لم أتصل به . فقد عرض "مستر سوير" اصطحابك إلى منزلك " .

– "حسنا . لا أدري " قالت "مسز سترلنج" وهي تمسد شعرها وتهندم ملابسها. "فلم أقابله قبل الليلة " .

– " لا تقلقي يا عزيزتي " . قالت "نوويل" وهي تربت يدها " إني أؤكد لك أنه جدير بالثقة " .

– " عفوا فلم أقصد أن أوحي بشيء كهذا .. " قالت "مسز سترلنج" بانزعاج "لأني واثقة من ذلك .. أعنى ماذا سيعتقد "برت" بي ؟ "

– " بالتأكيد سيكون "مستر سترلنج" راضيا لأنه بذلك لن يضطر إلى مغادرة المنزل في هذا الوقت المتأخر " قالت "نوويل" برقة . لكن إذا كان يريحك يمكن أن أتصل به لأخبره بأنك فى طريق عودتك إلى المنزل ، وبذلك يمكنه أن يضيء نور الشرفة ويكون في انتظار وصولك " .

وابتسم "برودي" نحو السيدة مطمئنا إياها أنه لم يكن له نوايا سيئة . مد لها يده ليساعدها على النهوض . ترددت قليلا قبل أن تسمح له بذلك . والتفتت وهما في طريقهما إلى الباب لتتحقق من أن "نوويل" كانت تتصل بزوجها بالفعل.

نظر "برودي" إلى أعلى نحو السماء عندما أضاءت عليه "نوويل" بابتسامة عرفان بالجميل ثم سأل :

– " على فكرة أين تقطن ؟ "

– " بالمبنى المجاور " . وكانت ابتسامتها وهي تتحدث إلى "مستر سترلنج" ساخرة .

وبينما رافق "مسز سترلنج" إلى الخارج ألقى إليها بنظرة مؤداها أن تتوقع عودته .. لكن عندما يعود سوف تصرفه بسهولة ، فقد اقتنعت بأن ذلك

أمن شيء يمكن أن تفعله بعدما أثار فيها ذلك الشيء الذي أسموه (رقصا) مشاعر من الأفضل أن تتجاهلها . لم يكن "برودي" بالشخص الذي يرحب بمثل تلك المشاعر فقد صارحها بأن ما يريده بينهما هو علاقة بدون ارتباط . لم تكن واثقة من أنها ستتقبل تلك العلاقة بنفس راضية . ولم يكن "برودي" باحثا عن الحب بينما كانت "نوويل" كذلك وبكل الصدق .

لم يكن من الضروري أن يكون لها رجل حتى تشعر بالسعادة والإشباع . لكن طالما أتيحت لها فرصة التعامل على أساس منظم مع أحد الرجال فإنه من الأفضل أن يحبها ذلك الرجل . كانت تريد شخصا تشاركه الحياة وتهيئ له البيت . شخصا يكون موجودا بالنسبة لها ولطفليها . و"برودي" رغم كل جاذبيته، ربما لن يكون أهلا لذلك .

إذا تكررت لقاءاتهما كثيرا فقد تأتي فعلا سخيفا بأن تحبه ، وهنا تكون نهاية صداقة عظيمة . لا . من الأفضل أن تقضي على مشاعر الحب وهى بعد فى المهد . أن تتخلص منها قبل أن يضار أحد . وكانت تعلم – ولا شك – من هو ذلك الـ "أحد" .

عندما قرع "برودي" الباب بخفة بعد لحظات من مغادرته كانت "نوويل" تعلم ما سوف تفعل . أقسمت على أن تكون قوية . تشددت وفتحت بحماس .

وحدث شيء ما عندما رأته يستند متكاسلا إلى جانب الباب . نسيت فكرة إبعاده تماما . ربما من الأفضل أن يتحدثا أولا .

– " تفضل بالدخول " دعته في رقة "

– " لم أكن واثقا من أنك سترحبين بعودتي " .

– " لم تتح لي الفرصة لأعبر لك عن مدى استمتاعي بهذه الأمسية .. لقد استمتعت بوقت جميل جدا " .

– " وأنا أيضا لم تتح لي الفرصة لوداعك " خطا نحوها ، ولكنها كانت تخشى ما قد يجره الوداع عليها ، فأسرعت تدعوه إلى الجلوس .

ربت الوسادة التي بجانبه قائلا :

– " انضمي إليّ " . كان ذلك أقوى من دعوة وأرق من طلب . لكنها علمت أنها لو

استجابت له فسوف تخسر قرارها .

– " ما أريد أن أقوله سوف يكون أيسر عليّ وأنا واقفة "

اعتدل "برودي" في جلسته بعد أن كان متكئا على الوسادة نحو الخلف .

– " أووه . شيء جاد على وشك أن ينطق به " .

– " نعم . إنه كذلك " . كادت يداها المرتعدتان – الخائنتان – أن تفسدا أسلوبها الجاد ، فوضعتهما خلف ظهرها . "أرى أنه يجب ألا نلتقي ثانية"

– " اعتقد أنني سمعتك تقولين : إنك قد استمتعت بوقتك " .

– " فعلا . ولكني أعتقد أنه من الأفضل لكلينا أن ننهي الموضوع الآن " .

– " عندما ناقشنا ذلك سابقا وافقت عليه . لا إيداع لا عائد لماذا غيرت رأيك ؟

" لم يرغب أن يسلم بسهولة ، فالوقت الذي قضاه معها ، وإن كان لا يزال يقدر بالساعات المعدودة كان من الأهمية له ، بحيث لا يمكنه التخلي عنه . إنه بحاجة الى المزيد .

– " إنك تقهرني " . قالت وكانت صادقة في ذلك كل الصدق .

– لا أعتقد أنه يمكنني الاستمرار في هذه العلاقة " . تحملت الكثير في سبيل أن تقول ذلك ، ولكنها قالته على أي حال .

– اجلسي يا "نوويل" . أعدك بألا أغتصبك "

استجابت لطلبه . وأخذ يقرأ لغة جسدها التي فاضت بمعان تفوق ما تنطق به.

– " ماذا تخشين ؟ "

ماذا تخشى ؟ تخشى أن تحب ذلك الرجل . تخشى أن يجرح قلبها قليل الخبرة .

– " أخشى أن أحبك . لو فعلت فسأكون قد ارتكبت خطأ جسيما " .

ابتسم "برودي" فقد سرت بداخله موجة من الارتياح . سيدة جميلة تذكره والحب في جملة واحدة . لن يرحل إذن . قد يكون وجوده مجديا .

– " هل هذا كل ما في الأمر ؟ " سأل مبتسما ومداعبا ذقنها " لا تقلقي من هذه الناحية أنا لست جديرا بحب أحد . أنا سيء الطباع ومشاكس . أتناول طعامي في فراشي . ولا أعلق ثيابي . أترك المناشف المبللة على الأرض حتى

تتعفن . أنا صلب الرأي ، وعنيد كعمود من الصخر . أحب أكل أقدام الخنازير المخللة . ليس لدي أي اهتمام بالأمور التثقيفية ، ولا أدنى تذوق للنواحي الرفيعة في الحياة . ليس من السهل أن يحبني أحد " .

توقف قليلا وضحكت "نوويل" على الرغم من عواطفها المرهقة .

– " ماذا تحاول أن تخبرني يا "برودي" ؟ "

احتوى وجهها في يديه .

– " ما أريد أن أقوله لك هو : إن سيدة جميلة ذكية تشغل مركزا مرموقا بأحد البنوك يجب ألا تخشى – أن تقع في غرام خيال ضئيل مثلي . أنت أفضل مني بكثير " .

لقد عرف كيف يبطل الانفجار الذي كان على وشك أن يقع . أتت حركة مضحكة بوجهها :

– " "برودي" ؟ "

– " نعم ؟ "

– اعتقد أنك خرجت عن الموضوع " .

هل هذا يعني أنها قد وقعت في غرامه فعلا ؟ لم يسعه إلا أن يأمل ذلك . على الأقل لقد أساء إلى نفسه بما قاله .

– " "نوويل تشاندلر" أجيبيني بصراحة . هل استمتعت أم لم تستمتعي بوقتك هذا المساء ؟ "

– " نعم . لكن ... "

– " هذا يكفي " .

– " لكن ... "

– " هل تشعرين باضطراب ؟ "

أومأت ببطء فأراحها بين ذراعيه . وابتسم برقة وانحنى إلى الأمام محولا وجهها قبالة وجهه وهمس قرب شفتيها :

– " لنر كيف يمكننا توضيح الأمور " .

ربما لو لم يكن على هذا القدر من التواضع والجاذبية ، ربما لو قبلها عنوة

لتحقق لها ما أرادت من فرصة صد علاقته بها . إلا أن الطريقة التي داعبت بها أنفاسه شعرها لم تنطو على أي تهديد . كذلك لم تحمل قبلاته الرقيقة – التى أغدقها على جفنيها وطرف أنفها ونقنها – أي مثار للنقد .على العكس كانت تنطوي على وعد بالمزيد في المستقبل .

ثم ضمها إليه فى وضع أكثر إراحة لها بين ذراعيه . ووجد فمه شفتيها المرتعدتين . فقد كانت الرغبة التى تعتمل بداخلها قد أنهكتها تماما بعد أن أنستها أنها كانت مزمعة إبعاده عنها نهائيا .

تحسست أصابعه وجهها ، ثم استقرت بين خصلات شعرها جذبها فصارت أكثر اقترابا منه فاستسلمت "نوويل" لسحر قبلاته في عناق ملتهب .

كان "برودي" يحاول أن يخفف من حدة التوتر بينهما ، إلا أن تأثير "نوويل" عليه أبعده تماما عن مجال الألفاظ الفكاهية . كان يتحرق شوقا إليها ، ضمها أقرب إليه مرة أخرى .

– " يجب أن أكون صادقا معك يا "نوويل" قال هامسا . " إني أريدك أكثر مما أردت أية امرأة طوال حياتي . إذا كان ذلك يخيفك فأنا آسف ".

– "برودي .. "

– " هل تريدينني ؟ " سأل بإصرار

لا . لا . هكذا أصرت اللمحات المتبقية من المنطق فيها . ولكن كيف ترفض الآن . أحست مع "برودي" أنها جميلة ومرغوبة . لم تحس هكذا – وبهذا العمق منذ فترة طويلة . وعندما جاءت إجابتها المتعثرة أخيرا لم تكن بالنفي .

– " نعم . نعم "

ضمها إليه في قبضة محكمة أسعدتها . شعرت أن جسدها هذا قد صمم خصيصا من أجل لمساته .

وتأججت العاطفة بداخله . لكنه قاوم ليحتوي رغبته المشتعلة حتى لا يغضبها .

ربما كانت قد أحبته بالفعل ، فقد تنفست رائحة رجولته واستمتعت بسيطرته عليها . لكن عندما شعرت بأنفاسه في صدرها قررت الانسحاب بعيدا عنه بكل قوة الإرادة التي تمتلكها .

– " أرجوك يا "برودي" ألا ... "

كادت كلماتها تكون مجرد تذكرة له باعتراضها ، ولكنها كانت كافية لأن تستعيده من عمق رغبته .

– " نوويل" همس متنهدا " أنا آسف".

سعدت أنه يحترم إرادتها ولكنها شعرت في نفس الوقت أنها قد انجرفت إليه بالفعل .

– " "نوويل" هناك ما أريد أن أقوله لك : إنه مهم ".

رفعت بصرها نحوه ولم تزل تتوهج بدفء قبلاته

– "ليس الآن يا "برودي". فلم تشأ أن تفسد تلك اللحظة بالتعقلات أو التوضيحات، لهذا صرفت الكلمات بعيدا عنها .

وإزاء نبرة التوسل التي سيطرت على صوتها والقبلة غير المتوقعة التي طبعتها على وجنته احترم "برودي" رغبتها ، وإن كان ذلك ما يثير موجة الشعور بالذنب التي غشيته من جديد . كان نادما أنه لم يخبرها عن "سيمارون" قبل الآن .

لم يكن هناك مبرر أو عذر لأن يحجب تلك المعلومات عنها . فكلما تباطأ في الإدلاء بتلك المعلومات صعبت تبرئته . لم يكن يهتم بإطلاع "نوويل" عليها في بادئ الأمر ، ومع ذلك أصبح الآن يشعر بأنه غير صادق معها .

رأت نظراته وفسرتها على نحو خاطئ . كان يجب ألا تتطور العلاقة بينهما بهذه السرعة .

– " إني آسفة "

– " وأنا آسف أيضا " قال بصوت غير مقصود .

www.elromancia.com

رأته يقف ويلتقط قبعته . بدا وكأنه لا يستطيع الانتظار . كان يريد أن يهرب . واضح أن فكرته عن قضاء بعض الوقت الممتع لم تكن تطابق فكرتها .

- " أعتقد أننا أسفان لأسباب مختلفة تماما " هكذا همست وهو يغلق الباب خلفه .

الفصل السابع

كانت "دارسي" مبهورة عندما عادت من "ناشفيل" . أخبرت "نوويل" عن الاتصالات التي أجرتها هناك وأسرت إليها بأنه لو لم يكن من أجل أسرتها لفكرت جديا في التنازل عن وظيفتها المضمونة لتجرب حظها في مجال الموسيقى والغناء .

وبعد مضى أسبوع من ذلك الحديث انزلقت والدة "دارسي" من على الدرج فكسرت ساقها وكانت تعاني آلاما مزمنة بسبب التهاب مفاصلها . وكفت "دارسي" عن الحديث عن "ناشفيل" .

كانت "نوويل" تقدر صعوبة ألا تحقق صديقتها أحلامها كما كانت معجبة جدا بإخلاص تلك الصديقة لأسرتها . فقد أحالتها مأساة إدمان والدها المتوفى المشروبات المدمرة للصحة فتاة قوية معطاء ، كما أوجدت بين أفراد الأسرة المكونة من "دارسي" ووالدتها وأخيها الأصغر ترابطا لم تعرف "نوويل" مثله بين أي من أفراد الأسر الأخرى .

سألتها "نوويل" في أحد الأيام أثناء تناول الغداء في حجرة الاستراحة بالبنك ما إذا كانت التقت بـ"رايلي" منذ عودتها فقالت :

- " مرات قليلة " .

- " هل تحبينه ؟ "

- " أعتقد ذلك " .

ولما كانت "دارسي" بطبيعتها تميل الى الإكثار من الحديث فقد كانت إجابتها المقتضبة هذه تشير إلى متاعبها وكانت "نوويل" تعلم ذلك جيدا .

- " ما الخطب ؟ "

- " كل شيء . يمكن أن يكون "رايلي" حلوا وجذابا ومثيرا جدا " .

- " لابد وأن يكون هو الطابع المميز لاسرته " . قالت "نوويل" ساخرة .

www.elromancia.com

– " إنه شيء سخيف أن يخفق قلبي وأنا معه . وأن أقفز في كل مرة أسمع رنين الهاتف إذ يتطرق إلى ذهني أنه ربما يكون هو المتكلم . لا يمكنني التركيز على أي شيء آخر بسبب تفكيري فيه دائما ".

ابتسمت "نوويل" قائلة :

– "لقد اختبرت هذا الشعور . لكن ما المشكلة في ذلك ؟ "

وضعت "دارسي" قدح الشاي على المنضدة . كان هذا أقوى مشروب رأتها "نوويل" تتناوله . فلم تشرب أبدا مشروبا أقوى من القهوة الخالية من الكافيين .

– " إذن أنت لا تعلمين فعلا . أليس كذلك "

– " أعلم ماذا ؟ "

– " أن "رايلي" مبالغ في تناول تلك المشروبات يا "نوويل" ؟ "

أفزعتها كلمات "دارسي"

– " هل أنت واثقة من ذلك ؟ "

تنهدت قائلة :

– " إني متمرسة . ألا تذكرين ؟ لقد عشت مع والدي عشرين عاما كانت الخمسة عشرة الأخيرة منها جحيما متقدا . وأعتقد أنه يمكنني التعرف على مثل ذلك الفرد بمجرد رؤيتي إياه " .

– " لقد ذكر "برودي" أنه يعاني بعض المشكلات في التغلب على طلاقه ، ولكنه لم يفصح عن أن الأمر سيئ إلى هذا الحد ".

– " بالتأكيد لن يفعل . لأن ضحية هذا الداء وأسرته ينكرون ذلك في بادئ الأمر . ويتعللون بأنها مشكلة تافهة وبأنها مؤقتة . وأنها سوف تنتهي حتما . لقد سمعت كل ذلك من قبل ".

– " يجب أن يفعل "برودي" شيئا " قالت "نوويل" بصوت ملؤه القلق .

– " لا . الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يساعد "رايلي" هو "رايلي" نفسه . يجب أن يواجه "رايلي" نفسه بأنه في حاجة إلى المساعدة ، ثم عليه أن يحصل عليها بمجهوده . إلا أنه غير راغب في أن يقدم على أي من هاتين الخطوتين ، لأنه عنيد جدا ".

– " هذا ما كنت تقصدينه بقولك : إنك على غير استعداد لأن تأخذيه لتنشئته . أليس كذلك ؟ " ولما أومأت "دارسي" استطردت "نوويل" إني دهشة حقا أنك اكتشفت هذه المشكلة منذ أول لقاء معه . لم ألاحظ شيئا غير طبيعي فيه ".

– " على حد ذاكرتي عن تلك الأمسية ، كنت مشغولة قليلا بـ"سوير" الشقيق الآخر تلك الليلة " . قالت "دارسي" بابتسامة رقيقة "رايلي" معجب جدا بـ"برودي" ، ويعتقد أنه قد تسبب له في خسائر لا يمكنه حصرها . لا أدري ماذا واجها في طفولتهما لكن أيا كان ذلك فقد كان سيئاً للغاية ".

تذكرت "نوويل" المرات القليلة التي أشار فيها "برودي" إلى طفولته ، واتفقت مع "دارسي" في الرأي .

– " "برودي" قلق من جهة "رايلي" . هذا كل ما أعلمه ".

– " نعم . "رايلي" بحاجة إلى من يقلق عليه . إنه يحاول تحطيم نفسه بكل الوسائل ، ولن أدعه يحطمني معه . إن أمي وأخي "كورد" بحاجة إلى أن أفكر فيهما . لن يمكنني التورط معه أكثر من اللازم حتى لو كنت قد أحببته بالفعل ".

أضافت برقة :

– " هل تحبين "رايلي" ؟ " سألت "نوويل" في دهشة .

– " نعم أحبه وكان الله في عوني ".

كان هذا كل ما قالته "دارسي" ثم انتقلت متعمدة إلى الحديث في موضوع آخر ، فتظاهرت "نوويل" بأنها لم تلاحظ ذلك .

– "كفى حديثا عن هذه المشكلة . كيف تسير الأمور بينكما ؟ "

– " على ما يرام ".

– " على ما يرام فقط ؟ " لن تتركها "دارسي" بهذه السهولة . "إليّ بالأخبار كاملة . أريدها كلها ".

– " أرى "برودي" كلما كان موجودا بالمدينة ، ولكنه مشغول جدا في الوقت الحاضر . إنه ذروة موسم السباق الصيفي "

– " وأنت كالمعتاد خير من يقدر الظروف "

– " فعلا . هذا ييسر سير الأمور . مع إرهاقي بالمسؤولية عن الطفلين و العمل

www.elromancia.com

الإضافي الذي أقوم به هنا ، لا شك أن أية علاقة ذات طابع ساخن وثقيل سترهقني جدا . إن غيابه لفترات يساعدني على أن أصرف الأمور وفقا لأهميتها النسبية . وأنا بحاجة إلى ذلك ".

- " ثم ما خطة لعبتك يا "تشاندلر" ؟ " قالت "دارسي" بلهجة ساخرة " . كلما زادت مشاغلك قل خطر تطور الأمور الجادة جدا ؟ " كان هذا أحد أسباب إعجاب "نوويل" بـ "دارسي" .

- " شيء من هذا القبيل . لكن ذلك عاد علي بعكس النتائج المتوقعة . وأثبت صحة القول بأن البعد يزيد من شغف الفؤاد " قالت "نوويل" مبتسمة . فقد أضاءت زيارات "برودي" المتقطعة أيامها الطويلة المظلمة .

. فقد كانت علاقتهما (مغازلة) كيفما اتفق . لم تدر "نوويل" إذا كان هذا الوصف أيضا ينطبق على تلك العلاقة إلا أنها لم تجد لها مسمى آخر . إذ إن المغازلة تنطوي على قرار محدد بالزواج . أما هي فلن تعلم لعلاقتهما اتجاها . التجانب الذي تبادلاه كلُ تجاه الآخر كان أبعد بكثير من أن يكون صداقة مع أنه يوجه بتحكم حذر حتى لا يتطور إلى ما هو أبعد من ذلك .

- " ثم ماذا ؟ " قالت "دارسي" في محاولة لحثها على الكلام .

لقد شبهت "نوويل" قصتها مع "برودي" بفيلم سينمائي قديم كانت قد شاهدته :

- " وقعت أحداثه في أيرلند كان الشخصان المزمع تزويجهما " جون واين" و"مورين أوهارا" على ما أذكر يتعين عليهما ركوب عربة معينة يجرها صانع الزيجات . وقد أجلسا على جانبين متضادين ينظران في اتجاهين عكسيين يفصل بين ظهريهما مسافة قدم على الأقل . وكان مطلوبا منهما أن يتعارفا في هذه الظروف ".

- " وماذا عنك وعن أفلامك القديمة تلك ؟ سألت "دارسي" ما دخل ذلك بعلاقتك بـ "برودي" ؟ "

- " هذا وصف لما نقضيه معا من الأوقات . قد لا يكون "باري فيتز جيرالد" موجودا ليراقب كل حركة تصدر عنا ، لكن "داني" و"استي" يبذلان ما في

وسعهما كل في سبيل تأدية دوره ببراعة على مستوى صنع الزيجات والتحكم في الأمور ".

ومنذ موعدهما في نادي "كاو بوي " أصبحت "نوويل" تتوقع من "برودي" كل ما هو غير متوقع . فقد زارها وفقا لجدول مواعيد من إعداده ، لا يفهمه أي من الموظفين العاديين أمثالها . كانت قلقة على أنه ربما لم يكن يتغذى بأسلوب سليم ، فأعدت له الطعام كلما جاء إليها .

- " حيث إن العلاقة بينه وبين الطفلين تسير على نحو جيد ، فإننا نكتفي بأن تكون التسلية في نطاق الأنشطة التي تضمن النهوض بمستوى الذكاء في أطفال الرابعة . لذلك نأكل في مطاعم البيتزا على غناء موسيقى الغوريلات الميكانيكية . بدلا من أن نقصد المطاعم الفرنسية الرومانسية ونتناول عشاءنا على أنغام الشعراء الغنائيين . وعندما نذهب إلى السينما نغض النظر عن الأفلام الغرامية كلية ، لنشاهد أفلام الرسوم المتحركة وغيرها من أفلام الأطفال " .

التهمت "دارسي" بقية طعامها قبل أن تعود إلى العمل مرة أخرى .

- " لقد سمعت عن زيجات ترتب في السماء لكن هذه الزيجة ستصنع في "ديزني لاند" بإذن الله " .

وفي المرة التالية التي التقت فيها "نوويل" بـ "برودي" أعربت له - في سياق الحديث - عن رغبتها في أن تعرف المزيد عن عمله الذي يتكسب منه . فعرض عليها أن تتناول معه الغداء في " رمنجتون بارك " لأنه بهذه الوسيلة سوف يجعلها تحكم بنفسها إلى أي مدى يمكن أن يكون سباق الأفراس الربيعية ممتعا .

ومع أن ذلك اليوم كان يوافق الأحد ، إلا أن "مسز سترلنج" وافقت على أن تبقى مع الأولاد . وبذلك قضت "نوويل" النصف الأخير من ذلك اليوم على انفراد مع ذلك الرجل الذي أصبحت تعتبره راعي البقر الخاص بها .

لم تكن "نوويل" قد رأت حلبة سباق من قبل ، لذلك اصطحبها "برودي" بمجرد وصولها في جولة عاينت فيها تسهيلات البذخ المتاحة .

– " أوكلاهوما " للأفراس الربيعية مثل " كنتاكي " للخيول الأصيلة " قال شارحا لها: بينما وجهها نحو السلم الميكانيكي .

– " إذن ما يقال من أن " أوكلاهوما " عاصمة الأفراس الربيعية حقيقة ؟ سألت " نوويل " " كنت أعتقد أن ذلك مجرد دعاية من إعداد المسؤولين عن السياحة " .

– " نعم . إنها حقيقة واقعة لأن " رمنجتون " تستضيف سباق الخيول الأصيلة في فصلي الربيع والخريف . أما الصيف فهو فصل مباريات الأفراس الربيعية " .

وتبددت فكرة " نوويل " الأولى عن حلبات السباق بعد ما اصطحبها " برودي " إلى تلك الجولة . رأت " رمنجتون بارك " تضم مساحة ثلاثمائة فدان محفوفة بآلاف الأشجار . منظر خلاب في حد ذاته .

وكان المشهد الذي فرض نفسه أكثر من أي شيء آخر في المكان هو ذلك الاستاد الزجاجي المغلق المتحكم في درجات حرارته أوتوماتيكيا الذي يتيح في كل موقع من مستوياته الأربعة مناظر بانورامية للحلبة . و شاشتين عملاقتين ومايزيد على ثلاثمائة مرقب تليفزيوني " فيديو " ، عملت على رفع درجة الإثارة التي كانت تتزايد كلما اقترب موعد بدء السباق .

كما أتاح ذلك النفق الزجاجي ، الذي تخلل الاستاد، للهواة فرصة مشاهدة كل خطوة من تفاصيل العرض الوشيك البدء ، بينما قام المدرج الجميل الذي تحيطه الحقول المكسوة بالأعشاب كخلفية جميلة لمهرجان استعراض الأفراس قبل بدء تباريها . وعندما أعربت " نوويل " عن إعجابها بالشجيرات ذات الأزهار الحمراء التي سادت المكان ، أخبرها " برودي " بأنها والنباتات المزهرة الأخرى قد استزرعت بالمشتل الملحق بالمكان .

وكان متنزه " إنغليد " مخصصا للعائلات ولم يسمح لمن هم دون الثامنة عشرة – بالاستفادة من باقي التسهيلات المتاحة فيه .

شاهدت " نوويل " تلك المناظر الممتعة بمزيج من مشاعر السعادة والرهبة .

– " لم أكن أظن بأنها بتلك المساحة الواسعة ، ولا على هذا المستوى من النظافة! كيف يتسنى لهم الحفاظ على جدار من الزجاج بارتفاع أربعة طوابق

بهذا البريق ؟ "

هز " برودي " كتفيه قائلا :

– " بالعمل الشاق والمنظفات .. أعتقد " .

– " وأين نحن ذاهبان الآن ؟ " سألت وهو يصطحبها إلى السلم الميكانيكي مرة أخرى " .

– " أعتقد أننا يجب أن نصعد إلى هناك ونتخذ لنا منضدة . يضم هذا المكان أربعة وعشرين مطعما ، إلا أنني أفضل دائما ارتياد مطعم " سيلكي كلوب هاوس " .

صعدا إلى المستوى الثالث . لاحظت " نوويل " المستوى الرفيع لجميع الحاضرين هناك . سعدت بأنها قد ارتدت ثوبها الأبيض المكون من قطعتين إذ كان الأفضل بين ثيابها ، كما أنه شكل تناقضا مع " برودي " الذي ارتدى حلة سوداء وقبعة سوداء وحذاء أسود بل وقميصه كان أسود .

جلسا إلى منضدة قريبة من خط النهاية ، عليها غطاء من التيل زينته الأزهار النضرة ، وقف إلى جوارها مضيف بدا أنه معروف لـ " برودي " جيدا .

– " من الجميل أن نراك يا " مستر سوير " قال الفتى مرحبا وهو يقدم إليهما قائمتي الطعام المغلفتين بالجلد " . هل أحضر لك وللسيدة مشروبا ما ؟ "

طلبا شايا مثلجا . وعندما انصرف المضيف التفتت " نوويل " محدثة " برودي " :

– " لقد تأثرت إلى حد كبير بما رأيت . لا أدري من أين أتتني فكرة أن حلبات السباق لا يرتادها إلا المدخنون والمقامرون ! "

سر " برودي " إذ رأى أن أفكارها الخاطئة قد تبددت وشعر بسعادة غامرة أنها كانت تجد متعة غامرة فيما تعلمه عن عمله . كان ذلك أحد أسباب اصطحابه لها إلى ذلك المكان . أما ثاني هذه الأسباب وأكثرها أهمية فذلك أنه سيجد هنا الفرصة ليخبرها عن " سيمارون " وعن كل ما يجب أن تعرفه عنه . فقد حان الوقت لأن يعترف لها بحقيقة عمله ومركزه . اليوم هو يوم الاعتراف ، وإن كان قد جاء متأخرا بعض الشيء فلا بأس ، فذلك أفضل بكثير من عدم

الاعتراف نهائيا . سوف يتناولان غداهما أولا .

ليس هناك أفضل من وجبة من الإربيان "الجمبري" لتنشيط استقبال الإنسان لما سوف يسمعه .

وعندما لم تكف عن الانبهار بما رأت قال لها :

- " يجب أن تشاهدي المستوى السطحي . درجة كل شيء الفخامة التي يتميز بها . النادي والمطعم والأجنحة التي تستأجر على مدار العام بواسطة رجال الأعمال وغيرهم ".

- " لا أستطيع أن أعتبر هذا فقرا ". قالت وهي تتأمل الفضة اللامعة والبلور البراق على المائدة . ولما رأت الأسعار بقائمة الأطعمة ، أتت حركات مضحكة بوجهها .. هل يستطيع "برودي" أن يتحمل تلك النفقات لمجرد أنه يريد التأثير فيها ؟

رآها وهي تنظر إلى القائمة فقال :

- " اطلبي ما ترغبين . إلا أن الإربيان (الجمبرى) عظيم جدا ".

- " إذا كنت واثقا ؟ " قالت مترددة .

- " نعم ! أنا واثق . هل تعتقدين أني مفلس عاطل أو شيء كهذا ؟ "

ومن الأسلوب الذي احمر به وجهها علم "برودي" أنه قد أصاب الهدف .

- " بالتأكيد لا . بدا لي فقط أنه أكثر مما يجب أن يؤكل كطعام غداء " قالت في ضعف .

وعاد المضيف بمشروبيهما . وأخذ عنها "برودي" القرار بأن يختار الطعام لكليهما . فلما أصبحا بمفردهما قال :

- " أعلم أن لديك الكثير من الأسئلة . لماذا لا تطرحينها و سأحاول من جانبي أن أعطيك بعض الإجابات ".

قرأت "نوويل" إعلانا على إحدى الشاشتين الكبيرتين وسألت :

- " متى وقت البدء ؟ "

- " وقت بدء السباق . لديك عشر دقائق الآن . إذا أردت أن تراهني يجب أن تفعلي ذلك قبل ظهور الخطوط فوق النوافذ " .

هزت رأسها :

- " لست أنا التي أفعل . لن أساهم في النفقات الباهظة لهذا المبنى الفخم " .

ضحك برودي .

- " هذا ليس "لاس فيجاس" . إنك لا تراهنين ضد الجواد . "رمنجتون بارك" لا يحصل على حصة من الربح إننا هنا نراهن ضد أنفسنا ".

- " أتعني أن الحلبة لا تتقاضى نصيبا من الأموال المراهن بها ؟ "

- " من كل دولار مراهن به يحصل المراهنون الفائزون على اثنين وثمانين سنتا وتقسم الثمانية عشرة سنتا المتبقية بين الحلبة والدولة والجائزة المالية ".

- " جائزة من ؟ " سألت متشككة .

- " الجائزة التي تمنح للفائزين في السباق ".

- " لا أعتقد أني أعرف الكثير عن ذلك . لذا سأصرف النظر عن المراهنة ".

وعندما فتحت النشرة الخاصة بالبرنامج لذلك اليوم وجدت أنه في السباق الأول كان الفرس رقم أربعة وهو رمادي يبلغ من العمر عامين اسمه "داستي دان"

- " و"داستي" و"داني" عمرهما أربع سنوات . يالها من صدفة غريبة . ربما أراهن عليه ". قالت

- " احتمالات الفوز عشرون إلى واحد " قال "برودي" محذرا . "ليس لهذا الفرس سجل إنجازات سابقة ، أو مراكز نهائية متقدمة . هذا يعني أن احتمالات الفوز فى غير صالحه . لا أراهن أبدا على فرس كهذا مالم يكن من بين خيولي وأثق في إمكاناته ".

- " أعلم ذلك . ولكنني سأراهن عليه لمجرد اللهو . من أجل أنه يحمل اسمي ولدي ".

- "لقد سمعت عن أسباب أغرب من ذلك في اختيار الخيل . بعض الناس يبحثون عن الفرس الجميل الذي يرفع ذيله إلى أعلى وبعضهم يراهنون على الأفراس السوداء التي ترتدي أغطية حمراء وإحدى المراهنات المعروفة لي تعتمد على ذكاء الجوكي . لذا أعتقد أن مبررك لاختيار ذلك الفرس لا يقل عن هذه

المبررات سلامة ".

اصطحبها على ارتفاع عدة درجات وشرح لها كيف تضع مبلغ رهانها في النافذة . وكعادتها في التحفظ راهنت بمبلغ دولارين على فوز الفرس رقم أربعة. وبينما يغادران النافذة صفر "برودي" وقال سرا :

- " يا للتبذير ! "

وإذ عادا إلى المائدة زودها بمعلومات خلفية بينما كانا يشاهدان الأفراس تستعرض نحو خط البدء .

- "هناك ثلاثة أنواع من السباق فيما يتعلق بالأفراس الربيعية .سباق المسافات القصيرة وسباق المسافات الطويلة والانعقاف حيث تتخذ الأفراس دورة حول الحلبة . أفراس المسافات القصيرة تتميز بالقصر والقوة والامتلاء . بينما تكون أفراس المسافات الطويلة أطول وأقل امتلاء ".

- " السباق الوحيد الذى رأيته كان "دربي كنتاكي" وقد شاهدته على شاشة التليفزيون " قالت " لكن هذه الأفراس لا تبدو كالخيل الأصيلة ".

- " إنها ملاحظة جديرة بالتقدير . يجب أن تكون للأفراس الربيعية القدرة على أن تبدأ بدءا متفجرا ، وأن تعدو الجزء المستقيم من الحلبة بأقصى سرعة . وهذه القدرة مصدرها جسد مكتنز عضلي تماما . فهذه الأفراس تكون أكثر قوة فى مناطق العجز والفخذين (والجاسكين) بصفة خاصة .

- " أعلم الأول والثاني لكن ما هو "الجاسكين" ؟ "

ضحك في خفوت . ربما لم يعلم الكثير عن الكتب أو المسرحيات لكنه كان أستاذا في الخيول .

- " "الجاسكين" هو منطقة منتصف الساق الخلفية . وقوة الربع الخلفي منها هي المسؤولة عن سرعة البدء والقدرة على الاحتفاظ بمستوى مرتفع من القوة في السباقات القصيرة التي تغطي مائتين وعشرين ياردة ، أو السباقات الطويلة التي تبلغ ألف ياردة ".

- " البدء السريع مهم إذن ؟ "

- " إنه أساسي . فالأفراس الربيعية تندفع بقوة عبر البوابة لتبلغ أقصى

سرعة لها بعد الخطوة الأولى فتجري المسافة كاملة . ولا تكون هناك أية منافسة على المركز حتى يطلب الجوكي من فرسه أن يتقدم المجموعة . لا بد أن يبذل الفرس كل ما في وسعه بدءا من اللحظة الأولى لفتح البوابة ، وحتى انتهاء السباق . والفرس الجيد يجب أن يكون جريئا مع توفر الرغبة في الفوز لديه ". والانطلاق بكامل الطاقة يجعل من الأفراس الربيعية أسرع سلالات السباق . فيمكنها أن تحمل راكبا يزن ٥٤ كجم وتنطلق بسرعة تجاوز ثمانية وثمانين كيلو مترا ونصف الكيلو متر فى الساعة . كما يمكنها أن تقطع مسافة أربعمائة متر في زمن يقل عن اثنتين وعشرين ثانية من بدء انطلاقها . لذلك يمكن أن تضيع طرفة عين المتفرج السباق كله عليه ".

تابعت "نوويل" الفرس "داستي دان" في الحلبة أو في الاستاد .

- " كيف تجده ؟ " سألت في قلق فقد تبين لها أنها ليست مؤهلة لهذا القدر من الإثارة .

- " ليس رديئا " . أجاب فى غير اهتمام . " إنه يجري رافعا رأسه ويبدو متيقظا وهادئا ومستعدا للسباق ".

- " وهل هذه هي المؤشرات الجيدة ؟ "

- " بالتأكيد . الفرس العصبي يستنزف قوته وحيويته ولا يبلغ الهدف . ونعبر عن هذه الحالة بقولنا : إن الفرس قد جرى سباقه وهو بعد في حقل الاستعراض . من غير المستحب أن يستنزف الفرس كل هذه القوة قبل بدء السباق بحيث لا يتبقى له شيء . وهذا الفرس الذي تراهنين عليه يتمتع بخطوة هادئة منتظمة ، وهذا يعني أنه غير مصاب في أحد أرجله " .

- " هذا مشجع " قالت بأسلوب جاد .

- "هاي إنها مجرد رياضة ".

وفي هذه اللحظة انطلقت الألحان المنبهة من الأبواق ودق جرس البدء . ونطق مذيع الحلبة كلماته السحرية : " وقد انطلقت الأفراس"

وحين تمكنت "نوويل" من رؤية بوابة البدء التي كان يتم تحريكها من سباق إلى آخر كان السباق قد انتهى .

– " لم أر شيئا على الإطلاق " تنهدت "نوويل" شاكية

ثم جاء صوت المذيع ثانية :

– " الفرس الفائز هو رقم أربعة "داستي دان" وراكبه .. "

ولم تسمع باقي ما قيل . فقد كانت تقفز وتهلل وتعانق "برودي" .

– " لقد ربحت . ربحت ! "

– " إنه رهان بمبلغ دولارين فقط " قال غائظا : " من يراك متهللة هكذا يعتقد أنك قد نجحت في استرداد بيت الآباء والأجداد من "هاري" ذى القلب الأسود".

– " أعلم . لكن الفوز مثير جدا ".

– " ألن تذهبي إلى الطابق العلوى لتحصلي على مكاسبك ؟ "

– " مكاسبي ؟ " سألت بعينين ملؤهما الدهشة " كم تبلغ ؟ "

– " حسنا أيتها الثرية أعتقد أن أربعين دولار ستدخل جيبك الآن ".

وفي انتظار المجيء بطعام الغداء استخدمت "نوويل" ذلك الكسب غير المتوقع في عدة مراهنات أخرى لم تسفر عن أي ربح جديد . ولما لم يحالفها الحظ ثانية ، أقلعت عن المراهنة وانشغلت بمتابعة بعض الأفراس التي أعجبتها وأثناء تناول وجبة الإربيان الشهية أمدها "برودي" ببعض المعلومات عن تاريخ صناعة الخيل هذه . وسرعان ما اكتشفت أن الخيل سبب وجوده . كان متحمسا جدا وهو يحدثها حتى أنه عاد وسألها ما إذا كان مثل تلك الجياد العصبية . لكن هل أنفق الكثير من الطاقة والعاطفة في عمله بحيث لم يتبق له منها أي قدر للأمور الأخرى ؟ "

– " وقد ربيت الأفراس الربيعية أساسا لميزاتها التي تناسب سباق الحواجز وأهميتها السرعة المبكرة والرأس المرفوع " . قال شارحا . " وكان سباق المباريات هو الرياضة المحببة في ذلك الوقت ، لذلك لم تبدأ من بين تلك السباقات الأولى عند البوابات إلا القلة النادرة . فإذا كان الفرس سهل الإثارة فمن المستحيل أن يجتاز كفرس سباق لا كجواد ماشية ".

– " والآن وقد أصبحت البوابات تستعمل هل هناك فرق ؟ " سألت "نوويل" .

– " ليس الرأس المرفوع هو ما يهم مربي أفراس السباق في المقام الأول الآن

كما كان في وقت من الأوقات . ففي وقتنا هذا يربون من أجل السرعة فقط . لكن "توب روبرتس" ينتمي إلى المدرسة القديمة ، ومن رأيه أنه إذا لم يهتم المربون فسوف يفقدون الميزة الأساسية الأخرى للفرس الربيعي وهي الحس الفطري ، فقد علمني "توب" أن ذلك الحس والهدوء يسيران يدا فى يد . وأنا دائم البحث عن هاتين الصفتين في الخيول التي أدربها . إذا فقدت إحداهما – يقول "توب" – ستفقد الأخرى واذا فقدت كلتيهما فقدت الفرس الربيعي كلية".

وبينما كانا يتناولان طعامهما كان أناس كثيرون يتوقفون ليتحدثوا إلى "برودي" واكتشفت "نوويل" أنه كان محبوبا جدا في "رمنجتون بارك" . وبعد أن أزيلت أطباق غدائهما ثنت ذراعيها على المائدة وانحنت نحوه قائلة :

– " "برودي" ما عملك على وجه التحديد ؟ " كانت نبراتها جادة . " إذا لم يضايقك أن أسأل ".

– " إنه لا يضايقنى على الإطلاق . بل إنه أحد أسباب مجيئنا إلى هنا اليوم . لأنه لا يمكننا أن نتحدث معا بما يكفى بسبب الإزعاجات التي تحف بنا عندما نكون معا .

– " هناك إزعاجان أعرفهما جيدا " قالت مبتسمة .

أجاب "برودي" عن أسئلتها أثناء تناولهما "الآيس كريم" الفاخر .

– " "رايلي" وأنا نمتلك مائة وستين فدانا على بعد عشرة أميال شرقي هذا المكان . وقد أنشأنا عليها إسطبلات سباق "سيمارون" منذ أكثر من عشرة أعوام . كلفنا ذلك الكثير من الجهد والعمل الشاق المتواصل وهى الآن إحدى أفضل الإسطبلات فى المنطقة ، وأحلم بأن أجعلها الأفضل على الإطلاق ".

– " هل تمتلكون إسطبلاتكم إذن ؟ " سألت في دهشة " لقد ظننت ..."

– " أعلم ما قد ظننته يا "نوويل" وأنا آسف إذ لم أطلعك بنفسي على الصورة الصحيحة . عندما التقينا أول مرة ، لم أرغب في أن تظني أنني أتباهى ، أو أنني أحاول التأثير عليك . لذلك لم أذكر لك شيئا عن "سيمارون" . وبعد ذلك لم أر ضرورة لأن أخبرك ".

– " أفهم من ذلك أن "سيمارون" شيء جدير بأن تتباهى به ؟ "

– " إننا فخوران به . لقد ساعدنا "دوب" على أن نبدأ لكن "رايلي" وأنا قمنا بتشييد الإسطبلات من لا شيء تقريبا . عندما اشترينا ذلك العقار لم يكن عليه سوى سقيفتين مهدمتين وحظيرة ذات جدران بالية ، يمكن إلقاء هرة من خلالها ، ومنزل خشبي صغير . وبفضل اتصالات "دوب" وافق عدد قليل من أصحاب الخيل على تجربة خدماتنا في هذا المجال ، وبذلك استطعنا أن نشق طريقنا ".

ثم استطرد قائلا : "إن كلمة الشرف مهمة جدا في عملنا هذا . امتلاك جياد السباق أمر مكلف جدا ، لذلك فإن أصحاب الجياد الذين يمكنهم استئجار مدربين لجيادهم غالبا ما يكونوا موسرين ومن ذوى النفوذ . فإذا شهدوا لك شهادة حسنة في المجال الصحيح ، فإن ذلك يساعدك جدا ".

جلست ساكنة تماما تحاول أن تستوعب كل ما يقوله . فكرت في أولئك الأثرياء الذين عاملوه بهذا القدر من الاهتمام ، واستنتجت أنه لابد وأن يكون ناجحا جدا في مجال عمله .

– " ولم تكن سجلات الحلبة فى غير صالحك أبدا ، أليس كذلك ؟ "

– " طالما قد سألت ، لا ". قال في تواضع " لقد قمت بتدريب الفائزين الأخيرين في السباق الاستقبالي الأمريكي ، وأمل أن أفعل ذلك هذا العام أيضا ".

ولما لم تقل شيئا سألها :

– " هل هذا يوجد أي فرق يا "نوويل" ؟ فإنى بقدر ما أرغب أن أكون فقيرا بالنسبة لك ، بقدر ما أنا دؤوب على الفوز والمدربون الفائزون ليسوا بالفقراء ".

نظرت إليه فوجدته يراقبها في انتظار تعليق منها وهو يمضغ خلالا خشبيا بعصبية فقالت في لوم ساخط :

– " أيها الصَمُوت الكبير لقد ظننتك تنظم التبن ، أو تزيح السماد ".

– " إذا كنت تفضلينني هكذا فقد عملت في كليهما كثيرا . عندما بدأنا . "رايلي" وأنا كان علينا أن نفعل كل شيء بأيدينا . وأصبح لنا الآن عشرة من العمال يعاوننا ، ومع ذلك ليس هناك الوقت الكافي لإنجاز كل الأعمال

المطلوبة . فمنذ بادئ الأمر اعتدنا العمل عشرين ساعة يوميا . ربما لذلك يصعب علي مغادرة العمل كثيرا . هل أنت غاضبة مني ؟ "

– " كيف أغضب منك ، لأنك ناجح إلى هذا الحد ؟ وبالإضافة إلى ذلك ، لم أهتم مطلقا بحسابك في البنك ".

– " ومن المؤكد أيضا أنك لم تجدي ما تهتمين به فى عقلي " انحنى عبر المائدة مستطردا " ما الذي يهمك إذن يا سيدتي ؟ جسدي ؟ "

واندهشت مرة أخرى على مدى تجاوب أحاسيسها معه . شعرت بخجل وبرغبة فياضة ، كانت على وشك أن تبوح بحقيقة مشاعرها . لكن بدلا من ذلك التقطت ملعقتها وأشارت إليه في استخفاف :

– " كل ما يهمني حاليا هو هذا "الأيس كريم" اللذيذ ".

ابتسم "برودي" ، ولم يزل الخلال الخشبي فى فمه واسترخى في مقعده . لقد استراح أن اعترافه قد استقبل الاستقبال الحسن . لكن ما الغريب في ذلك ؟ لقد كانت امرأة متفهمة تماما .

– "نوويل"

– " نعم "

– " أعلم أنك لا ترغبين في مزيد من المراهنة . لكن ما رأيك في رهان ذي جائزة قيمة بيننا فقط ؟ " واقتم لون عينيه قليلا .

– " جائزة قيمة ؟ "

– "نعم . انظري كيف يجري . تختارين فرسا ، فإذا فاز أكون مدينا لك بقبلة . وأختار فرسا فإذا فاز تكونين مدينة لي بقبلة . ويمكننا تسوية حساباتنا فيما بعد . أعنى بعد أن يأوي الطفلان إلى الفراش ". وخشية ألا تكون قد فهمت ما يرمي إليه أضاف رافعا أحد حاجبيه " عندما نكون بمفردنا "

– " وماذا يكون لو لم يفز أي من الأفراس التي نختارها ؟ "

– " في هذه الحالة يحصل كلانا على جائزة الترضية ".

ورفعت ابتسامته روحها المعنوية ، فقد كان "برودي" كفيلا بتهيئة جو صاف، وتدبير مسابقات لا خسارة فيها .

– " لقد غلبتني يا راعي البقر ".

وبعد ثلاث مرات مختلفة من السباق الآخر وقف "برودي" قائلا :

– " لنتمش حتى مستوى الحلبة ، لدي مهرة في هذا السباق وتبدو واعدة اليوم ".

– " أيها ؟ "

– " رقم ستة . اسمها "ماما تطبخ" "

وبمجرد أن بلغا منطقة الحقل المكسو بالعشب الذي تسرج فيه الأفراس ، وتستعرض قبل بدء السباق ترك "برودي" "نوويل" عند السور ، بينما أشرف على تسريج مهرته متحدثا إلى الجوكي . ولحق بها ثانية وقت البدء المرعد لمسافة الثلاثمائة ياردة . وكانت النهاية وشيكة كالمعتاد فى سباق الأفراس الربيعية . لكن حتى عين "نوويل" غير المدربة كانت ترى أن الفائز لابد أن يكون رقم ستة بما لا يدع مجالا للشك .

وفازت مهرة "برودي" وطوقت "نوويل" عنق "برودي" بذراعيها ابتهاجا فرفعها عاليا وأخذ يدور مرات ومرات وهو يحملها . وقفها على قدميها ، ثم جذب يدها قائلا :

– " هيا بنا "

– " إلى أين ؟ " سألت وهما يشقان طريقهما بصعوبة من خلال الجمهور المتحرك في شبه دائرة .

– " حيث يجب أن نكون " . قال وهو ينظر في عينيها بعمق " في حلقة الفائزين ".

شاهدوا عددا قليلا من أنواع السباق الأخرى وجمعت "نوويل" ما أمكنها من نشرات من أكشاك الاستعلامات . لقد استمتعت بيومها الى حد كبير . وقد أضاف وجودها بجانب "برودي" أثناء تكريمه من النظراء والهواة على حد سواء الكثير إلى سعادتها .

وفى تلك الليلة بعدما غط الطفلان في نوم عميق قام "برودي" و"نوويل" بتسوية حسابات مراهنات ذلك اليوم ... بولوع .

الفصل الثامن

واستمرت لقاءاتهما . ولما كانت الأوقات التي يقضيانها معا مؤكدة الإتاحة فقد كانت ثمينة عند كل منهما . عندما يسافر يتصل هاتفيا كل ليلة تقريبا . وفي إحدى الأمسيات بينما استقرت "نوويل" ومعها كتاب تؤجل قراءته إلى أمسية تشعر فيها بالوحدة دق جرس التليفون . وقبل أن تجيب قال صوت مثير:

– " أهلا ياحبيبتي . أنا مارق حديقة الحيوان ".

ضحكت قائلة :

– " ماذا لو أنك طلبت رقما غير صحيح ؟ من الممكن أن يحدث ذلك ".

– " لسعداء الحظ فقط ، الذين يعيشون باستقامة ولا يغشون في إقراراتهم الضريبية ".

حاول "برودي" أن يجعل حديثه ظريفا ، لكنه قد افتقدها أكثر مما كان يظن أنه يمكن أن يفتقد أي إنسان . ولم يكن الحديث هاتفيا كافيا . أراد أن يراها . وفي حالته هذه واحتياجاته الجسدية حتى رؤيتها ربما لا تكفي .

– " سأكون في "أوكلاهوما" غدا ، أيمكنك الخروج ؟ "

– لم اكن أتوقعك حتى الأسبوع القادم . وقد وعدت الأولاد أن نطهو بعض "الهامبورجر" بالخارج . لماذا لا تنضم إلينا ؟ "

– " لا أعتقد أنك تديرين مطعما للعابرين من الرجال يا "مسز تشاندلر" .لقد أكلت فى منزلك أكثر مما يجب . وقد حان الوقت للإنفاق من عندي ".

– " هراء ! فقد اصطحبتنا إلى السينما وإلى أرض الجولف الصغيرة ، وإلى مطعم البيتزا . هذا فضلا عن نفقات السفر الإضافية . ولن نذكر تكلفة كل هذه المكالمات . قليل من "الهامبورجر" أقل ما يمكنني تقديمه .

– " إني عضو بنادي التعويض الميلى بشركة الطيران ". قال "برودي" وقد كان معجبا بالتركيب الاقتصادي لعقل "نوويل" . حتى بعد أن علمت أنه متيسر ماليا،

arwa-elromancia.com

كانت لا تزال قلقة من جهة النفقات . ربما لأنها أم لطفلين ، ومتكفلة بتنشئتهما يجب أن تحرص على كل بنس من دخلها . أثار ذلك غضبه على "ستيف تشاندلر" الذي صعب لها الحياة إلى هذا الحد .

وقد راودت "برودي" أكثر من مرة فكرة أن يقدم لها مبلغا من المال لمواجهة بعض طلبات الطفلين ولكنه كان يعلم أفضل من أن يتصرف هكذا . لن تقبل "نوويل" منه مثل هذه المساعدة . إلا أن هناك كثيرا من الطرق التي تؤدي به إلى هدفه . وقد اعتاد أن يصغي إلى حديث الطفلين ليعرف ما يريدانه فيفاجئهما به في صورة هدايا في رحلة عودته .

كانت "نوويل" تعترض بحجة أنه يدللهما أكثر من اللازم ، إلا أن اعتراضاتها كانت تأتي متأخرة بعد أن يفض الأولاد أغلفة هداياهما . وكان "برودي" يجد متعة في إسعادهما ، فلن يكون لديه من يدلل قط . وأحب المشاعر التي تعود عليه من جراء ذلك .

كان مجمل علاقته بـ "نوويل" وطفليها جديدا عليه كلية حتى أنه بدأ يفكر كيف يكون طعم الحياة عنده لو شارك في ضحك وحب ودموع حياة عائلية دائمة.

غالبا ما كان يشك في أنه قادر على أن يعيش تلك الحياة وفي أن طفولته القاسية ربما تكون قد عوقته عاطفيا فلم ينل قدرا كافيا من التربية أو العاطفة في سني تكوينه وكان يجد نفسه قاصرا تماما عندما يتطلع "داستي" و"داني" إليه طلبا لهذه الأشياء .

كان يعاملهما على النحو الذي يأمل أن يعامله والده وكانا يستجيبان له بتوقير بريء .

أما شعوره نحو "نوويل" فلم يمكنه أن يتحكم فيه بقدر كاف من السهولة . فلم تتح له حياته الأولى بين تلال القانورات بشرق "أوكلاهوما" إلا النادر من البهجة أو الجمال . والآن بسبب علاقته بـ"نوويل" أصبح له الكثير من كليهما . لم يتعرف بأحد في مثل مستواها غير العادي حتى أنه كان يخشى أحيانا ألا يكون جديرا بها .

كانت ذكرياته الأولى تدور حول والده وهو يصفه بأنه تافه ولا قيمة له . وأن وجوده وأخيه "رايلي" قد أفسد حياته . كان "برودي" يقضي كثيرا من لياليه مستلقيا في فراشه يفكر ويقلق من أن يأتي اليوم الذي تكتشف فيه "نوويل" بأنه غير جدير بحبها فتتركه .

سيحاول أن يثبت جدارته . هل لم يكن ذلك ما قضى حياته كلها يفعله ؟ لكن العمل هو الشيء الوحيد الذي يتقنه . فقد علم منذ البدء أن مفتاح النجاح هو العمل الجاد . لذلك ركز عليه متجاهلا كل شيء غيره على رجاء أن يأتي اليوم الذي يحبه فيه شخص ما ، إذا ما استحق ذلك الحب بفضل عمله الجاد .

والآن وقد بدا أن شخصا ما يمكن أن يحبه انتابه خوف قاتل . ليس بسبب استعداده للاعتراف بذلك ولكن لأنه كان وشيكا أن يفقد قلبه مع هذين الوغدين الصغيرين وأمهما الفاتنة . كان شعوره الفوري أن يهرب من تلك الأحاسيس التي هزته ، ولكن شيئا ما حال دون ذلك .

وتبين فجأة أنه لم يكن مصغيا تماما عندما كانت "نوويل" تعدد بعض أفعال الطفلين . فقال :

– " "داستي" و"داني" وأنا سنعد الطعام ونقوم بأعمال النظافة . موافقة ؟ "

" حسنا . لكن عليّ أن أحذرك أن الشيء الوحيد الذي يتقنه الطفلان هو الفوضى ".

– " سنتعلم كل شيء معا ".

– " انتظر قليلا يا راعي البقر ".

– " كنت أغيظك "

– " أنا سعيدة بأن الطهو سيكون خارج المنزل . لا أعتقد أنني كنت أثق فيك إلى حد تسليمك مطبخي "، لكن ما كانت تخشى بالفعل تسليمه إليه هو قلبها .

– " لا تقلقي . أنا خبير في استعمال الفحم النباتي . ولست عاجزا في المطبخ أيضا ".

– " إذا كانت لك هذه الخبرة في مجال إعداد الطعام فقل لي ما المقدونس ، وحصا لبان والزعتر ؟ "

– " هل هي أغنيات عاطفية منذ الستينات ؟ " قال "برودي" مخمنا .. فضحكت:

– " بالفعل كما توقعت منك ".

– " حسنا إذن . إنها أعشاب . كنت أعلم ذلك ، إني ماهر جدا في المطبخ ". ثم أضاف بنبرة ملؤها التلميح " كما أني لست عاجزا في بعض الحجرات الأخرى".

– " أراهن أنك لست كذلك " قالت بصوت مرهف بفعل ما صورته كلماته " لكن هل يمكنك الطهو ؟ "

عندما ذهب "برودي" إلى منزل "نوويل" في اليوم التالي لاحظ اختلافا عليها وعلى الطفلين سمحت له أن يحييها بعناق خفيف ، وبقبلة على وجنتها . لكن مظهرها العام يدل على انشغالها وشرود ذهنها .

ورغم أن الطفلين قد شكراه على قبعتي رعاة البقر اللتين أحضرهما لهما ، فقد فعلا ذلك بدون القفز والصياح الذي اعتاده منهما . تعجب لذلك . وأخذ يبذل جهودا خارقة لينتزع منهما قهقهة سطحية .

أحس أن شيئا ما كان يحزنهم جميعا . لكن مادامت "نوويل" لم تعرض أن تخبره بشيء تردد في أن يسألها . وفي وقت لاحق بينما وقف في فنائها الصغير المرصوف يقلب الـ"برجر" ويصغي إلى تغريد الطيور حاول أن يكتشف الخطأ الذي ارتكبه .

جلست "نوويل" في مقعد مجدول تشاهد "برودي" يعمل عند المشواة . كانت عادة ما تحب ذلك الوقت من اليوم عندما تمتد ظلال المساء عبر أحواض الأزهار التي ملأتها بنباتات الزينيا والقطيفة المزهرة . وكانت في تلك اللحظة بعض أزهار من شجيرة ورد تطفو على وجه الماء في حمام الطيور بالحديقة باحد الأركان . وتحت ذلك الحمام كانت ضفدعة خضراء تغمز بإحدى عينيها في مرح ، كانت قد ابتاعتها لأنها تذكر الطفلين بالشخصية المحببة إليهما في قصص الضفدعة والضفدع .

كانت "نوويل" تبتسم عادة لرؤية تلك الضفدعة ، ولكنها فقدت اليوم سحرها لعنة الله على "ستيف" .

– " أخرجنا كل شي ". قال "داستي" لـ "برودي" بصوت حزين .

– " ماذا تريدنا أن نفعل الآن يا "برودي" ؟ " سأل "داني" وقد فارق عينيه بريقهما المعتاد .

– " لن نستطيع أن نفعل أي شيء قبل أن ينضج اللحم " أجاب "برودي" واضعا الغطاء فوق المشواه ثم أومأ نحو الأرجوحة ذات الخطوط الزاهية " لماذا لا تتأرجح قليلا لحين أن ينضج اللحم ؟ "

هز "داني" كتفيه وهو ينظر إلى أمه – التي كانت مستغرقة في التفكير وهي تنظر إلى إحدى الفراشات تتنقل بين أزهار القطيفة وقال :

– "ليست لدي الرغبة في التأرجح الآن ".

وتبعت نظرة "داستي" نظرة أخيه :

– " ولا أنا ".

بدا الطفلان قلقين على أمهما مثلما كان "برودي ".

– " إذا ما رأيكما في الجلوس مع ماما ؟ "

وافقا . وجلس "برودي" في المقعد المجاور لمقعدها بينما جلس الطفلان عند قدميها بدلا من أن يتنازعا على الجلوس في حجره كالمعتاد .

– " هل هذا بسبب شيء قلته ؟ " سأل

نظرت إليه وكأنها قد نسيت أنه موجود وقالت :

– " ماذا ؟ "

كرر سؤاله عليها ثم أشار إلى الطفلين متسائلا :

– "هل فعلت شيئا سيئا ؟ "

– " لا . لا. لقد مر الطفلان بيوم سيئ . هذا كل ما هنالك ".

– " أي شيء يمكنني إصلاحه ؟ " لو كان يستطيع لجمع كل مشاكلهم في حزمة واحدة وألقى بها في قاع بئر عميق .

– " لا ".

– " لست مدينة لي بأية تفصيلات بالتأكيد . يكفيني أني علمت بأنني لست المسؤول عن هذه الحال التي أنتم عليها اليوم . كدت أعتقد أنهما أصبحا لا

يحباننى ".

- " الأمر ليس كذلك على الإطلاق . سأخبرك فيما بعد ".

تمنى "برودي" لو أنه يعلم المزيد عن الطفلين وعن الأشياء التي تسعدهما . كان مستعدا لأن يفعل أي شيء ليرى هذين العفريتين الصغيرين يبتسمان من جديد .

وإذ تذكر كيف أنه و"رايلي" كانا يفرغان ضيقهما في مصارعات ودية خلع حذاءه واستلقى على العشب :

- " أراهن أنكما لا تتصارعان أبدا " قال متحديا :

نظر "داستي" و"داني" كل منهما إلى الآخر ثم إلى أمهما . شجعتهما بابتسامة وكان "داستي" أول من استجاب :

- " بالتأكيد نتصارع . فهذا ممتع جدا ".

- " لكننا لا نستطيع ذلك داخل المنزل " . قال "داني" مفسرا .

- " أليس من حسن الحظ أنه يتصادف أن نكون بالخارج ؟ "

جذب "برودي" الطفلين كلا في ذراع ووضعهما فوقه وأخذ يدغدغهما ويدحرجهما على الأرض حتى صاحا من شدة الفرح .

وعندما أرادت "نوويل" أن تطمئن على طهو طعام العشاء كان الدخان قد بدأ يتصاعد إلى خارج المشواه وكان "البرجر" قد تحول إلى اللون الأسود . أملت "نوويل" في ألا يلاحظ جيرانها ما حدث . أمسكت بالملعقة ونادت :

- " هلموا يا رعاة البقر "

حمل "برودي" الطفلين كلا تحت إبطيه ووضعهما على المقعد الطويل إلى منضدة الرحلات .

- " سنلعب ثانية بعد العشاء . " قال لهما ذلك لأنهما كانا يريدان المزيد .

- " نريد أن نلعب الآن " قال "داستي" وهو يحرك ساقيه ويضم ذراعيه الصغيرين إلى صدره متحديا

- "نعم " انضم "داني" إليه وقد قلده في حركاته . "وماذا لو نسيت ؟ "

كشر "برودي" بسخرية قائلا :

- " هاي يا رفاق . الاتفاق هو الاتفاق . لن أنسى .

بمجرد أن نزيل هذه الفوضى سنعود إلى اللعب مرة اخرى . إنى أعد " ووعد "برودي" على غير عادته .

جذب "داستي" يده سائلا :

- "هل هذا وعد مزعوم كوعود أبى ؟ "

- " أم وعد حقيقي كوعود أمي ؟ " سأل "داني"

نظر إلى "نوويل" التي كانت تضع "المستردة" فوق قطعة من الخبز . توقفت واجتاحت عينيها نظرة قلق .

إذا كان ذلك هو سبب انزعاجهم فقد خلف "ستيف تشاندلر" وعدا جديدا . التفت قلبه نحو الطفلين الصغيرين اللذين امتلأت عيونهما الزرقاء البريئة بعدم ثقة أكرها عليها . كان يعلم كيف شعرا . فقد قامت السنوات التسع الأولى من عمره على وعد واه تلو الآخر .

- " أنا لا أومن بالوعود المزعومة . " قال بجدية " فإذا وعدتكما أو وعدت أمكما بشيء فثقا بأنني لابد وأن أفي به ".

- " حقيقة حقا ؟ " سأل "داستي".

- " حقيقة حقا " أكد "برودي" إنه شرف رعاة البقر ".

لم تدرك "نوويل" أنها كانت تحبس أنفاسها حتى انطلقت منها فجأة .

- " والآن وقد تم تسوية جميع الأمور بيننا ، لنأكل لأنني أكاد أموت جوعا ".

رفع "داستي" قطعة خبز ونظر إلى "البرجر" الذي عليه واشتمه .

- " قطعتي سوداء تماما من أحد جانبيها "

- " وكذلك قطعتي " أضاف "داني" من المفروض ألا تكون سوداء . أليس كذلك؟"

كانت "نوويل" على وشك أن تذكرهما بأن هذا الإنجاز الهائل كان نتيجة لانشغال الطباخ الماهر بالتدحرج على حشائش الحديقة إلى الحد الذي لم يمكنه معه أن يتابع نضج الطعام . إلا أن "برودي" أسرع وأنقذ الموقف .

- " هذا "البرجر" قد أعد على طريقة المزارع " قال بصوت مشجع .

– " حقيقة ؟ " نظر الطفلان بتشكك إلى بطلهما ثم إلى طبقيهما .

– " بالتأكيد . في المراعي يأكل رعاة البقر "البرجر" الجاموسي أسود لأن ذلك يضيف إليه مذاقا خاصا . ولدينا مقولة عن ذلك هي " عندما يدخن يُطهَى ، وعندما يسود يكون قد تم " .

قهقه الطفلان والتهما "البرجر" المحروق باستساغة جديدة . وإذ رأى "برودي" البريق في عيني الطفلين هنأ نفسه على تقدمه غير المتوقع ، في علم نفس الأطفال . ودهش بأنه بذلك الجهد الضئيل أمكنه أن ينير عالمهما . وكم أمتعه أن يكون هو الذي فعل ذلك .

نظرت إليه "نوويل" نظرة شكر قبل أن تحذر طفليها :

– " تناولا طعامكما بحرص ، لا نريد أي فقد للأسنان قبل الأوان " .

أمسك "برودي" بقطعة من ذلك اللحم المتفحم وزجها في فمه وأخذ يمضغ .

– " م م م " تظاهر بنشوى لم يحسها " إنها ليست جافة جدا بحيث لا يمكن مضغها . إنها تشبه قوالب الفحم شكلا وطعما " ومد يده ليأخذ الكيتشاب (صلصة الطماطم) ووضع كمية كبيرة منه . "قليل من الكيتشاب يساعد" .

وعندما انتهوا من تناول العشاء أشاد "داستي" و "داني" بقوالب الفحم التي أعدها "برودي" قائلين بأنها كانت أفضل قوالب فحم أكلاها طوال حياتهما . وبينما أزاح "برودي" كل شيء وجلست "نوويل" إلى منضدة لتؤنسه أحضر الولدان الطعام والأطباق إلى الداخل .

– " أعلم أنك قد لا تصدقين ، لكنني أستطيع الطهو " . قال ذلك وسار نحوها متئدا وأمسك بيدها وجذبها من على المقعد وثناها إلى الخلف وبشفتين تحومان فوق ثغرها قال لها بضراوة ساخرة :

– " اعترفي يا سيدتي . قولي : إني ماهر في المطبخ "

قبلها قبلة خاطفة . حتى وإن كانت تلك الربتة مقصودا بها إغاظتها ، فقد جعلتها تشعر وكأن فراشات ضارية ترفرف في معدتها .

– " حسنا . حسنا " قالت مبتعدة عنه عندما سمعت الباب الشبكي يغلق " أنت ماهر في المطبخ ، ولكن كما قلت الليلة الماضية إن ذلك لا يجعل منك طباخا " .

– " سأثبت لك ذلك مساء غد . الطفلان وأنا سنعد لك عشاء ممتازا . سيكون جاهزا عند عودتك من العمل " .

– " حسنا ! "

وتسابق "داستي" و"داني" مندفعين إلى داخل المطبخ حتى أنهما كادا يسقطان إناء المخللات الذى كانا يحملانه .

– " الطفلان يكونان بمركز الرعاية النهارية حتى آخذهما عند عودتي من العمل" . قالت مذكرة إياه .

– " اتصلي بتلك الحضانة وأخبريهم بأني سآخذ التوسين مبكرا . سنقوم بعمل المشتريات ثم نعود إلى المنزل ونعد كل شيء بحيث ننتهي قبل عودتك إلى هنا" .

– " نعم " قال "داستي" موافقا .

– " هل يمكننا ذلك ؟ هل يمكننا ذلك ؟ " سأل "داني" وهو يقفز إلى أعلى وإلى أسفل .

نظرت "نوويل" إلى وجهيهما الصغيرين السعيدين . كيف تحرمهما شيئا صغيرا كهذا في الوقت الذي فقدا فيه الكثير ؟ "

– " حسنا . لكن الأفضل أن تذهبا وتحضرا باقي الأشياء التي بالخارج لأن الظلام سوف يحل سريعا " .

– " أنا آسف " . قال بمجرد أن تسابق الطفلان خارجين يدفعان الباب الشبكي مرة أخرى .

– " على ماذا ؟ "

– " لم أنتبه إلا متأخرا جدا إلى أني قد وضعتك في موقف حرج . كان يجب أن أنتظر حتى نكون بمفردنا لأسألك " .

نظرت إليه مفكرة

– " أعتقد أنك تعلم جيدا ما تفعل يا "برودي سوير" .

أجاب بابتسامة أخرى من عنده .

– " ربما أصبت هذه المرة " .

وبعد انتهاء العمل بالمطبخ انخرط "برودي" والطفلان فى قدر من المصارعة

الجادة ثم الدغدغة . كانا سعيدين بدرجة امتنعت معه "نوويل" عن إزعاجهما . ولكن إذا زاد مرحهم على الحد في ذلك الوقت من المساء فسوف يستغرقان ساعات طويلة حتى يخلدا إلى النوم .

– " حان وقت الاستحمام والاستعداد للنوم "

– " أو .. هيك ! " أكد "داستي" اعتراضه بحركة تقليدية بذراعه .

– " دعينا بعض الوقت " قال "داني" راجيا .

– " لقد سمعتما ما قالت " ماما " " قال "برودي" بلهجة رعاة البقر المبالغ فيها "لقد حان وقت ذهابكما إلى الفراش لذا يجب أن أدخلكما أيها العجلان الصغيران إلى الحظيرة " .

عدا الطفلان مسرعين يصرخان بينما تبعهما وهو يلوح لهما بأنشوطة وهمية . وعندما حاولت "نوويل" اللحاق بهما في حجرة الحمام أغلق "برودي" الباب بينهما قائلا :

– " ممنوع دخول البنات . سأحمم بنفسي هذين الطفلين المشاكسين "

– " هل أنت واثق من أنك تدري ما تضع نفسك فيه ؟ "

– " أعتقد أني أستطيع أن أستنتج ذلك " . قال مشمرا عن ساعديه .

وقفت "نوويل" خارج الباب لحظة تصغي . كسب "داني" القرعة وفاز بشرف سكب الصابون في "البانيو" . أما " داستي" فأرشده إلى مكان المناشف ، وشرح له كيف أنه يجب أن يغسل كل جزء مع استعمال الصابون . وكان كل ما سمعت بعد ذلك هو صوت اندفاعهما في الماء وبعض الأنغام .

– " هيا أيها العجلان الصغيران ! "

وعندما غادروا الحمام بعد ذلك بنصف ساعة كان الطفلان نظيفين وشعرهما مصففا ، يرتديان "بيجامات" متطابقة الشكل تحمل شعار رعاة البقر هدية من "نيومكسيكو" . وكان شعر "برودي" غير المرتب وثيابه المنداة بقطرات الماء دليلا على محاولته البطولية لاجتياز ما أسمته "دارسي" باختبار قوة الاحتمال في الألعاب الأوليمبية ، وكانت تعني بذلك تحميم التوسين دون شك .

نظرت "نوويل" إلى وجهيهما النظيفين واشتمت رائحة صابون الحمام التي تدوم

فترة طويلة ، ثم التفتت حول كل طفل كما لو كانت تفحصه من رأسه إلى قدميه .

– " تنال عشر درجات كاملة على هذا الإنجاز يا "سوير" .

– " وماذا سنفعل الآن ؟ " سأل داستي " .

ورأت "نوويل" أن تلجأ إلى إحدى حيل "برودي" فقالت بلهجة رعاة البقر :

– " إلى الكوخ يا رفاق ! "

– " هلاً قصصت علينا أولا إحدى القصص ؟ " سأل "داستي" .

– " بالتأكيد " . أجابت "نوويل" . اختر كتابا وأسرع إليّ به " . فقد كانت قراءة القصص أحد المراسم المسائية .

– " لا نريد كتابا الليلة " . قال "داني" مقترحا " نريد إحدى قصص "برودي" عن الخيل " .

– " ورعاة البقر " أضاف "داستي" .

وافق "برودي" وجلس الطفلان متضامين بينه وبين أمهما . وفي لحظة وجد "برودي" أنه يستطيع الآن التمييز بين الطفلين . كيف ومتى حدث ذلك لم يعلم .

حول إحدى عينيه نحو وجه "داستي" الملتفت إلى أعلى وقال :

– " من أنت ؟ "داستي" أم "رالف" ؟ " سأله من قبيل الاستعراض .

– "داستي" قه قه قه قه

– " ثم من أنت ؟ " قال مشيرا إلى "داني" "لابد وأنك رالف " .

– " لا . أنا "داني" " قه قه قه

نظر في وجهيهما

– " لقد نظفتما إلى حد أنني كدت ألا أتعرف عليكما . " ثم التفت إلى "نوويل" متسائلا " هل تعرفت عليهما ؟ "

– " لا " لفظتها بلهجة رعاة البقر . " حتى قالا لي من كانا ، كدت أعتقد أنهما طفلان ضلا طريقهما وهما يتجولان خارج المرعى . "

استغرق الطفلان في النوم عندما انتهى "برودي" من قصته . حملهما مع "نوويل" إلى فراشيهما الصغيرين وبينما ذهبت لتحضر لهما كوبي ماء كان قد

قام بتغطية "داستي" جيدا . عانقه الطفل بحرارة .

– "تصبح على خير يا "برودي" "

وانحنى على "داني" أيضا فعانقه وتمنى له ليلة سعيدة . قبل "برودي" كلا من الطفلين على وجنته ومسد شعره الأشقر الناعم بعيدا عن عيني كل منهما. تذكر طفولته

وتذكر وقت النوم أنذاك . منذ أن توفيت والدته لم يقص عليه أحد ، ولم يقبله أحد، ولم يسمع كلمات "تصبح على خير" .

كان مع أخيه يتركان كثيرا من الليالي بمفردهما في ذلك المنزل المهدم الواقع في نهاية طريق ريفي موحش ، إذ كان والدهما يستقل سيارته إلى المدينة بحثا عن الملذات والنساء ، كان "برودي" يختبئ مع أخيه تحت أغطية الفراش القذرة ويقول له إنه ليس هناك ما يخيف مادام "برودي" إلى جواره ليدافع عنه ويحميه.

لم تكن هذه مشاعر "برودي" الحقيقية وكلاهما كان يعلم ذلك . كانا من الحكمة بحيث خشيا "جو سوير" . بل كان "برودي" الذي لم يكن قد بدأ الذهاب إلى المدرسة يعد مسؤولا عن تربية أخيه الذي لم يكن قد وصل بعد إلى سن هذين التوسين .

وعندما رأى "برودي" الوجهين الصغيرين البريئين وقد أخلدا إلى النوم تأثر جدا . كم كانا صغيرين وضعيفين . كم كانا بحاجة إلى رجل يسهر عليهما ويرعاهما . هل كان هو في مثل هذه البراءة يوما ما ؟ وفي مثل هذا الضعف ؟ كيف تأتى له أن يرعى نفسه وأخاه "رايلي" ؟

عادت "نوويل" بالماء المطلوب وتناول الطفلان رشفات ناعسة قبل أن يستلقيا على وسائدهما ثانية . أطفأ "برودي" الضوء . وتخلص من الضيق الذي أثقل حلقه .

– " أراكما غدا يا رفيقاي "

– " وعد ؟ " سأل أحدهما في نعاسه

– " وعد " .

ساعد "نوويل" في جمع السيارات الصغيرة والديناصورات البلاستيكية

وجنود الجيش الأخضر من حجرة المعيشة .

– " إنهما طفلان ظريفان " .

– " ماذا تعني ؟ " نظرت إليه مبتسمة " إنهما مدهشان " .

– " هما كذلك بالفعل " .

– " ألا تراهما منطويين بعض الشيء . أليس كذلك ؟ "

– " منطويين ؟ " سأل غير مصدق ما سمع " بالتأكيد لا . لماذا تسألين عن ذلك؟"

– " يقول "ستيف" : إنني أعوقهما وأضعف شخصيتيهما " .

صمت "برودي" . فقد تذكر ألفاظا أشد قيلت عنه في طفولته .

– " أي نوع من الرجال ذلك الذي يقول شيئا كهذا عن أبنائه ؟ أرى أنك قد حققت إنجازا كبيرا . وبمفردك . إنه لا يستحق أي شكر على ذلك " .

– " هذا ما قلته له . لقد كان غاضبا بسبب الإعلان الذي تسلمه من المحامية . فقد كان من المفروض أن نحضر جلسة بالمحكمة الأسبوع القادم " .

– " المفروض أن ؟ "نوويل" ماذا حدث ؟ أرجو ألا تكوني قد سمحت له بأن يقنعك بالتنازل عن دعواك " .

– " لا . لم يحدث شيء كهذا . ولكنه أمسك بزمام الموضوع واتخذ ما من شأنه تعطيل الإجراء " .

انتهت "نوويل" من تنظيم الحجرة ، وأمسكت بيد "برودي" متجهة إلى الأريكة. عندما استقرت إلى جواره شعرت بأنها تقاوم الدموع . وغضبت على "ستيف" من جديد لما فعل مؤخرا .

– " ماذا فعل ؟ " سأل "برودي" برقة وقد فهم أن "ستيف" كان المسؤول عن تلك التعاسة التي كان عليها الطفلان وأمهما .

– " تسلمت اليوم خطابا منه يحمل كثيرا من طوابع البريد الأجنبية الجميلة . يقول فيه " خمني ؟ ربما تكون مفاجأة لك أن تعلمي أنني الآن في "فنزويلا" . نعم مفاجأة مدهشة " .

– " أتعنين انه قد غادر البلاد ببساطة ؟ "

– " نعم . فالهروب دائما هو أسلوبه في معالجة الأمور ".

– " لكن لماذا هرب إلى أمريكا الجنوبية ؟ "

– " لأمر يتعلق بالتنقيب عن البترول قال في خطابه : إن أمامه فرصة متاحة لمضاعفة مبلغ استثماراته البالغ خمسين ألف دولار أربعة أضعاف . خمسين ألف دولارا تصور ! ليس مبلغا ضئيلا تحت يد رجل عاجز عن سداد نفقة طفليه . إنه من ذلك النوع الذي يجول هنا وهناك بحثا عن كسب ثروة سريعة يجري بها وراء حلم آخر. " وكان مقدار احتقارها له واضحا في نبرات صوتها.

– " لا أغفر له ما فعل . لكن ماذا لو تحقق له ذلك بالفعل ؟ أعني ماذا لو ضاعف ثروته أربع مرات ؟ "

– " لابد أنك تمزح . لقد رفضت الحياة القائمة على أمل " ماذا لو " منذ فترة طويلة . وأرفض أن أترك الطفلين يأملان وسبب تعاستهما اليوم راجع إلى أني أخبرتهما بأنهما لن يريا والدهما لمدة طويلة ".

لم يؤثر فيها استياؤها من "ستيف" إلى ذلك الحد الكبير الذي اعتادته قبل ذلك. فقد أصبحت لاتهتم . هذا فيما يتعلق بشخصها . لكنها كانت تكره تأثير إهماله هذا على "داستي" و"داني". كانت دائمة الألم من أجلهما . سوف يكبران يوما ما ويدركان أن أباهما لم يحبهما إلى درجة تكفي لأن يجعل نفسه جزءا من حياتهما . كان كل ما تأمله أنه عندما يأتي ذلك الوقت تكون قادرة على مساعدتهما على تخطي هذه الأزمة .

جلس "برودي" صامتا يغلي غضبا . كان يعرف شعور من أهمله أبوه . شعر بكراهية شديدة نحو ذلك الرجل الذي لم يقابله أبدا لأنه فعل ذلك بـ"داستي" و"داني" من أجل المال البارد الذي لا حياة فيه . ولم يختلف "ستيف تشاندلر" كثيرا عنه .

– " وكيف تلقيا الخبر ؟ "

– " لم تطرف لهما عين من شدة الاضطراب . هذا ما يقلقني عليهما .لا أريدهما أن يروضا نفسيهما على هذا الأسلوب من المعاملة . إنه ليس خطأهما، ولا خطئي أنا ، ولكني أشعر بالذنب تجاههما ".

جذبها "برودي" إلى ذراعيه .

– "ليس هناك موجب لأن تشعري بالذنب . إنك تقومين بالتزاماتك تجاههما وتحبينهما بما يكفي عشرة أطفال ".

أراح رأسها على كتفه واستمد شجاعة من قوته . لقد أحبت "برودي" ولم يمكنها أن تعترف له بذلك . لقد كان جرحه غائرا مما جعله يأبى أن يحبه أحد .

وعندما كانا يجتمعان في بيتها الصغير على انفراد معزولين عن الخارج كان مكانه في عالمها بمثابة تلك القطعة من لعبة اللغز التي فقدت منذ مدة طويلة. إلا أنه كانت له حياته . تلك التي لم تكن واثقة من أنها يمكن أن تحتويها مع ولديها . لم يشر من قريب أو بعيد إلى أية رغبة من جانبه في أن يصبح جزءا لا يتجزأ من حياتها .

عندما وضعت يدها على صدره وجدت أن قميصه لا يزال مبتلا بدرجة خفيفة من آثار حمام الطفلين . لقد أثبت مهارة فائقة معهما الليلة . إنهما بحاجة إلى رجل مستقيم . رجل مجد وقوي يمكنهما أن يشكلا حياتهما على مائله .

هكذا كان "برودي" . كانت على حق إذ قلقت . على أن أهميته عندها وعند ولديها كانت آخذة في الزيادة . أهمية تتجاوز جميع الحدود .

مسد "برودي" شعر "نوويل" وأحس بأن درجة توترها قد بدأت تنخفض بينما أنها كانت آخذة في الارتفاع بجسده .. أرادها بدرجة كبيرة . أراد أن يكون لها الحبيب والصديق والفارس الذي يحميها . لم يكن باستطاعته أن يمنحها ما هي بحاجة اليه . وبقدر حبه لها لم يستطع أن يكون الرجل الذي تحتاج إليه . فلم يكن مؤهلا لمستوى السعادة الأسرية .

– " هل تذكرين أول ليلة جئت فيها إلى هنا ؟ " سأل برقة .

– " لن أنساها أبدا . كنا شبه غريبين . ومع ذلك فهمت أنني بحاجة إلى عناق . وعندما ضممتني إليك شعرت بتحسن كبير ".

– " أعتقد أن كلينا بحاجة إلى العناق الليلة ".

– " كنت أرجو أن تعتقد ذلك ". قالت هامسة بينما تعانقا بحرارة . تنهدت

وامتلأ كيانها برغبة جامحة . كان من السهل عليها أن تدعه يكتسحها وتستسلم لذلك السحر الذي أنساها الواقع بكل ما فيه . لم تر غيره داخل هذا الجدران الأنيقة . تاقت إلى التحرر الذي كانت تنشده في ذراعيه وإلى ذلك التأكيد الذي بحاجة ماسة إليه .

لكن لديها طفلان يجب أن تفكر فيهما وفي المستقبل .لقد اكتسبت خبرة من حياتها مع "ستيف" . تعلمت درسا أن الشخص الوحيد الذي تعتمد عليه هو شخصها فقط . والشخص الوحيد الذي يمكن أن يعتمد عليه "داني" و"داستي" هو أمهما .

كان "برودي" رقيقا وعطوفا ولطيفا إلا أنه كان بعيد المنال . كذلك كان الحب . ولا تُراهن الماهرات من النساء بقلوبهن على ما كان بعيد المنال .

حاولت أن تسجل تلك الأفكار في عميق ذهنها . إلا أن "برودي" ضمها إليه فى قبلة أخرى ، وبدأ السحر يعتمل فيها . تنهدت فأجابها بأنينه .

تبين "برودي" أن زمام الأمور قد يفلت من قبضته إذا لم يتوقف فورا . لم يشأ أن يفعل شيئا يغضبها ، أو يدفعها إلى الشعور بالندم . نظرت إليه بعينين متوسلتين أن يقدر ظروفها وموقفها .

– " لست على استعداد لذلك يا "برودي" ".

– " أعلم ياعزيزتي " قال رابتا وجنتها .

– " هل أنت دائما متفهم هكذا ؟ "

– " أحاول أن أكون ".

– " ماذا سأفعل معك ؟ " سألت

– " أنا على استعداد لأية مقترحات . ما الذي بذهنك ؟ "

– " أعتقد أنه لا ينبغى أن أفكر في ذلك الاتجاه ".

– " يجب أن أكون صادقا معك يا "نوويل" . أريد أن أمارس معك الحب ".

– " وأنا أيضا أريد ذلك يا "برودي" . لكن هذا خطأ . لا يمكنني أن ألقن أولادي الأخلاق القويمة إذا كنت مفتقرة إليها ".

– " أعلم " .

– " لست من ذلك النوع من النساء التي تسلم نفسها إلى رجل بدون ارتباط " .

– " أنا سعيد لذلك . لكنك جميلة وجذابة أيضا . ولدي الدوافع الجسدية التي لأي رجل طبيعي . أكون كاذبا لو قلت لك : إن هذا الموضوع لن يثار مرة أخرى " .

قبلها وبينما تمسكت بمبادئها وضعت نصب عينيها ضرورة التشكك في الحب والمغامرات بعيدة المنال . ولم تنس ذلك سوى مرتين فقط .

www.elromancia.com

الفصل التاسع

جلس "برودي" في شاحنته الصغيرة خارج مركز "مس مافيت" لرعاية الأطفال يتأمل الصغار وهم يقفزون حول أرض الملعب . وقد وضع على المقعد المجاور له بالسيارة حقيبته الجلدية التي كان قد أعدها لرحلة عودته إلى "نيو مكسيكو" .

اكتشف أنه لن يمكنه أن يؤجل المحتوم أكثر من ذلك . أخذ يفكر كيف يقول لـ "داستي" و"داني" إن موعده معهما قد ألغي . كان من الممكن معالجة الموقف بأسلوب أسرع عبر الهاتف . لكنّ الإسراع لم يكن الأفضل دائما .

كره فكرة ألا يفي بوعده مع الأطفال ، ولكن لم يكن هناك مفر . فقد اتصل به "جيم هانكس" الرجل الذي كان قد كلفه بتحمل المسؤولية عنه في "رويدوسو" أثناء غيابه . اتصل به في "رمنجتون بارك" في ساعة مبكرة من الصباح ليبلغه أخبارا سيئة . فقد ارتطم أحد الأمهار الواعدين في السباق الاستقبالي الأمريكي بأحد الحواجز أثناء التدريب فأصاب ساقه بإصابة بالغة الخطورة .

وقد اقترح طبيب الحلبة إنهاء حياة ذلك الحيوان الثمين . إلا أن "جيم" رفض أن يذعن للقرار برأي منفرد . ليس قبل أن يعاين "برودي" أو "رايلي" المهر أولا .

ورغبة منه في عدم مضايقة "داستي" و"داني" حاول الاتصال بـ"رايلي" في "سيمارون" فأجاب "بيلي سكسكيلر" الهاتف :

- "نعم يا رئيس"

- "أريد أن أتحدث إلى "رايلي"، فقد وقع ظرف طارئ في "رويدوسو" وأريده أن يسافر إلى هناك على أول طائرة"

- "رايلي" ليس بحالة تسمح له بأن يطير إلى أي مكان" قال "بيلي" بصوت منكسر وإن كان ملؤه اللوم . فقد كان "بيلي" مع هذين الأخوين منذ كان "سيمارون" لا يزيد كثيرا على كونه حلما .

- "أتعني أنه ثمل ؟" انفجر "برودي" إنها الثامنة صباحا" . كان يومه هو قد

بدأ قبل السادسة . وقد لاحظ لدى توجهه وقتئذ إلى "رمنجتون" أن شاحنة "رايلي" لم تكن في مكانها أمام المنزل فظن أن أخاه قد نهض قبله وبدأ عمله مبكرا فسر لذلك ، أو أنه قد خرج لقضاء بعض المهام .. وهذا ما كان .

– " كانت حالته سيئة " قال "بيلي" بهدوء " . فتاة صغيرة تدعى "دارسي" أحضرته إلى هنا منذ فترة وساعدتها في وضعه على فراشه " .

– " كان مع "دارسي" ؟ "

– " لا . قالت إنه أخلف وعدا معها الليلة الماضية فقلقت عليه – كما قالت – طلبت من أخيها مساعدتها في البحث عنه فوجداه فاقد الوعي في شاحنته خارج أحد تلك الأماكن المشبوهة بوسط المدينة " .

– " لعنة الله على ذلك " . قال "برودي" وهو ينقب في شعره بشدة محاولا أن يتحكم في انفعاله المتزايد . " كم كانت الساعة وقتئذ ؟ "

– " قالت : إنها كانت الرابعة صباح اليوم . وقالت : إنهما قد أخذاه إلى مقهى، حيث تناول القهوة فاستيقظ في أثناء مجيئه إلى هنا ، إلا أنه كان ثملا جدا " .

لطم "برودي" الجدار لشدة غضبه . كيف سمح لشيء كهذا أن يحدث ؟ لم تكن "دارسي" هي المسؤولة عن "رايلي" . إن "رايلي" مسؤوليته هو . منذ بلغ السادسة كان يقدم "رايلي" على نفسه . كان يحاول أن يقيه أسوأ ما أوجدت الحياة في طريقهما .

كانت "كاندي" مبعث كل هذه المشكلات . وكان رأي "برودي" في تلك المتآمرة الصغيرة المتعطشة إلى المال صائبا . وقد حذر "برودي" أخاه من أنها تهدف إلى الحصول على كل ما يمكنها الفوز به . إلا أن محاولة ثني "رايلي" عن رأيه في أي من الأمور كان بمثابة التلويح براية حمراء في وجه ثور .

وكانت الخطوة التالية أن أبلغ "برودي" بأن أخاه قد تزوج من تلك الفتاة ، وأنه لم يكن سعيدا في زواجه .

ودام ذلك الزواج الخادع خمس سنوات . خمس سنوات أتت فيها "كاندي" أسوأ ما عندها لتباعد بين الشقيقين . كما أنها لم تحب أسرة "روبرت" رغم أن

"دوب" و"روبي" حاولا قدر استطاعتهما الإبقاء على السلام بينهما .

ولما لم تبلغ كل ما أرادته هجرته . وكان طلاقهما قذرا ، وباهظ التكاليف . وبدون أن يحاول تذكرة أخيه بسابق تحذيره له من تلك المرأة وافق "برودي" على أن يرهن "سيمارون" حتى يستطيع "رايلي" الوفاء بالمبلغ الرهيب الذي طالب به محاميها .

تغلب "رايلي" على طلاقه من "كاندي" ، ولم يصبح ذلك يمثل أية مشكلة بالنسبة له . إلا أن الانفصال عن طفليها من زواج سابق كان صعبا عليه . وعلى الرغم من أنه كان الأب الوحيد الذي عرفاه لمدة خمس سنوات إلا أنه قد أسقط عنه حق رؤيتهما بمجرد طلاقه من أمهما . إلا أن "كاندي" قد استخدمت مع ذلك طفليها "تايلر" و"جامايكا" كطعم تبتز به "رايلي" كلما كانت بحاجة إلى المال .

لم تظهر "كاندي" فيضا من غرائز الأمومة ، وهذا ما جعل "رايلي" يقلق على الطفلين . وكان "برودي" يعلم أن معظم مشاكل أخيه منشؤها شعوره بأنه قد تسبب في الإساءة إلى الجميع : "دوب" و"روبي" و"برودي" والطفلين .

لقد انقضى عامان منذ أن وقع الطلاق وبدلا من أن تتحسن أحواله زادت سوءا . وبفضل فوزهما في السباق الاستقبالي أمكن سداد كافة المبالغ المرهون "سيمارون" ضمانا لها . ومع كل ذلك كان "رايلي" طيب القلب .

لم يضن "برودي" طوال سني التضحية هذه والعمل بمفرده على "رايلي" بشيء واحد . ولم يخذله مرة واحدة . إلا أن هذه الفعلة الأخيرة الفظيعة جعلته غاضبا من أخيه أكثر من أي وقت مضى . ما دخل "دارسي" وأخيها حتى تتجول في تلك البقعة من المدينة ، وما الذي حدث لـ "رايلي" ؟ ألم يفكر في غير نفسه ؟

تذكر "برودي" أن "بيلي" كان ينتظر متجلدا على الطرف الآخر من الخط فاستطرد :

– " هل سيكون بخير يا "بيلي" ؟ سأل وقد امتلأ صوته بمشاعر الاستسلام للأمر الواقع .

– " ربما ينام طوال النهار ويعاني بعض الصداع عندما يستيقظ ، لكني أعتقد أنه سوف يبقى على قيد الحياة ".

– " أعتبر ذلك أخبارا سارة ".

– " هل أنت ذاهب إلى "رويدوسو" يا رئيس ؟ "

– " مضطرا . اعتن بكل شيء حتى أعود ".

وأنهى "برودي" المكالمة وفحص الحقيبة التي ضمنها بعض مستلزماته واحتفظ بها في الشاحنة بصفة دائمة . قاد شاحنته إلى هناك : حضانة "مس مافيت" لرعاية الأطفال .

دخل إلى المكتب وأعلمته المسؤولة أن التوءمين كانا في الملعب مع بقية أطفال الفصل . وعندما سار الى هناك تحت الشمس الساطعة لوحت له امرأة في منتصف العمر ترتدي ثوبا خارجيا ذا خطوط وردية .

– " أعتقد أنك "مستر سوير" " قالت وهي تمد يدها مصافحة "أنا "ماري جونسون" مدرسة "داستي" و"داني" : الطفلان مبتهجان جدا بما سيفعلان اليوم . كان ذلك موضوع حديثهما طوال الوقت ".

وغار قلب "برودي" . لن يكون الأمر سهلا .

– " أين الطفلان يا "مس جونسون" ؟ "

ظللت عينيها بيدها وأخذت تبحث بين الأطفال المتحركين .

– إنهما هناك : في الحصن . إنهما يحبان جدا أن يلعبا رعاة البقر ".

أوضح لها "برودي" أنه لن يأخذ الطفلين إلى المنزل ثم سار إلى ذلك الهيكل الخشبي الشبيه بالحصن . وقبل أن يتمكن من تحديد مكانهما بين الأطفال الضاحكين المتسلقين هنا وهناك سمع صوتين مألوفين يصرخان ناطقين باسمه.

– " هل نذهب الآن ؟ " سأل "داستي".

– " لقد أخبرنا جميع الأطفال عنك ". أضاف "داني" .

أمسك بيدي الطفلين ومضى بهما إلى أرجوحة في ظل الأشجار .

– " هناك مشكلة حدثت يا رفيقاي ". قال شارحا " يجب أن أسرع العودة إلى

"نيومكسيكو" لأن أحد أمهاري قد أصيب إصابة بالغة .

وسرعان ما ذبلت الابتسامات المشرقة ولمعت الدموع في العيون .

– " أتعني أنك لن تأخذنا إلى المنزل الآن ؟ " قال "داستي" باكيا .

– " ألن نعد الطعام "لماما" ؟ " سأل "داني" بصوت حزين .

– " لا أعتقد . ليس اليوم ".

– " لكنك وعدت ". وكان لكلمتي "داستي" وقع الاتهام واللوم والقبول على مضض .

وإذ رفضا النظر إليه غرس الطفلان أحذيتهما في الرمال ومسحا دموعهما بظاهر يديهما .

– " كنت أعلم أن ذلك سيحدث " تمتم "داني" .

– " أنا أعلم كم أنتما متضايقان . ولكني لم أكن لأتراجع عن وعدي . لو لم يكن ذلك الأمر الملح . يجب أن أذهب . هل تفهمانني ؟ " كان ذلك المطلب فوق قدرة احتمال طفلي الرابعة ، لكن "برودي" كان يدعو في صمت من أجل أن يغفرا له. كان "داستي" أول من أفاق .

– " حسنا يا "برودي" نعلم أن مهرك مهم جدا ".

– " نعم . أهم من طهو الطعام لأمي اليوم ". قال "داني" بصوت حزين . "وأهم منا ". وإذ قال ذلك مضى مسرعا عبر أرض الملعب إلى "مس جونسون" التي حملته وأخذت تخفف عنه .

انقبض قلب "برودي" . لم يعالج الأمر بحكمة كافية . لكن ماذا يمكنه أن يفعل الآن ؟ بدأ يلحق بـ "داني" ثم غير رأيه وجلس على الأرجوحة . ماذا يمكنه أن يقول للطفل دون أن يبدو وكأنه يلتمس عذرا ؟

– " لا تقلق بشأن "داني" . قال "داستي" بحكمة ثم تسلق وجلس على حجر "برودي" وطوق عنقه بذراعيه الصغيرتين . "سيكون بخير . تقول "ماما" : إنه الشخص العاطفي في الأسرة ".

ابتسم "برودي" إلى الطفل جميل الوجه ممتنا له على ما قاله ، والذي كان ينطق بالمغفرة ضمنا .

– " أنت تفهم الوضع . أليس كذلك يا "داستي" ؟ "

– " آه . بالتأكيد . أفهم ذلك جيدا . وأنا سعيد أنك أتيت وأخبرتنا يا "بروديّ" .

– " وأنا أيضا يا رفيقي " . وقف "بروديّ" ورفع "داستي" إلى أعلى ثم حمله في ذراعيه " هل يمكنني أن أعانقك ؟ "

ابتسم "داستي"

– " بالتأكيد يمكنك " .

شعر "بروديّ" بربتة على جنبه فنظر إلى أسفل . كان "داني" واقفا هناك يحملق إلى أعلى نحوه يبدو فى شبه حالته الطبيعية وإن كان لا يزال قلقا .

– " أنا آسف يا "بروديّ" " .

– " لا مشكلة يا رفيقي " والتقط "داني" أيضا وحملهما إلى "مس جونسون" حيث ودعهما ومضى . وبينما هو متجه إلى شاحنته سمع صوتا صغيرا ينادى اسمه . التفت حوله فوجد التوءمين ينظران من خلال السور الشبكي .

– " نعم يا رفيقاي ؟ "

– " الخيل ليست أهم لك منا . أليس كذلك ؟ أراد "داني" أن يتأكد .

– " بالتأكيد . لا " .

هكذا جاءت إجابته تلقائية . وبينما كان متجها بشاحنته صوب المطار ، وجد الوقت ليفكر في هذا السؤال . كيف يمكنه أن يوفق بين متطلبات مهنته وحياته الخاصة ؟ . وإذا استمرت علاقته بـ "نوويل" في تطورها بنفس معدل الأشهر القلائل الماضية ، هل يأتي اليوم الذي يضطر فيه إلى أن يختار بينها وبين عمله؟"

وإذا حدث . فماذا سيكون الاختيار ؟ الحب والزواج مسؤولية مخيفة . وإذا أضيفت إليهما المشاعر المرهفة لطفلين صغيرين فلن تنزل أذى باقيا فحسب ، بل ستقهر أيضا . هل يدري ما هو فاعل ؟

وبمجرد أن حصل "بروديّ" على تذكرة الطائرة وانتهى من إجراءات الفحص لم يتبق له إلا وقت قصير جدا ليتصل فيه بـ"نوويل" . شرح لها الظرف الملح الذي اقتضى سفره وأخبرها بأنه قد التقى بالطفلين وأفهمهما .

– " شعرا ببعض الضيق ولكني أعتقد أنهما قدرا الظروف " .

– " حسنا " . قالت محاولة أن تتماسك . لقد بدأ . كان يجب أن تعلم أن الأمور كانت تسير جيدا بدرجة يستحيل معها أن تستمر وتصبح حقيقة ملموسة .

– " ما الخطب " سأل وهو يطلق تنهيدة مثقلة .

– " لا شيء . اذهب وأنجز عملك " .

– " تبدين وكأنك لا تقدرين الموقف " .

– " أقدر . وأقدر لك التضحية بوقتك بأن ذهبت وشرحت الأمر للطفلين " . كانت "نوويل" ممتنة جدا بذلك . قررت الاحتفاظ بثباتها وألا تدع "بروديّ" يحيدها بكلامه عن مشاعرها التي هي حقها .

– " لماذا إذا تجعلينني أشعر ، وكأنك تمحين اسمي من قائمتك حتى ونحن لا نزال نتحدث معا ؟ "

– " هلا لحقت بطائرتك ؟ "

– " نعم . ولكني لا أستطيع قبل أن أتأكد أنك لست غاضبة " .

– " لا أدري بماذا أشعر الآن يا "بروديّ" . لكنه ليس الغضب . كنت أعلم أن شيئا من ذلك لابد أن يحدث . أنت رجل كثير المشاغل ، وقد حدث عن طريقك هذا الصيف كي تراني وترى الطفلين . لذلك لا أدري ما إذا كان ذلك يمكن أن يستمر " .

– إذا كان ماذا يمكن أن يستمر يا "نوويل" ؟ " نظر "بروديّ" إلى ساعته ، وتبين أنه لم يتبق له سوى دقائق قليلة ليستقل الطائرة . لم يكن بوسعه أن تقلع الطائرة بدونه .

– " أعتقد أن الوقت غير مناسب لمناقشة ذلك . لكن مادمت قد طرقت الموضوع فيجب أن أخبرك بأن مثل هذه المضايقات وقعها سيئ جدا على "داستي" و"داني" . حتى لو وافقت أنا على أن أضع نفسي في المرتبة الثانية من الأهمية بعد حفنة من جياد السباق فلن أسمح لطفليّ بأن يكونا في مثل ذلك الوضع . لديهم من الوعود التي قطعها أبوهم ولم يوف بها بما فيه الكفاية " .

– " يا إلهي ! "نوويل" هذا ليس عدلا وأنت تعلمين " .

– " ربما ليس كذلك . ولكن هذا هو الوضع ".

وقبل أن يتمكن "برودي" من الإجابة نودي على طائرته :

– " اسمعيني يا "نوويل" يجب أن أذهب الآن . سوف نتحدث في ذلك عند عودتي ".

– " لا أعتقد أن ذلك سوف يصلح الأمور . أنا أعلم موقفك وأنت تعلم موقفي ".

لم يكن ممكنا أن تسير الأمور على هذا المنوال . لم يدر "برودي" ما يفعل . لم تكن له في الواقع خبرة كافية في معاملة السيدات . فلم يصادف في حياته إلا القليلات . حتى عندما كان الأمر يتعلق بعلاقات جنسية كان يعاني الأمرين لكي يحتفظ بعلاقة ودية ، حتى إذا ما انطفأت نارالجسد يفترقان صديقين .

هذا بالإضافة إلى أنه لم يسمح لنفسه بالتمادي في أية علاقة خشية أن ينجرف في لحظة سعادة ، ويعرض الزواج على امرأة غير مناسبة . وبصفته مشاهدا حزينا لزواج "رايلي" التعس ، فقد اجتنب الزواج تحاشيا لنتائجه كما يهرب المهر الصغير من السرج .

زواج ؟ هل كان للزواج اعتبار هنا ؟ ربما .. لكنه لم يدر كيف يتصرف في هذه اللحظة . كان على وشك عدم اللحاق بالطائرة . ربما يكونان بحاجة إلى أن يظلا منفصلين بعض الوقت . فعندما يكون مع "نوويل" يصعب عليه أن يظل متعقلا .

عندما لم يجبها ظنت أنه يوافق على رأيها :

– " "برودي" ؟ "

– " لا أريد أن أفسد ذلك الذي بيننا " قال في يأس " إن ما بيننا غير عادي ".

– " لا أنكر ذلك "... وإلى أي مدى يمكن أن يظل غير عادي . لم يلمح قط عن مستقبل يجمعهما . لقد حان الوقت وتكشف لها أن نجاحه الساحق في مجال تدريب الخيول الربيعية كان الاهتمام الأول في حياته ، يليه في الدرجة الثانية من الأهمية هي وطفلاها .

لقد عاشت على هذا النحو قبل الآن وكلفها ذلك عبئا عاطفيا لا تستطيع أن تتحمله مرة أخرى .

– " المخاطرة ضخمة جدا يا "برودي" إننا لا نسميه بالشيء بعيد المنال ".

– " حسنا ". قال متعبا " أنت خائفة . وكذلك أنا . ولكني لم أدع الخوف يقيدني أو يعوقني أبدا . وأراهن أنك لم تفعلي أيضا ".

– " لا أدري ".

– " لا تتحولي عني يا "نوويل" . سأتصل بك من "رويدوسو" وسنناقش الأمر ".

– " افعل ما تريده يا "برودي" . والأفضل أن تذهب الآن إلى تلك الطائرة ".

وأنهت "نوويل" المكالمة . جلست تحملق في الهاتف مدة طويلة . ترى هل فعلت ما كان يجب أن تفعله ؟ "

كانت تعلم أن ذلك اليوم آت ولا بد وأن عليها أن تتخذ قرارا . لم تكن مهيأة لاتخاذ أية قرارات . لم يكن عمل "برودي" ولا أسلوب حياته يؤديان إلى الحياة الأسرية التي تحتاج إليها بشدة . إنه يعمل أكثر ساعات اليوم ، وجميع أيام الأسبوع . ولم يحصل – باعترافه – على إجازة واحدة على مدى عشر سنوات. إنها بحاجة إلى شخص تعتمد عليه ، ويحتاج إلى وجودها . و"برودي" ليس بحاجة إلى أي إنسان .

بدأت مشاعر الأسى تتعمق في نفسها عندما توقفت "دارسي" عند مكتبها .

– " ما الخطب ؟ تبدين وكأن كلبك قد نفق تواً ".

– " ليس بالشيء الهين ". قصت عليها ما حدث وصارحتها بشكوكها .

– " احذري يا صديقتي " قالت "دارسي" "احذري من أن تقارني "برودي" بـ"ستيف" ".

– " أنا لا أفعل ذلك ".

– " أعتقد أنك تفعلين . أتيحي الفرصة لـ "برودي" ليتوصل إلى قرار بدافع مشاعره ، امنحيه مهلة كي يتعلم أن يحبك ".

– " ماذا تعنين ؟ "

– " إنني أعلم عنه في بعض النواحي ما لا تعلمينه أنت . عندما يشرب "رايلي" ذلك المشروب اللعين يتكلم كثيرا . وكل ما يتحدث عنه هو "برودي" . "برودي" يعطي وقته كله للعمل ،لأن ذلك هو كل ما يعلمه ، وفي هذه اللحظة بالذات لا يعدو

"رايلي" أن يكون كتلة مهملة . بذلك يجد "برودي" نفسه مضطرا إلى أن يقوم بعمل رجلين .

- " حدثيني عن ذلك يا "دارسي" ".

- " لا أستطيع يا عزيزتي " . قالت "دارسي" وهي تربت كتف "نوويل" . " لن يكون ذلك عادلا . سوف يخبرك هو عندما يكون على استعداد لأن يفعل ذلك . امنحيه الوقت . وعندما يكتشف فيك هذه الصفة الجميلة سوف يعود حتما ".

- " هل تعتقدين ذلك ؟ "

- " أمهليه يا "نوويل" . اصبري . "برودي" لن يجرحك أبدا " .

- " من السهل عليك أن تقولي ذلك "

- " بل من السهل علي لأني أعرف "

اتصل "برودي" بها هاتفيا في ساعة متأخرة من تلك الليلة .

- " أرجو ألا أكون قد أيقظتك . ولكني قد وصلت إلى السكن حالا ".

اعتدلت "نوويل" في فراشها واضعة إحدى الوسائد خلف ظهرها .

- " كيف حال المهر ؟ "

- " لقد أنقذناه . ولكنه سيبقى خارج تدريبات الاستعداد للسباق الاستقبالي . وسيكون تحت العلاج لفترة تفوت عليه الاشتراك في سباق الأمهار عمر سنتين".

- " أسفة لذلك . "

- " هاي ! مثل هذه الأشياء تحدث عادة . خيول السباق مخلوقات بكماء أساسا . ويمكن أن تصيبها أشياء كثيرة غير مرغوبة لدرجة تفسد العقل أحيانا. لدينا عدة أفراس أخرى جار تدريبها ، وأشعر أن أحدها سيعود إليّ بالجائزة يوم عيد العمال . "

- " إني سعيدة أن أسمع ذلك . لأني أعلم مدى أهميته عندك " .

كانت كلماتها صدى لما قاله التوسان فقال بصدق :

- " أشعر بوحدة كالجحيم " .

- " وإني لسعيدة حقا لأن أسمع ذلك ".

- " أرجو ألا تعني بذلك أنك قد تخليت عني " . كان سهلا عليه أن يعبر لها عن

شعوره بعدم الاطمئنان وهو على بعد أميال من الكابلات التليفونية الممتدة بينهما.

- " لاأريد أن أتخلى عنك يا "برودي" ولكنني أشعر بالخوف أحيانا من التمادي".

لم تكن تحتمل آلام فقده أكثر من احتمالها عذاب حبها له .

- " قليل من الصبر يا عزيزتي . ستتحسن الأوضاع . سأتحدث مع "رايلي" لدى عودتي . وسأرى ما إذا كان يمكنني تقويمه . فإذا ما حمل عني بعض العبء فسيكون لدي مزيد من الوقت ".

تحيرت "نوويل" . هل تذكر له ما قالته "دارسي" عن إدمان "رايلي" تلك المشروبات المدمرة للعقل . ربما كانت "دارسي" محقة فيما يتعلق بتجاهل الأسر مثل هذه الأمور .

- " "دارسي" قلقة جدا على "رايلي" " قالت لتطرق باب الحديث في الموضوع.

- " نعم . أعلم . "دارسي" فتاة حلوة . وأنا آسف أنها قد تورطت في ذلك . لقد أخرجته من مأزق تلو الآخر منذ أن كنا صغيرين ، لكن هذه المرة لا أدري كيف أساعده ".

- " ربما حان الوقت كي يساعد "رايلي" نفسه " . قالت مقترحة برقة : "إنه ليس ولدا صغيرا بعد . وربما عليك أن تعطيه الفرصة كي يكبر ويهتم بنفسه ".

- " أتقولين : إنه سوف يرفض مساعدتي ؟ "

- " ربما . ألا ترفض أنت أن يحاول أي إنسان أن يدير لك حياتك ؟ "

- " بالتأكيد . لكن ... " وامتد صوت "برودي" حتى توقف ثم استطرد " قد تكونين على صواب . كوني أخا أكبر لـ "رايلي" يكاد يضارع عملا طوال اليوم. ولكنني أكره التفكير في أنه دائم التردد على تلك الأماكن التي تقدم مثل هذه المشروبات ".

- " قد يكون بحاجة إلى حافز كي يسعى إلى الاستفادة من مساعدة المتخصصين في هذا المجال . هناك كثير من العيادات الجيدة ذات البرامج التي يمكن الاعتماد عليها ".

– " جميع برامج العالم لن تساعد "رايلي" ما لم يرحب هو بمثل تلك المساعدة . سأحاول التحدث إليه بهذا الشأن . وفي تلك الأثناء هناك شيء أريد أن أطلبه منك ".

– " وما هو ؟ "

– " "روبي" و"دوب" يلحان علي في أن تأتي ومعك الطفلان لزيارتهما عندما أعود إلى المدينة ".

– "سيكون ذلك من دواعي سرورنا " قالت "نوويل" فورا ودون أن تنال فرصة لتفكر في الأمر . قد تحصل من خلال مقابلة أسرته بالتنشئة على مفتاح فهمها له ." ومتى تعتقد أنك تعود ؟ "

– " لا أعلم بالتحديد ، ولكن لن يكون ذلك بالسرعة التي تروقني ". وظل "برودي" يتصل بها هاتفيا كل ليلة في موعد إيوائها إلى الفراش . وبدأ يشركها في بعض شؤون عمله إن لم يكن في مشاعره . أخبرته أن التوسين قد افتقداه ، وأنهما قد نسيا أو تناسيا الصدع السابق . علمت "نوويل" أن قرارا ما لم يتخذ، لكنها تظاهرت بعدم الاهتمام . ربما الحياة في كنف "برودي" بعيدة المنال ، لكن الحياة بدونه رهيبة لا يمكن تصورها .

اثنا عشر يوما من التودد والغزل عبر الأسلاك الهاتفية وإن كانت أبعد ما يكون عن الملل ، إلا أنها لم تكن مشبعة أيضا . كان "برودي" بحاجة إلى أن يرى "نوويل" ويضمها إلى صدره . اتصل بها في وقت مبكر عن المعتاد في الليلة السابقة على اليوم الذي قرر أن يعود فيه :

– ألو ؟ " أجاب صوت صغير جذاب

– " ألو ". أجاب "برودي" مبتسما "من هذا ؟ "داستي" أم "داني" أم "رالف" ؟ "

– " داني"

– " أنا "برودي" كيف حالك يا رفيقي ؟ "

– " أنا بخير لكن "داستي" وأنا غير مفروض أن نجيب الهاتف أو الباب ".

– " أين "ماما" ؟ هل كل شيء على ما يرام ؟ "

– " أعتقد ذلك " أجاب وقد اختلط صوته ببعض الضوضاء .

– " ماذا يجري هناك ؟ " فقد كانت احتمالات الأذى غير محددة . دوت صرخة

في المكان ، ثم جاء صوت "داستي" إلى الخط :

– " أهلا يا "برودي" أنا "داستي" ".

– " ماذا حدث لـ "داني" ؟ "

– " إنه غاضب لأن هذا دوري في الحديث "

– " أين "ماما" ؟ "

– " تأخذ حماما ".

فهم "برودي" ما يجري .

– " أنت و"داني" من المفروض ألا تجيبا الهاتف ولا الباب عندما تكون هي بالداخل . أليس كذلك ؟ "

– " لا . ولكنك أنت المتكلم ".

– " لكنك لم تعرف أنه أنا حتى أجبت الهاتف ". قال موضحا

– " أنا لم أجبه . "داني" هو الذي فعل ".

– " وأين كنت ؟ "

– " أدخل جامع القمامة .فهذا هو موعد مجيئه . شرح باهتمام .

– " وهل أدخلته إلى البيت ؟ " سأل "برودي" دهشا

– " لا . فقد قال إنه سوف يعود فيما بعد ".

– " "داستي" هلا فعلت شيئا من أجلي ؟ "

– " بالتأكيد يا "برودي" "

– " هل تعلم كيف تقفل الباب ؟ "

– " بالتأكيد . أنا عمري أربع سنوات ." كانت نبرات صوته توحي بأن لا أحد سوى البلهاء هم الذين يسألون ابن السنوات الأربع ما إذا كان يعرف كيف يقفل الباب .

– " هذا ما أريدك أن تفعله . اذهب واقفل الباب الخارجي حالا ".

– " سمعا وطاعة ". أجاب بأسلوب كما لو قال " إذا كان هذا ما تريده .

وانقطع التيار بالهاتف .

– " عليك اللعنة " قال "برودي" وهو يضع السماعة . عد من واحد حتى عشرة وطلب الرقم مرة أخرى .

– " ألو "

- " داني ؟ "
- " نعم "
- " أين "داستي" ؟ "
- " ذهب ليقفل الباب كما قلت "
- "هل لا تزال والدتك في الحمام ؟ "
- " يووه "
- " إذن لماذا أجبت الهاتف ؟ لا بأس . اذهب وأخبرها بأني أريد التحدث إليها . هل يمكنك ؟ "
- " بالتأكيد يا "برودي" . إلى اللقاء "
- " لا . لا تنه المكالمة " صرخ لكن ذلك جاء متأخرا جدا . ضغط "برودي" على نفسه كي ينتظر خمس دقائق كاملة قبل أن يدير القرص مرة أخرى .
- " لا تفعل ذلك ثانية "قال "برودي" بلهجة آمرة بمجرد أن رفعت "نوويل" سماعة الهاتف .
- " أهلا بك . ماذا لا يفعل ثانية ؟ "
- " هل تعلمين أن الولدين قد أجابا الهاتف والباب بينما كنت في الحمام ؟ "
- " لقد أخبراني "
- " إنك غير مبالية . ماذا لو كان مريض عقلي بالباب أو منحرف بالهاتف ؟ "
- " يمكنني أن أقلع عن الاغتسال يا "برودي" ولكني لا أعتقد أنك سوف تحبني بهذا القدر ". قالت غائظة إياه .
- " أنا آسف ولكن لا تستطيعين أن تتصوري شعوري عندما أخبرني "داستي" بأنه قد اضطر إلى إدخال جامع القمامة ".
- " جامع القمامة هذا غلام في الحادية عشرة ويسكن أسفل المبنى . والمنحرف الذي بالهاتف كان أنت . كيف كان يومك ؟ "
- " عظيم . لقد انتهى تدريب خمسة من أفراسي . وقد اجتازت اختبارات الزمن.
- " أهنئك . هذا بالشيء الجيد جدا أليس كذلك ؟ "
- " نعم" . إن ذلك جيد جدا . " قال "برودي" وهو يضحك في خفوت على مدى

تفهمها للأمر . "أرى أنك بحاجة إلى أن تتعلمي الكثير عن صناعة تدريب الخيل وأعتقد أن تعليمك إياها سوف يكون ممتعا لي ".
- إنني أدرس شيئا عنها بجهودي الذاتية . ومتى يكون الدرس الأول على أي حال ؟ "
- " ما رأيك في مساء غد ؟ يمكنني الهروب من هنا لأيام قلائل . كما أني بحاجة إلى الاطمئنان على بعض الأشياء في "سيمارون" ".
وما كان يريد الاطمئنان عليه هو "رايلي" . فقد اتصل به "بيلي" وأخبره بأنه لم ير "رايلي" منذ يومين .
- " هل تحضر وقت العشاء ؟ "
- " نعم . لكن "روبي" كادت تدفعني إلى الجنون . فقد عادت "جلوري" إلى البيت في زيارة قصيرة . والجميع يريدون أن يلتقوا بك . فإذا كان يروق لك ذلك يمكننا أن نزورهم مساء غد وننتهي من ذلك ".
- " تنتهي من ذلك ؟ تجعلني أظن أنك ذاهب لجراحة بأسنانك أو شيء من هذا القبيل ".
- " ليس الأمر كذلك . ولكن لم يسبق لي أن قدمت للأسرة أي إنسان عرفته . وأخشى أن تتطرق إلى أذهانهم استنتاجات خاطئة . ولكني على استعداد لخوض هذه المغامرة إذا كان لديك أنت أيضا الاستعداد ".
- " لا أعرف . لا أحب أن تظن أسرتك أن هناك شيئا "جادا بيننا" . ولعنت "نوويل" تلك النبرة المتجهمة التي بدت في صوتها .
- "سأتولى الأمر بنفسي . سأحضر عندك في حوالي السادسة ثم نستطيع أن نصطحب الأولاد يوم الأحد إلى " فرونتير سيتي" أتعتقدين أنهما سيحبان ذلك؟"
- " هل أعتقد أن طفلين على موعد مع راعي بقر سوف يفضلان قضاء يومهما في متنزه على الطريقة الغربية ؟ إنني لا أعلم ".
وضحك "برودي" على سؤاله السخيف .
- " وبعد ذلك ننطلق إلى "سيمارون" . لقد حان الوقت لتعاينني ما هناك ".
وكانت "نوويل" تواقة إلى ذلك أكثر من أي شيء آخر .

الفصل العاشر

راجعت "نوويل" مع "داستي" و"داني" القواعد الأساسية لحسن السلوك في انتظار مجيء "برودي" ، وسرعان ما سرى قلقها إزاء زيارتهم لمزارع "فينكس" للالتقاء بأسرة "روبرتس" إلى التوسين أيضا . كانت قلقة لحرصها على ضرورة أن تترك انطباعا جيدا في نفوس مضيفيها ، وعلى أن يكون سلوك طفليها على المستوى المقبول .

ماذا لو لم توافق أسرة "برودي" عليها ؟ والأسوأ من ذلك أنهم قد يوافقون وقد يحملون هذه الزيارة من المعاني فوق ما تحتمل . تذكرت أن "برودي" لم يكن مستريحا تماما إلى هذه الزيارة .

وتكشف لها أنه لم يكن هناك داع للقلق . فقد استقبلها "دوب" و"روبي" عند باب المنزل المتنقل المقام على أرض مزرعة الخيول . ومنذ اللحظة الأولى التي التقت فيها بهذين الزوجين شعرت بدفء وصداقة جعلاها تشعر وكأنها في بيتها ، وذكرتها ابتسامة "دوب" الدائمة وأساليبه المرحة بشخصية الجنّي الخادم في الأساطير الأيرلندية . فقد تعامل "دوب" مع "داستي" و"داني" كما لو كانا حفيديه اللذين طالما افتقدهما . واستجاب التوسان لمداعبته لهما ، وشجاره معهما بتلك الفرحة الجريئة التي تغمر الأطفال غالبا لدى تعرفهم بصديق جديد .

أما "روبي روبرت" التي وصفت نفسها بأن عرض جسدها يكاد يضارع طوله ، فقد اكتسى رأسها بالتجاعيد الرمادية الكثيفة ، أما وجهها فقد تركت الشمس عليه السمرة والتجاعيد . عندما انتهرت "نوويل" الطفلين للصخب الذي أحدثاه طلبت منها "روبي" أن تأخذ الأمر بصورة أهدأ ، معللة أن البيت قد افتقد ضحك الأطفال منذ زمن بعيد . و"جلوري روبرتس" الابنة الجميلة ذات العينين الواسعتين المطابقتين شعرها في اللون الذهبي الجميل ، كانت محبوبة الجميع . كانت موضع فخر والديها ، فقد تخرجت حديثا في كلية الطب

البيطري ، وتخصصت في علاج الخيول . ارتبكت قليلا عندما أشاد والدها في حضور "نوويل" بإنجازاتها العديدة في مجال تخصصها .

عادت "جلوري" إلى بلدتها لقضاء إجازة قصيرة تلتحق بعدها بجامعة كاليفورنيا ، حيث حصلت على منحة دراسية في مجال الأبحاث مدتها عام تعود بعدها إلى مزارع "فينكس" حيث تمارس مهنتها في رعاية خيول أبيها وعلاجها .

لم يكن "دوب" و"روبي" فقط هما الفخوران بابنتهما "جلوري" لكن "روس فوربز" كان يبدي اهتماما واضحا بكل ما تقوله .

وبينما كان "دوب" و"روبي" يعاملان "روس" كابن لهما أكثر منه مستخدما في مزرعتهما ، لاحظت "نوويل" أن مشاعر "جلوري" تجاه راعي البقر الوسيم الذي احتضنته الأسرة كانت أبعد ما تكون عن مشاعر الأخوة . لم تخف الفتاة افتتانها به ، إلا أنه تظاهر بأنه لا يلاحظ ذلك .

- " العودة إلى هنا شيء عظيم جدا " .. قالت "جلوري" لـ "برودي" .. "لقد افتقدت الجميع بدرجة كبيرة " قالت موجهة الحديث إلى الأسرة بينما تركزت عيناها على "روس" . كان واضحا أن "روس" أحس بنظراتها حتى أنه نظر إليها قائلا:

- " كان المكان مختلفا في غيابك أيتها الطفلة المزعجة " .

- " كان بالتأكيد مملا وموحشا . أليس كذلك ؟ "

هز كتفيه نافيا ما قالته :

- " كان يسوده الهدوء والسلام " .

تنهدت بأسلوب مثير ضحك له جميع من كانوا قد تجمعوا إلى مائدة العشاء.

كان واضحا أن "رايلي" لم يكن موجودا بالمنزل ورأت "نوويل" أنه من الأنسب ألا تستفسر عنه . لقد أخبرها "برودي" بأنه لم يكن على اتصال بالأسرة عدة أيام . وتظاهر "برودي" بعدم الاهتمام ، إلا أن قلقا دفينا كان يساور "برودي" و"دوب" و"روبي" . أحست "نوويل" بذلك . ربما لا يكون "رايلي" متغيبا فحسب . قد يكون مفقودا .

وبانتهاء تناول الوجبة المكونة من اللحم المشوي والبطاطس كانت "نوويل" قد نسيت تماما أسباب قلقها إزاء تلك الزيارة . فقد كانت أسرة "برودي" مجموعة محبة معطاء إلى الحد الذي لم يمكنها معه أن تفهم : لماذا لم يكن "برودي" منطلقا . قد يخبرها يوما ما .

– " هل أنت مستمتعة بالوقت ؟ " سألها "برودي" بينما كانا يعاونان في إزالة محتويات المائدة .

– " جدا . شكرا على دعوتنا إلى هنا ".

أخذت "روبي" الأطباق من "برودي".

– " اذهبا واستمتعا بوقتكما بينما "بابا" وأنا نعتني بهذه الأمور وإذ لم تتنازل "نوويل" عن المعاونة قال "دوب" :

– " "روبي" وأنا غالبا ما نتعاون في أداء مثل هذه الأعمال . فقد اعتدنا ذلك منذ بدأنا تنشئة هؤلاء الأطفال . كنا نناقش أمورنا الخاصة في أوقات أداء هذه الأعمال ، إذ إنها الفترة الوحيدة التي كنا نثق فيها بأن أحدا منهم لن يأتي لإزعاجنا ".

وكزته "روبي" بمرفقها في عبث :

– " لم يكن الأطفال سيئين إلى هذا الحد . وعلى حد ذاكرتي كانت لنا أوقات كثيرة من الخصوصية " .

– " نعم". قال مشاكسا بابتسامة " ... ولكننا لم نتحدث كثيرا في حجرة نومنا."

توهج وجه "روبي" الذي لوّحته الشمس ، وضربته على ذراعه مازحة .

– " صه أيها الساذج العجوز . إنك فظيع ".

وقبل أن تهتز مبتعدة عنه بذراعيها المحملتين بالأطباق ربت "دوب" على ظهرها المكتنز .

– " من أجل هذا تزوجتني . أليس كذلك ؟ "

ضحك "برودي" وتقدم الآخران إلى الشرفة الكبيرة التي تطوق المنزل . كانت بها أرجوحتان وعدد من أصص الورود والأزهار . بدأ النهار في ذلك

الوقت من العام يقصر باتجاه الصيف نحو الخريف في خطى متكاسلة . وبدأت ظلال المساء تهيئ الراحة المرتقبة من حرارة الجو المرتفعة . وكانت الحشرات تطن في شجيرات الليلك عطرة الأزهار . وترامى صوت نباح كلب صادر من مكان ما .

جلس "برودي" و "نوويل" وبينهما الطفلان على إحدى الأرجوحتين . لم يكن قد أتيحت له لحظة واحدة على انفراد معها ، وكان يتحرق شوقا إلى ماهو أكثر من تلك القبلة المقتضبة التي حياها بها في وقت سابق . وضع يده على المسند الخلفي للأرجوحة وأخذ يمسد كتفها .

جلست "جلوري" في الأرجوحة المقابلة وأخذت تربت على الوسادة التي بجوارها :

– " اجلس هنا يا "روس" يوجد مكان متسع ".

– " لكني مستريح هكذا " قال متشدقا ، بينما رفع إحدى قدميه إلى أسفل إفريز الشرفة ، ولف ذراعيه على ركبته . "سمعت أخبارا سارة عن اختبارات الزمن التي اجتازتها أفراسك . أهنئك يا صديقي".

– أشكرك . كنت أعلم أن لدي صفوة من خيل السباق هذا العام . وهذا يعطيني إحساسا رائعا بأنني أسير في الاتجاه الصحيح .

– " يدهشني أنك هنا ولست في "رويدوسو" ، تكدح وتعرق ولم يبق على السباق الاستقبالي الأمريكي سوى أسبوع واحد ".

كان "روس" يعلم جيدا أسلوب "برودي" في العمل .

تبادل "برودي" و"جلوري" نظرة عصبية علمت "نوويل" منها أنهما كانا يفكران في "رايلي" .

– " جد في الأمور جديد . سأعود يوم الاثنين ".

– " كيف حال " أحاسيس الليل"؟ هل من متاعب بسبب جرحها القديم ؟ "

– "لا . على الإطلاق . حالتها الصحية ممتازة حتى أنها قالت : إنها سوف تفوز بجائزة السباق الاستقبالي لهذا العام وأنا أصدقها ".

– " وهل تتكلم الخيل حقيقة ؟ " سأل "داستي" غير مصدق .

– " تتكلم مثل "مستر إد" في التليفزيون ؟ ".. سأل "داني" وكان هاويا لمثل هذه الأفلام القديمة .

ضحكت "جلوري" :

– " التوسان لا يتحدثان إلا إلى "برودي" فقط . لا أحد غيره يمكن أن يسمعهما ".

– " الخيل لا تتكلم بأفواهها " قال "برودي" شارحا " لكن إذا قضيت معها وقتا طويلا مثلي فسوف تتعلم كيف تصغي إلى أفعالها ".

– " لقد شاهدت "برودي" أثناء العمل" قال "روس" إنه متآلف مع خيله إلى حد كبير . يعلم متى يدفعها ومتى يكف . شيء مدهش للغاية . لقد ارتبط بخيله لدرجة أنه يعاملها كأفراد من الأسرة الواحدة ".

– " ويحتفظ في المرعى بفرس عجوز لا تستطيع شيئا سوى الأكل " قالت "جلوري" بقصد أن تغيظه .

– "ليس حقيقة ". قال "برودي" مرتبكا " "باس إم" من الحيوانات المدللة المتعة".

– " هل يمكننا أن نركبه ؟ "

– " "باس إم" أنثى ويمكنكما ركوبها في يوم من الأيام ".

– " بي ي ي ي " قال التوسان منشدين .

ابتسم "برودي" إلى "نوويل" من فوق الرأسين الصغيرين الأشقرين وتاق إلى دقائق معها على انفراد . ربما بعد أن يذهب "داستي" و"داني" إلى المدرسة ستكون له الفرصة لأن يمارس الحب معها على نحو جاد . هكذا كان يفكر .

ومن المحتمل جدا أن يكون "روس" قد سمع تنهيد "برودي" فقد خاطب التوسين فجأة قائلا :

– " هل تحبان رؤية صغار الخيل حديثة الولادة ".

– " فكرة عظيمة يا "روس" وسأتي معكم أيضا . " أسرعت "جلوري" في دعوة نفسها إلى الانضمام إليهم . فأية زيارة إلى مركز استيلاد الخيل تكون قاصرة بدون رؤية مهر أو اثنين ".

– " هل يمكننا أن نذهب يا "ماما" هل يمكننا ؟ "

– "بشرط أن تطيعا "روس" و"جلوري" ؟ "

اكتشفت "نوويل" ما كان يجري وشكرت أخت "برودي" بابتسامة معبرة .

وبعد أن انصرفوا وكان الطفلان يقفزان فرحين ويعدوان بين "جلوري" و"روس" اقترب "برودي" من "نوويل" وضمها بين ذراعيه وهو يهمس :

– " ظننت أنهما لن يفهما ما لمحت به أبدا ".

– " "برودي" ! المكان يضج بالناس . قد يرانا أحدهم . " ولم تكن "نوويل" تعني الاعتراض على ما يفعل ، ولم يفهمه "برودي" بذلك المعنى .

– " لا يهم ، وضمها إلى صدره بعنف في قبلة حارة . "لو تمادينا على هذا النحو أطول من ذلك لن أكون مسؤولا عما يترتب " قال لاهثا .

– " ولا أنا ". احتوى وجهها في يديه قائلا :

– " سيأتي اليوم حينما لا أستطيع التوقف ".

لمست "نوويل" شفتيه بطرف إصبعها وكانت تكاد تتمزق من شدة حبها له وقالت :

– " أعلم ".

– " ليتك توافقين بمثل هذه السهولة على كل شيء " قال متمتما .. ثم جذبها فهبت واقفة .

– " لنذهب ونطمئن على الأطفال قبل أن نتمادى ، ولا نستطيع التحكم ".

ابتسمت له وقد أصيبت ببعض الدوار الناتج عن شدة انفعالها .

– " الحالة التي جعلتني عليها الآن تدفعني إلى أن أتبعك إلى أي مكان " ضمها إليه قائلا :

– " أتعنين أنني لو عرضت عليك الآن مكانا أكثر خصوصية من الأرجوحة ستقبلين ؟ "

– " قبلني قبلة مماثلة ، وسأقبل حتى لو كان ذلك المكان ميدانا عاما ". قالت مغيظة إياه .

– " هيا الآن . من الأفضل أن ننضم إلى الآخرين . فالأمان مكفول في

الجماعة كما تعلم ".

لحقا بـ "روس" و"جلوري" والتوسين في إحدى حظائر الاستيلاد، جرى "داني" و"داستي" نحوهما في هدوء تام، مصدره شدة احترامهما للمكان.

- " خمني ماذا هناك " قال "داني" مبهورا.

- " لقد رأيت مهرا وليدا. أليس كذلك ؟ " كانت "نوويل" ممتنة من أجل السعادة التي شعر بها ولداها. فقد أعطتهما أسرة "برودي" اليوم شيئا استثنائيا .. قبولا غير مشروط.

- " صغيران. توءمان " .. قال "داستي" دهشا ..

- " مثلنا " .. أضاف أخوه .. خشية ألا تكون قد اكتشفت ذلك. وتقدم الطفلان "برودي" و"نوويل" إلى المربط حيث كان الصغيران يتمايلان على أرجل نحيلة، ويتدافعان متنافسين على الغذاء. وقفت الأم تنظر في صبر بعينيها الكبيرتين وتركل الأرض برفق كلما زادت قسوتهما عليها في تناول لبنها.

استأذن "روس" في الرحيل بدعوى أنه مضطر إلى الذهاب إلى مزرعة مجاورة لإحضار بعض المعدات.

- " سعدت بلقائك " قالت "نوويل" " وأشكرك على مساعدتك الأولاد لرؤية كل ذلك ".

- " عفوا ياسيدتي .." قال باحترام .. "إنهما طفلان ظريفان" ثم لمس قبعته قائلا : " ربما أراك هنا ثانية في وقت ما ".

- " يمكنك أن تراهن على ذلك ... " قال "برودي" ..

- " هاي "روس" ! " جاء صوت "جلوري" بلا مبالاة متعمدة ؛ "بما أنك ذاهب إلى بيت "هارفي" ... "

- " لا . " أجاب مسرعا "لن تذهبي ".

- " ولم لا ؟ لقد سمعت أن "لاري ديل" قد حضر في زيارة وأريد أن أراه ثانية".

- " افعلي ما تريدينه ". والتوت عضلة في فك "روس" النحيل بينما دار على كعب حذائه مغادرا الحظيرة.

- " يجب ألا تفعلي هذا يا "جلوري" قال "برودي" معاتبا.

- " أفعل ماذا ؟ " .. سألت ببراءة ..

- " إنك لا تهتمين على الإطلاق بـ "لاري ديل" ولكنك قد دأبت منذ طفولتك على أن تضعيه دائما أمام "روس" ".

- " نعم. أعلم ذلك ". قالت مبتسمة إلا أن هذا لا يزال يأتي بالنتيجة المطلوبة، فيجعله يلهث مثل فرس صغير في صباح يوم بارد ".

- " لماذا لا تدعينه وشأنه ؟ " سأل أخوها.

- " إنها مشكلته هو ". قالت وهي تدفع بشعرها الطويل إلى الوراء :

- " لقد عاش هذا اللعين وحيدا لمدة طويلة جدا. أري كم أصبحت رقيقا جدا منذ أن التقيت بـ "نوويل". إنه مدهش حقا ما تستطيع أن تصنعه امرأة فاضلة بأي رجل ". وابتسمت لـ "نوويل" وغمزت بعينها قبل أن تعدو للحاق بـ "روس".

ناداها "برودي" :

- " "روس" محق يا أختي العزيزة. أنت مزعجة جدا ".

والتفتا إلى الطفلين ثانية، فقد كانا مستغرقين في مشاهدة الصغار.

- " كم عمرهما يا "برودي" ؟ .. " سأل "داني"..

فحصهما بعين مدربة وأجاب :

- " حوالي أسبوع "

- " ياه ! " دهش "داستي"، "وتستطيع السير وكل شيء. "ماما" .. عندما كان عمرنا أسبوعا هل كنا نستطيع السير أيضا ؟ "

- " لا .. " قالت معلقة على تلك المعجزة التي اختصت بها الطبيعة تلك الحيوانات الصغيرة جدا " فقد كنتما أصغر بكثير من هذه الصغار ".

- " ولكننا كنا نستطيع أن نتغذى مثلهما، أليس كذلك ؟ " سأل "داني" وذبلت ابتسامة "نوويل" متحولة إلى حمرة الحياء عندما تذكرت المجهود الذي كانت تبذله لإرضاع التوسين. نظرت أعلى فوجدت "برودي" يكتم ضحكة.

- " تقريبا " أجابت قبل أن تطلق ضحكات عصبية.

- " ما المضحك في هذا ؟ سأل "داني" أخاه ..

هز "داستي" كتفيه :

– " لا أدري . ربما يكون شيئا يتعلق بالكبار ".

لم تكن "نوويل" قد ذهبت قط مع التوءمين إلى مدينة الملاهي المعروفة باسم "فرونتير سيتي" . كانت قد أغفلت مشاهدة إحدى الألعاب التي اجتذبت السياح من جميع أنحاء الولاية . ولم تظن أن التوءمين كانا كبيرين بدرجة كافية تمكنهما من الاستمتاع بتلك الألعاب . لكن سرعان ما أثبتا عكس نظريتها . فمنذ لقائهما مع "برودي" أصبحا يستمتعان بكل ما يتعلق برعاة البقر .

وبعد مضي دقائق معدودة تبين لها أن "برودي" كان في مثل سعادتهما . اصطحبهما في الألعاب المخصصة للكبار . ووقف على الخطوط الجانبية يلوح لهما عندما ذهبا إلى الألعاب المخصصة للصغار .

– " لابد أنك كنت تحب هذا المكان عندما كنت صغيرا " قالت "نوويل" مداعبة وانقشعت البسمة عن وجهه .

– " عندما ذهبت مع "رايلي" لنعيش مع "روبي" و"دوب" ظننا أننا كبرنا جدا على هذه الألعاب . وكنا حريصين على ألا نطلب منهما معروفا خاصا ".

أملت "نوويل" أن تكون تلك هي الفاتحة التي كانت تنتظرها .

– " لماذا ؟ إنهما بالتأكيد على درجة كبيرة من الكرم . "

– " نعم . إنهما دائما على استعداد لأن يعطيا حتى القميص الذي يغطي جسديهما " قال مؤكدا : " ولكننا كنا نخشى دائما ألا يرغبا فينا إذا طلبنا شيئا خاصا . الحياة مع الأسر المضيفة علمتنا ذلك ".

– " حدثني عنها يا "برودي" ألحت عليه برقة .

تردد لحظة ثم نظر في عينيها . رأى فيهما اهتماما حقيقيا وقلقا . بدأ السد ينهار . ذلك السد الذي شيده وأغلقه بإحكام على مدى سنوات طويلة مؤلمة .

– " لا أتذكر عن أمي الكثير سوى أنها كانت مريضة معظم الوقت . كنا نعيش في كوخ من الورق (المقيّر) في "تاليهينيا" القريبة من جبال "أواشيتا" . توفيت أمي وكان أخي في الثانية من عمره . لم يكن أبي يهتم بتربية الأطفال ، لذا اعتنيت أنا بنفسي وبأخي ".

– " لكنك كنت طفلا صغيرا بعد ! " قالت "نوويل" دهشة وقد صدمت أن يكون هناك والد على ذلك القدر من اللامبالاة بل وعدم الإحساس .

– " كنت في حوالي السادسة . ولم يضايقني أن أعتني بأخي . فقد كان طفلا جميلا . يضحك دائما ، ويسعد برؤيتي . كان يتطلع إليّ . أما "جو سوير" فكان مبدؤه أن من لا يعملون لا يأكلون . وكنت أخشى أن يتركنا فضاعفت مجهودي . لم تكن له عاطفة الأبوة ، إلا أنه كان كل ما لنا ".

– " ولم يكن هناك أي نوع من خدمات رعاية الطفولة ؟ أو الخدمات الاجتماعية؟"

– " لقد عشنا في منطقة ريفية . وقلما يقترب العاملون في الحقل الاجتماعي ، من تلك التلال بحثا عن الأطفال الفقراء المظلومين ".

– " ألم يكن لكم أقارب ؟ "

– " لم أعرف لي أي أقارب . تحدثت أمي عن بعضهم في "كنتاكي" ولكني لم أعرف أبدا من كانوا ".

– " وبذلك أصبحت المسؤول عن "رايلي" " بدأت "نوويل" تتفهم الأمور .

– " حاولت أن أكون ذلك . وكنت دائما أتلقى الوطأة العظمى لغضب والدنا ".

– " آه يا "برودي" ! أتعني أنه كان يسيء معاملتكما ؟ " شعرت بقلبها ينفطر لهول ما كان يقص عليها . لم تكن تتصور أن يؤذي أي إنسان طفلا . خاصة لو كان ذلك الشخص والد الطفل .

– " لم تكن الأمور بهذا السوء ، لأن "جو" لم يوجد كثيرا ، كان يتركنا لأنفسنا معظم الوقت . وهذا ما كان يسعدنا جدا . إلا أن الأمور تعقدت قليلا عندما بدأت أذهب إلى المدرسة ".

– " كنت تضطر إلى أن تترك "رايلي" وحيدا ؟ "

– " لا . لقد كان صغيرا جدا . كنت آخذه معي في سيارة المدرسة . وكان هناك متنزه قريب كنت أتركه فيه يلعب حتى أعود إليه . ذلك عندما كان الجو دافئا . وعندما جاء الشتاء كنت أخفيه في حجرة "مستر ووكر" البواب . كان زنجيا طيبا يحضر بعد انتهاء الدراسة لينظف المدرسة . وأنا في أحد الأيام نغادر المخزن ".

– " وماذا حدث ؟ "

– " أعتقد أنه شعر نحونا بالأسى . فبدأ يقابلني عند سيارة المدرسة في الصباح ويأخذ "رايلي" إلى زوجته ، بينما يذهب هو إلى عمله بإحدى محطات البنزين . ثم تحضر زوجته "رايلي" إلى موقف سيارة المدرسة بعد الظهر فنركب ونعود إلى بيتنا ".

– " آه يا "برودي" .. " لا عجب في هذا الرباط القوي الذي يجمعهما . لقد اعتمد كل منهما على الآخر حتى يظلا على قيد الحياة . " ألم ينتبه أي إنسان في المدرسة ؟ مدرس أو سائق السيارة أبدا لما كان يجري ؟ "

– " وإذا فعلوا . لم يقل أحد شيئا مطلقا . كان معظم أطفال المدرسة من الفقراء . لم نكن نختلف عنهم . وعندما بلغت التاسعة طرأت لـ"جو" فكرة جنونية فنقلنا إلى هنا إلى مدينة "أوكلاهوما ".

– " وهل تحسنت الأمور عندئذ ؟ "

– " هذا يتوقف على الزاوية التي تنظرين منها إلى الموضوع ".

راقب "برودي" ساحات الألعاب الملأى بالأطفال و الطائرات المروحية التي أبهجت ركابها الصغار ، وتذكر . وجمدت عيناه .

– " تركنا "جو" مع امرأة كان على علاقة بها بحجة أنه ذاهب للبحث عن عمل . وعدنا بالعودة . أصبحت الأيام أسابيع وبعد مضي عدة من هذه الأسابيع ، لم تكن هناك أية أخبار عن "جو" ، سلمتنا صديقته هذه إلى مكتب الخدمة الاجتماعية وأخذنا نتنقل بين بيوت الضيافة لمدة تزيد على عام ".

– " هل كان عندئذ أن تدخل "دوب" و"روبي" ؟ "

هز رأسه قائلا :

– " لا . لكن لحسن حظنا أن هذا ما انتهينا إليه . لأنهما لم يكونا كالآخرين . لم يأخذا الأطفال طمعا في المبالغ التي تدفعها الدولة ، لكن بدافع حبهما للأطفال . وكانا بالنسبة لطفلين بائسين مثلي أنا و"رايلي" يبدوان كمليونيرين ، وهذا البيت الواسع وتلك المزرعة فردوسا ".

تصورت "نوويل" كيف أن "برودي" و"رايلي" يجب أن يكونا قد شعرا

بالطمأنينة في بيتهما الجديد هذا ، وكيف أن شمس الريف الساطعة ، والعمل في المزرعة قد خلقا منهما رجلين قويين .

– " يبدو لي أنهما أبوان مدهشان . ويهيأ لي أن "جلوري" ابنتهما الحقيقية."

– " نعم . أعتقد أنهما كانا في أواخر الأربعينات ، وقد فقدا الأمل في أن يكون لهما أطفال عندما جاءت إلى الدنيا . كانت طفلة صغيرة جدا عندما أتينا لنعيش معهما . وأحببناها جدا . وإن كنا ظللنا فترة طويلة جدا غير مصدقين أن "دوب" و"روبي" كانا يرغبان فينا حقا ".

– " ولم تسمعا عن والدكما أبدا ؟ " كانت "نوويل" قد قرأت عن ترك الأطفال أو التنازل عنهم ، إلا أن الواقع كان أفظع بكثير .

– " لم يسعدنا الحظ إلى ذلك الحد . ظهر "جو" بعد ثلاث سنوات تقريبا جعلنا الإخصائي الاجتماعي نراه . فزعم أنه كان يبحث عنا وأبدى استعداده لضمنا إليه في المنزل أينما كان .

– " وماذا فعلتما ؟ "

– " سألنا "دوب" و"روبي" ما إذا كنا نرغب في الذهاب معه فرفضنا ، فقد كان لنا معهما مكان ، وكان مكانا جيدا أيضا . ولم يشأ أي منا أن يذهب مع "جو" الذي لم يعُد أن يكون رجلا غريبا بالنسبة لنا ".

– " معظم حالات الرعاية التي قرأت عنها ، تحاول المحاكم أن تجمع شمل الأسر بضم الأطفال إلى والديهم الطبيعيين ".

– " حاولوا ذلك . لكن "دوب" و"روبي" انبريا للدفاع عنا . ومنحا حق الوصاية الدائمة علينا عندما قرر "جو" التنازل عن حقوقه الأبوية تجاهنا ".

– " قرر ؟ "

– " وقد اكتشفت بعد عدة سنوات أن "دوب" قد دفع له الثمن .لذلك أنا ممتن لهذا الرجل حتى نهاية عمري . لأنه بدونه وزوجته "روبي" لما كان لي ولـ"رايلي" ما لنا الآن . لا المعرفه .. ولا المهارة ولا احترام الذات ".

– " ولم تر والدك من ذلك الحين ؟ "

www.elmanaraa.com

- " مر علينا في "رويدوسو" منذ سنوات قليلة . كان يعمل في نظافة حلبات السباق ، ولما سمع عنا جاء ليسلم علينا . كان "رايلي" متأثرا جدا لحاله ، وأراد أن يحضره ليعيش معنا حتى يقوم برعايته ".

- " وماذا كان شعورك أنت ؟ "

- " في بادئ الأمر كدت أفقد عقلي . ربما لم يذكر "رايلي" ما فعله هذا الرجل بنا ، ولكنني أذكره جيدا . ذهبت وقابلت "جو" بنفسي ، وقدمت له المال في مقابل أن يبقى بعيدا عنا .. وأجدى هذا الأسلوب معه مرة ، فظننت أنه سوف يجدي مرة أخرى ، إلا أنه انهار وبكى ".

- " لابد وأن يكون قد شعر بالجرح ".

- " لم أكن غاضبا بعد ذلك . فقد قال "جو" إنه قبل ذلك مرة ولن يقبله ثانية . ووعد بألا يضايقنا ثانية . وحتى الآن كان وعده هذا هو الوحيد الذي لم يخلفه ".

فهمت "نوويل" الكثير الآن . فهمت لماذا دفع "برودي" نفسه بقسوة إلى النجاح . لماذا يلجأ إلى السخرية ليخفي طيبة قلبه . وعلمت لماذا يجاهد إلى هذا الحد في سبيل حماية "رايلي" . وإن ما يخشاه ليس الارتباط ، لكن عدم الوفاء بالوعود . مدت يدها ولمست ذراعه كأنما تشعره بمدى تفهمها الأمور .

- " من الصعب أن أقبل فكرة أن يبيع رجل أطفاله بالفعل . ولكنني أعتقد أن ما فعله "ستيف" لا يختلف عن ذلك كثيرا " قالت برقة .

- " قد تعمل كل الأمور معا للأفضل " قال " فقد عملت كذلك من أجلنا . بيعنا إلى الغير كان الحسنة الوحيدة التي صدرت عن "جو" طوال حياته . لقد كبرنا وبداخلنا إحساس بأن لنا قيمة على الأقل . "دوب" و"روبي" هما اللذان غرسا فينا هذا الإحساس ".

- " أنا سعيدة بأنك أخبرتني يا "برودي" قالت وهي تبتسم وتزج يدها في كفه . " لقد انتهت اللعبة لنذهب ونأخذ الثنائي الديناميكي ".

- " هل رأيتمانا طائرين ؟ " نادى "داستي" وهو يعدو متجها إليهما .

- " كنا نطير بسرعة كبيرة ، حتى أن كل شيء كان غير واضح " . قال "داني" متعجبا .

يبدو لي أن هذا الجهد قد أصابكما بالظمأ " قال "برودي" بلهجة رعاة

البقر . " لنذهب إلى الصالون ونتناول كوبا من أحد المشروبات الغازية المثلجة ".

- " فكرة مدهشة " قالت "نوويل" . " سمعت بأنه قد تكون هناك معركة بالذخيرة الآن ".

ابتلع الطفلان مشروبيهما في الصالون الوردي ، وشاهدا بعيون مفتوحة حتى أقصاها شغبا ينطلق في مواجهتهما . أسرع الوكيل إلى الصالون ليبلغ العمدة بأن البنك قد نهب وأن اللصوص يهربون . خرج العمدة مسرعا وجرت معركة بالبنادق خارج مدينة الملاهي ، وبالقرب من الشارع الرئيسي . حمل "برودي" التوءمين عاليا ، كلٌ في ذراع حتى لا يفوتهما أي جزء من المعركة . وصفقا في كل مرة انفجرت فيها خرطوشة فارغة .

وبمجرد أن انتصر رجال الأمن ومعاونوهم من الأناس الخيرين ، واستتب الأمن والنظام مرة أخرى أطلق لص كان مختبئا فوق شجرة قريبة عيارا ناريا على العمدة فأرداه جريحا في ساقه .

إلا أن عمدة البلد بصفته عريقا في حفظ النظام على الجبهة الداخلية تدحرج مستلقيا على ظهره ، ثم أطلق عيارا ناريا على ذلك المجرم فأسقطه من فوق الشجرة .

وانجلى الغبار وصفق الحاضرون ووقف كل من الخيرين واللصوص يحيون الجمهور وينفضون الغبار عن ملابسهم وقبعاتهم . ثم اختلطوا بالجمهور وتحدثوا إلى الأطفال وشرحوا لهم ما حدث حتى أن أصغر الأطفال سنا قد فطن إلى أن ما حدث لم يكن إلا جزءا من العرض بالمدينة .

كانت اللحظات الأولى من المساء قد حلت عندما أقنعا الطفلين بالانصراف. أخذهما "برودي" إلى أحد محلات بيع الهدايا ، واشترى لهما مسدسين من البلاستيك وبندقيتين أخريين رغم اعتراض "نوويل" على هذا النوع من اللعب التي تشجع الأطفال على العنف .

- " لا تقلقي . الأولاد يدركون ما هو حقيقي وما هو لعبة ".

أومأ كل من "داني" و"داستي" في خشوع تام . إلا أنه تحسبا لما قد يحدث ، أخذ "برودي" يحدثهم على طول طريق عودتهما إلى المنزل ، عن كيفية تأمين الأسلحة النارية وحيث إنهم قد أطالوا مدة بقائهم بمدينة الملاهي فقد وافقوا

على تأجيل الرحلة إلى "سيمارون" إلى اليوم التالي يوم الأحد حيث إنه من المقرر أن يطير "برودي" إلى "نيو مكسيكو" يوم الاثنين لعمل الاستعدادات اللازمة للسباق الاستقبالي الأمريكي .

بعد أن أدخلا الطفلين المتعبين في فراشهما سألته "نوويل" ما إذا كانت لديه رغبة في تناول قدح من القهوة .

- " إذا مكثت .. كلانا يعلم أن ذلك لن يكون من أجل القهوة وشيء ما يقول لي: إنه لا الوقت ولا المكان ملائمان " .

- " إنك لفطن جدا أيها الراعي " .

قادها إلى الباب الخارجي واضعا أحد ذراعيه حول كتفيها

- " سأبقى قليلا لألقي نظرة على بطاقة احتمالات المطر ، ولأقبلك قبلة المساء الملتهبة " .

طوقت "نوويل" عنقه بذراعيها حتى وقفت على أطراف أصابع قدميها وهي تقول :

- " يمكنني أن أتدبر ذلك " .

ضمها في عناق حار ، ثم قبلها ، وخفق قلبه بشده حتى أنه أرخى قبضته عليها فانزلقت عن جسده ملتهبة بالرغبة التي أثارها فيها .

- " يجب أن نكف عن اللقاء هكذا " قالت لاهثة .

ترك شفتيه تجوبان فوق شفتيها لحظة قبل أن ينتزعهما عنها ، وإذ كان لا يزال يضمها بخفة قال :

- " الأفضل أن أرحل فورا وإلا .. "

- " وإلا ماذا ؟ "

- " وإلا استيقظ الطفلان في الصباح ووجداني في فراش أمهما . وأنت لا تريدين ذلك . أليس كذلك ؟ "

انزلقت يداها من عنقه إلى ذراعيه وابتسمت قائلة :

- " نعم ولا " .

- " هذا ما ظننته " . وضمها إليه مرة أخرى " سآخذكم في الثامنة صباحا " .

- " لا تئت مبكرا هكذا " . قالت مقترحة . " أعلم أن لديك عملا كثيرا يجب أن

تنجزه " .

- " هاي ياسيدة . أنا لست متسكعا . سأكون قد عملت عدة ساعات قبل مجيئي. هذا فضلا عن أني أريد أن أقضي أطول فترة ممكنة معك ومع الأولاد قبل أن أرحل " .

أسعدها ما قال . ليس فقط لأنه يرغب في أن يكون معهم طويلا ، بل لأنه قد أقر بذلك علانية . ربما قد ساعده على ذلك حديثهما معا بعد ظهر ذلك اليوم بقدر ما ساعدها . كان اعترافه هذا خطوة على الطريق الصحيح على الأقل .

- " حسنا . أرشدني بشأن الطريق الذي تسلكه فنأتي إليك لنوفر عليك مشقة رحلة إضافية إلى داخل المدينة " .

وافق على هذه الفكرة .

- " إذن أحضروا إلي الفطور وسأعد شيئا " .

- " أنت رجل طيب يا "برودي سوير" . ولابد أنك ستكون زوجا صالحا لإحدى سعيدات الحظ في يوم من الأيام "

قالت بقصد أن تغيظه .

كان يعلم أنها تمزح ، إلا أنه كان جادا عندما أجابها :

- " ربما أكون كذلك " وخبأ رأسه في شعرها وهو يتلذذ بإحساسه بنعومته ، بينما ذابت هي في لمساته المثيرة . كان بحاجة اليها وأفقدته رغبته فيها السيطرة على أعصابه . لكن لم يكن هذا يخيفه الآن ، وقد ألقى إليها بحمله الثقيل وأخبرها بكل شيء بعد ظهر ذلك اليوم . وسيكون غدا يوما مشهودا . سيتحدث إليها غدا . سوف تشاركه المشاعر . سوف يقول و يفعل كل الأشياء الصائبة التي من شأنها أن توثق الرابطة التي تكونت بينهما رغم كل التحفظات والمخاوف .... غدا سيقطع عهدا سيظل حتى نهاية العمر يعمل على الوفاء به.

الفصل الحادي عشر

في التاسعة من صباح اليوم التالي كانت "نوويل" تسير بسيارتها تحت أحد الأقواس التي تحمل شارة إسطبلات "سيمارون" لخيول السباق . كان اليوم واعدا بأن يكون حارا مشمسا ، نموذجا لطقس آخر أيام أغسطس . كان "داستي" و"داني" في المقعد الخلفي يتلويان ، ويهتزان - بالقدر الذي سمحت لهما به أحزمة الأمان - محاولين أن يريا كل شيء على الطريق دفعة واحدة .

ومن خلف أسوار من الأعمدة البيضاء وقفت الخيول الجميلة على كلا جانبي الطريق رافعة رؤوسها الملساء في فضول تحملق في سيارة الزائرين التي تسيرفي محاذاتها .

اصطفت على جانبي الطريق شجيرات "السبيريا" ، وهي ذلك النوع الذي كانت تسميه جدة "نوويل" شجيرات الفشار ، حيث إنها تتفجر في الربيع عن عناقيد جميلة من الأزهار البيضاء كالجليد .

رأت عن بعد من المنزل وفي الخلاء عددا من الحظائر والمباني الملحقة بها ، جميعها مطلي باللون الأحمر ، ويحمل زخرفة خشبية طليت باللون الأبيض . كما رأت الزرائب وقد شيدت من الأعمدة البيضاء التي أنشئت منها تلك الأسوار على جانبي الطريق .

وكانت بالات التبن الجديد مصطفة بأناقة في الحقول البعيدة كي تجف هناك تحت أشعة الشمس ، في كل بقعة رأتها "نوويل" في ذلك الموقع كان هناك ما يؤكد العناية وحسن النظام . وطبقا للتعليمات التي استقتها من "برودي" وقفت "نوويل" سيارتها في مواجهة بيت كبير مشيد من قطع الصخور وأخشاب الأرز التي أصبح لونها مفضضا بفعل العوامل الجوية .

وقد بذل المهندس عناية فائقة كي يحفظ أخشاب واجهة المنزل مستكنة بين أشجار السيكامور والبلوط العالية بنظام يوحي بأنه من فعل الطبيعة . كانت الأشجار فاقدة الحركة في هواء الصباح الساكن ، كما لو كانت تطل شاردة الذهن في إصغاءة إلى صدح الطيور المغردة على أغصانها .

وعلى الأرض كانت الرشاشات مستغرقة في قذف مياهها فوق المسطحات

المكسوة بالعشب ، محدثة صوتها الرتيب : "كاشوك .. كاشوك .. كاشوك" . وبرقت ألوان الطيف ضئيلة من خلال قطرات الماء المتناثرة .

أضاءت الأزهار المتعددة الألوان الأركان الظليلة للفناء وأطلت أزهار نباتات القطيفة القزمة من خارج أحواض الزهور التي تحيط بالحديقة . لقد قضى شخص ما - كانت "نوويل" واثقة أنه لم يكن "برودي" - وقتا طويلا في تنسيق ذلك الفناء .

وعندما أنزلت الطفلين من السيارة رأيا مجموعة من كلاب الصيد الصغيرة طويلة الأذنين تتساقط على الأرض واحدا تلو الآخر في سباقها حول ركن المنزل .

عدا الطفلان ليلحقا بالكلاب . تبعتهما "نوويل" فرأت "برودي" يقف على منصة خشبية حمراء خلف المكان . لوح لها ثم اندفع نحوها إلى خارج السور ، والكلاب الصغيرة تداعب كعبيه . كان يرتدي بنطلون "جينز" أنيقا ، وقميصا من الشمبراي الرقيق مفتوحا عند الرقبة . لم يرتد قبعة من قبيل التغيير ، فتراقصت أشعة الشمس على شعره البني القاتم .

وإذ سار إلى الطفلين اللذين كانا في هذه اللحظة يتمرغان مع الكلاب الصغيرة فوق الأرض انحنى ليمسد شعرهما . وتبادل النظرات مع "نوويل" وهو يقترب منها ، وتسري في وجهه ابتسامة ترحيب عريضة . شعرت بأن بشرتها بدأت تتورد ، وأن كيانها بدأ يتنبذب في انتظار قبلته ، وغمرها اقتناع متجدد به .

لقد أحبته ولم يكن يسعها غير ذلك .

- " أرى أنك نجحت في الوصول إلى هنا " . قال بعد قبلة حلوة طالت مدتها . كانت "نوويل" تأمل في أن تنالها .

- " هل واجهتك أية صعوبات في العثور على المكان ؟ "

- " لا صعوبات على الإطلاق . توجيهاتك ممتازة ، وشرحك واضح " . وإذ وقفت تتأمل وذراعه يطوق كتفها تهللت لهدوء ذلك المكان ، رغم أن "سيمارون" كان يقع على بعد أميال معدودة من زحام وضوضاء مدينة "أوكلاهوما" . بدا لها الأمر ، وكأنها على بعد مائة ميل منها . لم تكن في هذا المكان أدخنة عادم السيارات

التي تفسد نقاء الهواء المنعش ، ولا أصوات المدينة التي تبدد هدوء الريف الساحر .

– " إنه لجميل جدا هنا . هذا بالضبط ما تصورت أنك تعيشه " .

تذكر "برودي" ذلك الكشك المصنوع من الورق (المقيّر) الذي عاش فيه طفولته وضحك قائلا :

– " نعم . وأنا أيضا . تعالي لأريك داخل المنزل بينما يلعب الطفلان مع الكلاب"

وعداها بأن يبقيا على المنصة الخشبية قبل أن تلحق بـ"برودي" من خلال الباب الخلفي للمنزل . دخلا مطبخا به مناضد طويلة مغطاة بالرخام الأبيض ، وخزائن من خشب البلوط . اشتمت "نوويل" رائحة اللبن الطازج باستحسان . أبصرت امرأة هندية من سكان المنطقة كانت نحيفة القوام في منتصف العمر ، تقف إلى مقلاة لحم يئز ، عرفها "برودي" بأنها "واندا سكسكيلر".

– " زوجها "بيلي" عظيم جدا فيما يتعلق بالخيل " قال ساخرا

– "إلا أن السبب الحقيقي لاحتفاظي به هنا هو المأكولات الشهية التي تعدها لنا "واندا" . سوف ترين بنفسك كم هي لذيذة أطعمتها " .

ابتسمت "واندا" في حياء بينما عبر "برودي" و"نوويل" من خلال المطبخ متجهين إلى حجرة المعيشة البهيجة ذات النوافذ المتعددة والسقف المرتفع جدا.

كان أحد جدرانها بالكامل من ذلك الصخر الرمادي المشيد به خارج المنزل . وقد كست الأرضية الخشبية لتلك الحجرة سجادة هندية ثمينة جميلة قبالة المدفأة التي أطل من فوقها (ذئب أمريكي) خزفي رائع اتخذ وضعا وكأنه يعوي على القمر .

وقد طليت جدران الحجرة بألوان الأزرق والأصفر الذهبي والخمري المقتبسة من تلك السجادة الهندية . وتناثرت الوسائد المكسوة بالأنسجة ذات الألوان المنسجمة مع جو الحجرة على الأرائك الجلدية . وقد أضافت الزهريات والسلال الخزفية الملأى بالأزهار الجافة اللمسات النهائية لتلك الصبغة الجنوبية الغربية . كما تعرفت "نوويل" على بعض اللوحات الفنية التي رسمها فنانون محليون من أمريكا الشمالية .

– " ما رأيك ؟ " سأل "برودي" أملا أن تبدي استحسانها لبيته .

– " إنه رائع جدا إلى الحد الذي أتعجب معه كيف تحتمل الابتعاد عن هذا المكان طويلا . لوكان لي بيت كهذا لما غادرته أبدا " قالت مشجعة .

هذا ما كان يحسب حسابه .

– " لم أعر المنزل ولا الأشياء التي يحتويها أي اهتمام قبل أن ألتقي بك . كان اهتمامي الأول موجها إلى الحظائر والمعدات . وفجأة وجدتني أشعر بأن هذا المنزل خاو ويبعث على الكآبة . سلمت "واندا" بطاقات الائتمان الخاصة بي وكلفتها بشراء ما تراه لازما . ويبدو أنها علمت بالتحديد ما كنت أريده "

– " حقيقة ؟ لقد ظننت أنك كلفت أحد مهندسي الديكور بإعداد المنزل وقلت في نفسي : إنه مهندس بارع " . التفتت "نوويل" حولها فرأت "واندا" تقف بمدخل الباب وقد بدا عليها شدة الارتباك إزاء ذلك المديح الصادق .

– " شكرا لك يا سيدتي ، ولكنني لم أفعل كل هذا . "برودي" وأنا تصفحنا بعض المجلات المتخصصة حتى اهتدينا إلى ما يروق له . وكل ما فعلته أنني أحضرت هذه الأشياء إلى هنا " .

– " لا تدعيها تخدعك يا "نوويل"، "واندا" لديها إحساس فني مبدع " .

أشرق وجه المرأة وهي تقول :

– " طعام الفطور قد أعد يا رفاق . وقد ناديت على الولدين . إنهما يغسلان أيديهما الآن بالمطبخ " .

كان الكعك الذي صنعته ممتازا من جميع النواحي حسب قول "برودي" . وتناول الجميع طعامهم في عجلة حتى يتسع لهم الوقت ليلقوا نظرة على باقي "سيمارون" . أشار لهم "برودي" عن بعد إلى البيت الذي يقيم فيه "بيلي" وزوجته "واندا" . ومجموعة من البيوت المتناثرة المخصصة لإقامة مستخدميه المتزوجين مع أسرهم . أما غير المتزوجين فقد أعد لهم مبنى على مقربة من الحظيرة ، زوده بالمهمات اللازمة لإقامتهم فيه .

– " إنه من المجدي ولا شك أن يقيم عمالك على أرض المزرعة " .

– " إن هذا هو النظام الأمثل أخذا في الاعتبار الساعات الطويلة التي يتطلبها العمل في المزرعة . فهذا يتيح للعاملين العودة إلى بيوتهم ليكونوا مع أسرهم

لاحظ أن "نوويل" كانت تراقبه فسألها :

– " فيم تفكرين ؟ " رأت أن لا جدوى من أن تقول له بأنه يمكن أن يكون أبا ممتازا فتراجعت .

– " كنت أفكر في "قطيفة" . اسم غريب لفرس سباق ".

– " اسمها الحقيقي هو "استقل طائرة سريعة" . كلما يولد لنا مهر في هذا المكان لا يمكننا إعداد أوراقه في نفس يوم ولادته . وأحيانا لا نكون قد أعددنا له اسما بعد فنحاول تسميته اسما مناسبا . وهذه أسميناها "قطيفة" لأن شعرها يشبه القطيفة السوداء . وهذا أحد أفضل أسماء التدليل التي استعملناها ".

ثم اصطحبها إلى المربط التالي قائلا :

– "على سبيل المثال هذه الفرس تنثر الماء بحافرها فتحدث وحلا حولها كلما دخل أحد مربطها ، لذلك أسميناها ... "

– " دعني أخمن . وحلاء ؟ "

– " واضح أنك استذكرت واجباتك المنزلية جيدا ." أثنى عليها بابتسامة ساخرة.

– " هل تمتلك أيا من هذه الأفراس ؟ "

– " أمتلك مع أخي "رايلي" عددا من إناث الأفراس نحتفظ بها في حظائر "دوب" . وباقي خيولنا في المرعى حاليا . بعضها مسن بدرجة لا تسمح باشتراكها في السباق ، وبعضها لم يكن مهيئا لذلك أصلا . لكني لا أستطيع أن أتخلص منها . لذلك أعمل على إيوائها فقط ".

– " تحاول من خلال حديثك أن تبدو غليظا يا "برودي" مع أنك رقيق القلب جدا".

– " ربما . فقد أعلن "ويل روجرز" أنه لم يقابل قط رجلا لم يحبه وهذا هو شعوري تجاه الخيل ."

قاد مسيرتهم إلى الخارج في اتجاه الحظيرة التي يجري فيها ترويض الأمهار من سن عام واحد . كان المكان مستديرا تماما بدون أية أركان حتى لا يندفع نحوها الصغار فيوقعوا الأذى بأنفسهم أو براكبيهم . أشار "برودي" إلى مشايات التدريب . فلاحظ التوسان على الفور أن تلك المشايات كانت تشبه

في أوقات الراحة ".

ورأت "نوويل" من خلال صف الأشجار الكثيفة بيتا كبيرا آخر فسألت :

– " ومن الذي يعيش هناك ؟ "

– " إنه منزل "رايلي" ".

– " هل عاد بعد ؟ " سألت بقلق باد . كانت تعلم أن "دارسي" لم تتمكن من الاتصال به منذ أيام فتساءلت ما إذا كان على اتصال بـ"برودي"

– " لم يعد بعد ولا أعلم أين يمكن أن يكون . لم يعتد الاختفاء هكذا . أخشى أن يكون قد لحق به أذى أو أصابه سوء ".

– " هل تبلغ الشرطة ؟ "

– " لأقول لهم ماذا ؟ إن أخي قد غاب عن وعيه ونسي أن يتصل بنا هاتفيا ؟ لا أعتقد ذلك ".

وأقفل باب الحديث في ذلك الموضوع المؤلم فورا . وذهبوا إلى الحظيرة الرئيسية حيث الخيول .

– " تعتبر الحظيرة شبه خاوية الآن ". قال شارحا "ليس لدينا هنا سوى ثلاثين أو نحو ذلك ، لأن معظمها الآن في منخفضات "رويدوسو" وحيث إن اليوم هو الأحد فأخشى ألا يكون هناك نشاط كبير خاصة في ساعات تغذية الخيل ".

كانت الحظيرة تضم مربطا فسيحا نظيفا لكل فرس . لم تكن رائحة هذا المبنى على المستوى الذي توقعته "نوويل" ولكنها أبدت دهشتها من حجم المجهود الذي تتطلبه العناية بهذا المكان ليبدو على هذا القدر من النظام . اقتربوا من المربط الأول فحيتهم الفرس التي بداخله بأن تنفست بصوت مسموع ثم وضعت رأسها أعلى البوابة .

– " هذه "قطيفة" " قال "برودي" للطفلين ثم حملهما حتى يستطيعا أن يمسدا رقبتها الطويلة .

– " لقد قبلتني "، قال "داستي" مبهورا عندما لمست يده بأنفها .

– " كانت تأمل منك في قضمة من الجزر" . أنزل الطفلين وأرشدهما إلى مكان سلة مملوءة بالجزر بركن الحظيرة . عادا خلال طرفة عين ليسألا "برودي" عن الطريقة الصحيحة لإطعام الأفراس جزرا .

الدوامات.

وخرج في هذه الأثناء من أحد البيوت المجاورة ولدان صغيران يكبران التوسين قليلا . وضع أكبرهما يديه حول فمه على هيئة بوق ونادى عاليا :

– " هاي "برودي" ! هل يمكن أن يلعب معنا هذان الولدان على الأراجيح ؟ "

– " هل يمكن يا "ماما ؟ " سألا .

– " إنهما "تومي" وتيري" " قال "برودي" لـ"نوويل" . والدهما يعمل معنا منذ سنتين وهما صحبة مأمونة ".

وفر التوسان نحوهما في الوقت الذي حضر فيه رجل أمريكي الأصل طويل القامة من أهل المنطقة قدمه "برودي" إلى "نوويل" بأنه أكبر معاونيه .. "بيلي سكسكيلر" . كان وجهه برونزيا بفعل التعرض للجو المشمس . وعيناه السوداوان تفيضان عطفا . ارتدى قميصا غربيا وبنطلون "جينز" أزرق ، وحذاء مرتفع الرقبة وربط شعره الرمادي الطويل عند مؤخر رأسه بسير من الجلد .

لمعت عينا "بيلي" بعبث وهو يقول :

– إني سعيد بلقائك يا "مسز تشاندلر" الآن فقط علمت لماذا يضيع هذا الولد وقته في كثرة السفر بالطائرات في الفترة الأخيرة . قالت "واندا" إنك جميلة وأنا أشاركها هذا الرأي "

ابتسمت "نوويل" قائلة :

– " شكرا لك ".

– " ولم أصدق لما أخبرتني عن ولعه بالطفلين الصغيرين . فلم أعلم قط أنه يهتم بالصغار ، إنه لم يسمح لولدي زوجة "رايلي" بالدخول من هذا الباب ".

– " لا تعيريه اهتماما يا "نوويل" . "داستي" و"داني" مختلفان تماما عن هؤلاء الأولاد ".

– " ربما اعتقدت ذلك لأنك لم تمض وقتا طويلا مع ولدي زوجة أخيك ". قالت "نوويل" ثم استطرد "بيلي" في الحديث .

– " لقد كنت مع هذا الغلام منذ أن بدأ تعمير هذا المكان . لقد كان دائما نعم الرئيس العادل . ولكن منذ أن التقى بك أصبح ظريفا جدا ".

بدا "برودي" خجلا و"نوويل" سعيدة . أمسك بذراعها .

– " أريدك أن ترى دواعي فخري وسعادتي ".

واصطحبها إلى حلبة سباق نموذجية تبلغ حوالي ألف ومائتي متر . هناك كان يدرب الخيل وراكبيها للسباق . كان يحف جانبي تلك الحلبة شجيرات صغيرة غرست لتنمو وتكون يوما السياج الأساسي لها .

– " لقد تطلب زراعة هذه الشجيرات جميع الأيدي العاملة في هذا المكان ولمدة طوال عطلة نهاية الأسبوع ". قال "برودي" "لقد نسيت عددها ولكني أعتقد أنها حوالي أربعة آلاف ".

– " ألم يكن من الأيسر إقامة سور ؟ " سألت "نوويل"

– " من الأيسر نعم ، ومن الأمن لا . إذا اصطدم مهر غير مدرب بسور من البناء يمكن أن يعجز راكبه نهائيا . أما إذا سقط على مثل ذلك السياج النباتي فلن يصاب راكبه إلا بخدوش طفيفة ".

وصلا إلى آخر أسوار المرعى ، وأسند "برودي" قدمه المنتعل حذاء عالي الرقبة علي القضيب السفلي ، وأطلق صفارة بفمه . جاءت فرس رقشاء تخب فوق الجزء المرتفع من المرعى ، فلما رأت "برودي" أخذت تعدو باقي المسافة . لمست جيب قميص "برودي" بأنفها ، وأخذت تصهل ، فضحك "برودي" وأخرج لها مكعبا من السكر .

– " هذه "باس إم" سيئة السمعة . إنها إحدى أوليات الأفراس التي اشتريتها على الإطلاق . هي الآن متقاعدة بعد أن سددت ما يفوق نصيبها فى هذه المزرعة . لقد دأب معظم ملاك الخيل على بيع غير المنتج منها لأسباب اقتصادية دون شك . أما أنا فلا يمكنني أن أقدم على مثل هذه الأفعال . يبدو لي ذلك ، وكأنه ضرب من عدم الوفاء ".

ورغم أن "برودي" كان يتابع عمله ويصرف أموره برأيه منفردا ، إلا أن "نوويل" رأت أن المال لم يكن هدفه الأول . فقد كان دافعه هو الرغبة في أن يكون الأنجح في مجال عمله الذي كان يحبه جدا لحسن حظه . سرت أن أتيحت لها فرصة لأن ترى "برودي" داخل حلبة السباق التي يمتلكها ، شعرت بأنها أقرب إليه الآن ، وقدرت كيف أن عمله كان جزءا لا يتجزأ منه .

سارا يدا في يدّ نحو المنزل ، وبعد أن اطمأنا على سلامة الطفلين وانشغالهما باللعب ، تمشيا حول بعض الأماكن هناك .

– " هناك صورة سلحفاة فوق باب الحظيرة " قالت "نوويل" أليس هذا شعارا غريبا لرجل تأتي موارده الرئيسية من أفراس سريعة ؟ "

ضحك "برودي" في خفوت .

– " لقد بدأ موضوع السلحفاة منذ وقت طويل . كنت قد حصلت لتوي على ترخيص العمل كمدرب للخيول . وأخذنا خمسة أفراس إلى الحلبات في تكساس . وقبل أن يبدأ السباق الأول بوقت قصير تبينت أنني لم أحضر غمامات الأفراس . أرسلت "بيلي" إلى عربة المهمات ليحضر بعضا منها فعاد إليّ بالزوج الوحيد المتاح . وكما يمكنك أن تستنتجي كانت كل واحدة منها تحمل صورة السلحفاة . وقد بدا لي ذلك وقتها وكأنه نذير سوء الحظ ، لكن "بيلي" أقنعني أن العاملين بصناعة الخيل في "تشيروكي" يعتقدون أن السلحفاة تعني شيئا مختلفا تماما . استعملنا هذه الغمامات وفاز أربعة من جيادنا بجوائز في ذلك السباق ، وأصبحت السلحفاة شعاري منذ ذلك اليوم .

– " هل تؤمن بالخرافات إذن ؟ "

– " لا ؛ ليس أكثر من أي مُربٍّ أو مدرب خيل . فمثلا لا يخطر بذهني أن ألقي قبعة على الفراش . ، لكن على عكس ما يفعله بعض الرياضيين كما سمعت لا أرتدي نفس زوج الجوارب في كل سباق . "

" لقد استرحت لأعرف ذلك . " قالت "نوويل" .

– " أود أن أطلعك على مكتبي . ولكنه الآن في حالة فوضى . يبدو أنني لن أنجح في مجال العمل المكتبي بعد الآن . هناك مؤسسة تتولى عني القيام بعملية المحاسبة السنوية ، ولكن عملية القيد بالدفاتر يجب أن تتم يوميا . وبعض الأوراق لم يقيد منذ مدة طويلة " .

شعرت ببعض الذنب إزاء ما قال . لقد قضى معها أوقاتا كان من الممكن أن يستغلها في أداء ذلك العمل .

– " قد يمكنني مساعدتك " قالت مقترحة .

نظر إليها وابتسم .

– " قد يمكنك في هذا المجال . لقد كدت أنسى أنك تعملين في مصرف . لن أجعلك تبدئين اليوم . لكن مع ذلك سأطلعك على المكتب " .

تبعته إلى أعلى درج خارج الحظيرة .

– " إنه هنا . عندما غزت الأوراق المنزل حولت هذه الشقة العلوية إلى مكتب " .

انتهت درجات السلم بمنصة صغيرة تطل على المزرعة وتتيح منظرا كاملا وواضحا لها .

– " لابد أنك تشعر كأمير إقطاعي عندما تقف في هذا المكان وتطل على ممتلكاتك " . قالت بلهجة ساخرة .

نظر إلى ما بعد الحظائر . إلى الحقول المترامية حولها وقال :

– " إني أعترف أنني أشعر بقدر من الفخار . عندما أفكر في البيئة التي جئنا منها أنا و"رايلي" ، يصعب علي أن أصدق أن كل هذا ملك لنا . ملكيتنا لهذا المكان هي الأمان الذي طالما افتقدناه . ربما من هنا كان الأمر على هذا القدر من الأهمية بالنسبة لي .

وضعت "نوويل" يدها على ذراعه قائلة :

– " إنه جميل جدا ومن حقك أن تفخر به . يمكنني أن أعتاد على هذا المكان بسهولة بالغة " . قالت بنبرة توسل في صوتها ودون أن تفكر حتى في كيف يمكن أن تفهم كلماتها .

عصر "برودي" يدها في كفه ولم يفته أن يفهم مغزى كلماتها :

– " ربما لو قضيت وقتا أقل في العناية بنفسي وأكثر في العمل بهذه الدفاتر اللعينة لما أصبحت في كل هذه الفوضى " .

فتح باب المكتب وأشار لها بالدخول قبله .

كانت حجرة المكتب تشغل كامل مساحة الحظيرة . تدلت على الجدار – أعلى مكتبين مكدسين بالأوراق – صور للمزرعة منذ مراحلها الأولى حتى حالتها الراهنة . وعلى الجدار الطولي الآخر كان صندوق الميداليات التذكارية – تضمه خزانة زجاجية – وقد امتلأ بالأوشحة والميداليات والكؤوس الفضية التي فاز بها في مرات السباق الاستقبالي السابقة وفي سباق الديربي .

وتناثرت صور " برودي" بين الفائزين وقد زينتهم الأزهار . رأته "نوويل"

عندما كان في أولى سنوات شبابه .

– " وهنا حيث أنتهي إذ أنام هنا نصف الوقت " . قال مشيرا إلى الطرف البعيد من تلك الحجرة المكتظ بالأثاث الذي يشير إلى كثرة الاستعمال : "هناك حمام صغير وهذه الأبواب المنطبقة تخفي مطبخا صغيرا أيضا "

– " يجب أن أعترف لك يا "برودي" أن زيارتي لهذا المكان قد تركت في نفسي انطباعا شيقا ، وعندما أفكر في أنني قد أطعمتك تلك الأطعمة العادية وقدمت لك المسليات المتواضعة أيضا بينما أنك أحد اقطاب صناعة الخيل .. "

قاطعها ضاحكا :

– " إنني لست كذلك . ليس بعد " .

نظرت إلى داخل الصندوق على تلك الميداليات العديدة :

– " لا تكن متواضعا هكذا . فهذه تنطق بإنجازاتك " .

– " لا يمكنني أن أقبل كل المديح لنفسي . "رايلي" وأنا فريق واحد متكامل . ربما أنه غير أهل للتعاون في الوقت الحاضر . لكنه قد أوتي غرائز عديدة فيما يتعلق بالخيل . وإن كانت غرائزه نحو النساء لم تكن صائبة مع الأسف . ومع ذلك فإني متفائل من جهته ، لأني معجب حقا بـ "دارسي ديورانت" ولي أمل في أنها الإنسانة التي سوف تقومه " .

– " لقد أساء "رايلي" إليها كثيرا " قالت "نوويل" " ولا أعتقد أنها تهتم الآن بهذه العلاقة " .

– " لا ألومها فهو عنيد جدا أحيانا . وعندما يعود من ذلك المجون الذي يحتويه الآن ، فلدي ما سوف أقوله له " .

– " لا تكن قاسيا جدا عليه يا "برودي" . أنت كل ماله " .

– "أعلم " . قال وقد أفصحت نبرة في صوته عن حجم مسؤوليته تجاهه " . والآن يا سيدتي الجميلة لدي ما أريد أن أقوله لك "

– " لي ؟ "

جذبها إليه وألقى بنفسه فوق الأريكة جاعلا إياها من فوقه . كان يائسا من شدة رغبته فيها ، ويكاد يجن طلبا لاكتشاف جميع أسرار جسدها ، لكن فوق كل شيء أراد أن ينسى العالم الخارجي كلية . ويتفرغ للتمتع بها . شعرت

بقلبه يثب في جنون تحت يدها التي فوق صدره . كان متحيرا من أين يبدأ ليخبرها بما أصبحت تعني له .

هل يجب أن يفعل ؟ كيف يطلب منها أن تشاركه حياته بهذا الأسلوب شديد الانفعال بينما كانت تتطلع إلى أمان مستقبل مضمون ؟ هل يمكن أن تكون على استعداد لأن تحاول الاعتياد على حياة تدور حول حلبات السباق ؟ هل يمكن أن تتعلم أن تحبه وترضى بوجوده بعيدا عنها ثلاثة أرباع العام ؟

جذبها إليه والتقت شفتاه بشفتيها . ضاع معنى هذه الأسئلة وأهميتها .

ما أصبح يهم الآن هو كيف جعل كل منهما الطرف الآخر يشعر . هي واقعية ودافئة ومحبة . أعطته الإحساس بالأسرة والمستقبل .هي الاستقرار والحبيبة التي يعود إليها بعد موسم آخر من الأحلام . هي المرأة التي ظن أنه لن يجدها أبدا .

وقد أوجد انطباق شفاههما والاستجابة الشغوف لجسديهما تبادلا عاطفيا من نوع لم تعهده "نوويل" من قبل . كانت تود أن تعطيه جسدها بكل ما تحمل العبارة من معان .إنها على استعداد لأن تمنح "برودي" أي شيء وكل شيء . وأن تكشف له عن كل الأسرار وتشاركه كل أمل لو استطاع أن يحتاج إليها بقدر ما تحتاج هي إليه .

– " نوويل" ! لدي ما يجب أن أقوله لك : وإذ لم يكن واثقا كيف يبدأ قرر أن يخبرها بما لديه فورا ، كما فعل يوم لقائهما الأول بحديقة الحيوان . لكن الفرصة لم تسنح . فقد بدد رنين الهاتف حلاوة اللحظة .

– " توقيت غريب جدا " قال متمتما بينما وقف ليجيبه . استند إلى حافة المكتب والتقط السماعة . "سوير" قال في غير صبر .

ثم لاحظت "نوويل" ملامح وجهه تتحول من الاضطراب إلى الغضب .

– " اللعنة يا "رايلي" ! الجميع قلقون عليك هنا ، وأنت لا تفكر إلا في نفسك ؟ أين أنت على أي حال ؟ " أصغى في هدوء برهة ثم علت الدهشة وجهه . "تقول أين ؟ "

تصورت "نوويل" ما كان ممكنا أن يحدث لـ "رايلي" . ربما يكون مصابا بأحد المستشفيات .

قلب "برودي" شعره بأصابع يده بحركة مألوفة .

- " بالله عليك يا "رايلي" . ألا تعلم ما أنت واضعني فيه الآن ؟ حسنا . انتهينا. قلت حسنا . اطمئن . أنا قادم إليك ".

وقذف بالسماعة إلى موضعها .

- " "رايلي" في السجن ".

- " في السجن ؟ بأية تهمة ؟ "

- " سوء سلوك . أسرف في الشراب فأخل بالنظام العام ".

- " أين ؟ "

- " في "ساند سبرنجز" . ركب سيارته إلى هناك مع بعض رفاق التقى بهم في أحد تلك الأماكن ، إنه على بعد ثلاث ساعات بالسيارة ، لكنني مضطر إلى الذهاب ودفع الكفالة حتى يطلق سراحه ".

- " إني أقدر الظرف "، كرهت "نوويل" نفسها لأنها حقدت على "رايلي" لاستئثاره بوقت "برودي" ولكن المفروض أن هذا اليوم كان لها . فلن تراه حتى بعد يوم عيد العمال . والآن لن تكون لهما فرصة الوداع المفروض .

عاد إليها على الأريكة وضمها بين ذراعيه :

- " أسف بشأن اليوم . كنت أريده أن يكون غير عادي ".

- " لقد كان كذلك " قالت مؤكدة له .

- " أنت لاتعلمين ما أعني . لدي خطط مهمة . لم يكن من المفروض أن ينتهي اليوم هذه النهاية ".

- " قد يكون من الأفضل هكذا . لو كانت الأشياء "غير عادية" أكثر من ذلك ربما خرجت من نطاق سيطرتنا عليها ". قالت مقترحة .

قبلها بحرارة .

- " هذا بالضبط ما كان يدور بذهني ".

- " ألا يجب أن تبدأ ؟ "

وقف في وسط الحجرة يرسم في ذهنه خط السير الذي يجب أن يتخذه .

- " سأضطر إلى تأجيل رحلتي إلى "رويدوسو" وأستأجر سيارة أستقلها إلى "ساند سبرنجز" ثم أطير من "تولسا" غدا ".

- " سأقوم بإجراء الاتصالات اللازمة بينما تعد حقيبتك " عرضت عليه فقبلها ثانية شاكرا لها ذلك .

- " شكرا . إني بحاجة إلى امرأة فاضلة ".

- " أم كاتبة حسابات ؟ " سألت وهي تتهادى مبتعدة عنه . ثم أفاقت فجأة . تنبهت إلى أنه سوف ينصرف بعيدا عنها خلال دقائق قليلة .

أغلق باب حجرة المكتب أخيرا والتفت إليها قائلا :

- " كيف أستطيع أن أعيش دونك ؟ "

- " كما عشت دائما " قالت برقة وهي تجذبه خلفها أثناء هبوطهما الدرج .

وبينما كانا يخترقان الفناء رأت "داستي" و"داني" لا يزالان يتسلقان الأشجار مع صديقيهما .

- " كفى تسلقا " قالت محذرة " هذه الأشجار مرتفعة جدا "

- " لكن يا أمي ، إنه دوري كي أكون العمدة . علي أن أمسك باللصوص " قال "داني" .

- " يمكنك مطاردتهم والقبض عليهم على الأرض ". قالت بمنتهى العزم والحدة.

- " أي هيك " ، قال "داستي" معترضا وهو يحمل بندقية ويعدو خلف الولدين الآخرين .

- " إنك امرأة قاسية يا "مسز تشاندلر" " قال "برودي" متهكما

- " الأمومة مسؤولية عسيرة " قالت مذكرة إياه .

سارا معا إلى شاحنته ، لم يكن "برودي" راضيا عن مغادرتها .

- " أنت تقدرين سبب اضطراري إلى مفارقتك الآن . أليس كذلك ؟ "

- " بلي ، اذهب الآن . سآخذ الطفلين حالا ، ونودع "بيلي" و"واندا" " قالت وهي تجذب رأسه إليها ، فرأت عينيه مغمضتين وشفتيه تنفرجان مسبقا .

قبلها برفق وهو يضغط فمها بفمه في قبلة مثيرة فأنّت شوقا ، عندما ابتعد عنها قليلا قال :

- " هناك أمر مهم يجب أن نناقشه "

- " هناك الكثير الذي يجب أن نناقشه ، لكني أعتقد أن الوقت غير مناسب ".

ودوت صرخة تتجمد لها الدماء في العروق . صرخة مزقت هدوء الصباح .

www.elromancia.com

التفت "برودي" و"نوويل" وقفزا كشخص واحد إلى الأشجار ، حيث كان الأطفال يلعبون . وجدا "داني" ملقى على العشب ينشج ويصرخ .

– " ما الذي حدث يا "داستي" ؟ " سألت "نوويل" وقلبها خفق منذ الصرخة الأولى ، فقد توقعت أن ترى طفلها فاقد الوعي . لكن بكاءه الهستيري طمأنها بعض الشيء فانحنت فوقه تبحث عن الجراح .

انفجر "داستي" باكيا .

– " كنا نلعب دور العمدة وسقط "داني" . أطلقت عليه النار حتى سقط من فوق الشجرة "

وقف "تومي" و"تيري" يراقبان في فضول ثم قالا :

– " إنه مجرد حادث يا "برودي" لم يقصد "داستي" أن يؤذيه حقيقة " .

– " أعلم " أجاب "برودي" وحرك "داني" بحنان فصرخ الطفل لشدة الألم .

– " م م م ذراعي يؤلمني " قال وهو ينشج . على بعد بوصتين من المعصم الصغير كان كسر بعظم الزند المستقيم المقابل للإبهام .

– " إنه مكسور " . قال "برودي" بعد أن فحص ذراع الطفل . ثم التفت نحو "تومي" و"تيري" قائلا : " لماذا لا تسرعان إلى داخل المنزل وتأتياني بوسادة . نحن بحاجة إلى ما نريح ذراع الطفل عليه حتى نأخذه إلى المستشفى " .

عاد الطفلان بالمطلوب بعد دقائق معدودات . وحضر معهما "بيلي" و"واندا" عارضين خدماتهما .

وصرخ "داني" ثانية عندما حمله "برودي" من ذراعيه .

– " لنأخذه إلى مستشفى الأطفال فهي الأقرب منا " .

وبمجرد أن استقر الطفل في مقعده بالسيارة في وضع مريح بقدر المستطاع التفت "نوويل" إلى "برودي" قائلة :

– " سوف آخذه إلى المستشفى . أما أنت فعليك أن تذهب إلى "ساند سبرنجز" هل تذكر ؟ "

صنعق "برودي" لهذا الاقتراح

– " هذا يمكن أن ينتظر . أريد أن أطمئن أولا على "داني" . ألا تريدينني أن أجيء ؟ "

– " إذا أردت أنت ذلك فقط . اتبعنا بشاحنتك حتى يمكنك المغادرة من المستشفى " . لاحظت "نوويل" كم أن كلماتها الجافة قد آلمته . ولكنها لم تكن

بحالة تسمح لها بأن تهتم بذلك . فقد كانت قلقة جدا على "داني" .

وأثناء قيادتها السيارة متجهة إلى المستشفى خففت من آلام الطفلين بأن حافظت على هدوئهما طوال المسافة . أخذت تذكر نفسها بأنه منذ اللحظة التي يولد فيها الأطفال ، يجب أن تستعد الأمهات لمثل هذه الأحداث المؤسفة . وأن هذه الأحداث عادية جدا في سن الطفولة ، ويجب تدريب الأمهات على استقبالها وتقبلها .

إلا أن ذلك لم يخفف من حدة توترها على مدى هذه المسافة الطويلة . ولم يحد من نشجات "داني" ولا من اعتذارات "داستي" الهائجة . أما هي فقد عظم جرمها في نظرها . فقد وقع الحادث عندما كان اهتمامها موجها إلى "برودي" . فكان من الخطأ أن تكف عن يقظتها في متابعة الطفلين حتى من أجل أن تكون معه على انفراد .

كان من المفروض أن تشعر بالسلوى لأن "برودي" سيكون إلى جوارها بالمستشفى . لكن هيهات ! لقد كانت على استعداد لأن تمنحه أي شيء يريده ، ولكنها اكتشفت الآن أنها لا تزال في ذيل قائمة أفضلياته . لو تأخر سقوط "داني" مدة خمس دقائق لكان "برودي" قد انصرف قاصدا "ساند سبرنجز" أو "رويدوسو" أو أيا من مائة مكان آخر يفضلها على وجوده بالبيت .

بعد ما رأت "نوويل" "سيمارون" تعجبت كيف أن "برودي" قبل أن يستبدل ذلك البيت الهائل ، وتلك البيئة الهادئة النقية بحجرات الموتيلات . هل كان ذلك بسبب ماضيه ؟ هل كان يشعر بالغربة في البيت الذي شيده ، لأنه شعر فيما مضى أنه بدون مأوى ؟

قد لا تجد الإجابة أبدا . فلم يرغب "برودي" في أن يشركها في مشاكله أيا كانت . لذلك فلتتركه يحل مشاكله بنفسه . وفي تلك الأثناء لن تكون عاقلة لو فكرت في الاعتماد عليه . لن يمكنها الاعتماد على وجوده إلى جانبها إذا ما احتاجت إليه .

وبمجرد أن استقبلت بطفلها المصاب في عيادة الحوادث بقي "برودي" و"داستي" بقاعة الانتظار . هدأت صرخات "داني" مؤقتا ثم ارتفعت إلى حد يزلزل الجدران . ثم صمت بعد لحظات .

– " لقد هدأ الآن . أليس كذلك يا "برودي" ؟ " سأل "داستي" بقلق شديد " لم يمت "داني" أليس كذلك ؟ " قال ذلك وهو يتطلع إلى إجابة مطمئنة من "برودي" .

www.elromancia.com

كان وجهه قذرا ، وحفرت الدموع عليه آثار سريانها .
اعتصر قلب "برودي" فجذب الطفل في حنان وحمله في حجره وعانقه بشدة .
– " لا . بالتأكيد . ربما أعطوه دواء مسكنا فهدأت آلامه ".
– " أراهن أننا سنتعرض للمتاعب بسبب تسلق تلك الشجرة . أليس كذلك ؟ "
– " وماذا تظن ؟ "
قال "داستي" وهو ينظر إلى أسفل نحو طرف حذائه :
– " أظن نعم ".
قدمت موظفة الاستقبال إلى "داستي" بعض الورق والأقلام الملونة ليتسلى بها ، جلس يرسم صورة من أجل أخيه عندما حضرت "نوويل" إلى قاعة الانتظار.
هب "برودي" واقفا :
– " هل هو بخير ؟ "
– " إنه نائم الآن . لقد حقنوه بمسكن حتى ينام . لقد أطلعني الطبيب على صورة الأشعة . ظهر بها كسر طفيف من المفروض أن يلتئم في وقت قصير ".
وشرحت "نوويل" أنه عندما يحضر إخصائي جراحة العظام ليفحص "داني" سيضع جبيرة مؤقتة على العظمة المكسورة حتى يهدأ الورم ثم بعد أسبوع ، أو حوالي ذلك سيضع ذراعه في جبيرة من الجص .
– " لقد مضى أكثر من ساعة الآن ". قال "برودي" بقلق :
– " أتقصدين أن تقولي : إن إخصائي العظام لم يفحصه بعد ؟ "
وبسبب الضغط العصبي الذي تعرضت له "نوويل" على مدى الساعتين السابقتين تحدثت بحدة :
– " المستشفى مزدحم ، ولم يكن "داني" هو الطفل الوحيد الذي أصيب اليوم ". في المهجع المجاور لـ "داني" عمل فريق الأطباء باستماتة لإنقاذ حياة ضحية حادث سيارة صغير ، حتى إن "نوويل" أخذت تتأمل . كم كانت حياة الصغار هشة جدا . مكانها يجب أن يكون بين أطفالها الذين يحتاجون إليها وليس مع ذلك الرجل الذي ليس بحاجة إليها .
– " إذا كنت في عجلة من أمرك يا "برودي" يمكنك أن تذهب . فأنا واثقة من أنه

يمكنني التصرف من هذا المكان ".
رأى أنها قد أساءت فهمه .
– " لست قلقا بشأن الرحيل . كنت أفكر فقط في أن "داني" يرقد هناك منتظرا من يفحصه ".
– " هل لهذا السبب نظرت إلى ساعتك ست مرات خلال الدقائق الخمس الماضية ؟ " وإن احتفظت بصوتها خفيضا إلا أن مشاعرها كانت قد احتدت جدا .
– " نوويل " ! " قال ضارعا .
– " رايلي" أخوك . اذهب إليه إذاً . الدم أكثف من الماء وكل تلك الأشياء ".
– " نوويل" لماذا تقولين ذلك ؟ " لم يفهم "برودي" سبب غضبها الشديد . فقد كانت ملاحظته غاية في البراءة . كما أنه كان في مثل قلقها على "داني" .
– " اذهب فقط ". شعرت بأنها على حافة الانخراط في البكاء .أوصدت في وجهه الأبواب ، ولم يكن يعلم أي جرم قد ارتكب .
– " هل تلومينني على ما حدث ؟ هل هذا هو السبب ؟ صدقيني ، إن شعوري بالذنب إزاء ذلك عظيم . ولو لم أخذهما إلى "فرونتير سيتي" لما حاولا أن يقلدا ذلك العرض ".
– " إنه مجرد حادث ، وليس نتيجة خطأ أحد ".
مد يده محاولا لمسها ولكنها تحاشت ذلك . فأضاف :
– " خطأ ما قد وقع . إني أشعر بذلك . كان يجب أن أراقبهما عن قرب ، أو أن أكون إلى جواره حتى أمسك به عندما سقط ولكني لم أكن والدا أبدا . وينقصني أن أتعلم الكثير عن ذلك ".
– " الطفلان مسؤوليتي أنا لا مسؤوليتك . وإن كان هناك من يجب أن يشعر بالذنب فهو أنا . لا أستطيع أن أقيهما دائما مما يترتب على تصرفاتهما . كذلك لا يمكنني أن أتوقع منهما دائما توخي الحكمة . إنهما ليسا بالغين ".
– " ماذا يعني ذلك ؟ "
– " يعني أنه كما يجب على الأطفال أن يتسلقوا الاشجار يجب على الرجال أن يتخذوا قراراتهم بأنفسهم . كي يكبروا يجب أن يحاولوا . ربما يفشلون لكن

عليهم أن يتعلموا من خبراتهم حتى يكون الاختيار في النهاية هو اختيارهم . كل ما يمكننا أن نفعله لهم هو أن نعلمهم المخاطر التي تنطوي عليها مغامراتهم".

- "نوويل" ... "

- " إنك لم تمنح "رايلي" هذا الاختيار قط " .

وقف "برودي" متحيرا يمرر أصابعه في شعره وقال :

- " اعتقدت أننا كنا نتحدث عن "داني" فكيف زج بـ "رايلي" في الموضوع ؟ "

- " إنك تتخذ من أخيك عذرا لئلا تحب غيره . واضح أنك تعتقد أن الحب شيء محدود يجب أن تقتر في العطاء منه . إنك تغدق على "رايلي" كل التدليل ، ولا تبقي منه شيئا لسواه " .

لم يكن "برودي" مستعدا لتلك المحادثة ، فقد كان في وقت سابق من هذا الصباح على وشك أن يصارحها بمدى حبه لها ولوليها . كان سيطلب منها أن تساعده على أن يتعرف على الطريقة المثلى التي يجب أن يتعامل بها إزاء واجباته ومسؤولياته الجديدة . كانت كلماتها قاسية ، وخلا صوتها من جميع احتمالات المغفرة إلى حد لم يستطع معه أن يقول شيئا .

- " أرى أنني قد أوضحت وجهة نظري " . ثم التفتت إلى "داستي" الذي كان مشغولا جدا ، يلون ما رسم حتى أنه لم يلاحظ ما دار بينهما .

- " "نوويل" ! سواء تعلمين أم لا تعلمين ، أنت وولداك مهمون جدا عندي . "نوويل" لا تغادري " .

- " وفقا لذاكرتي أنت الشخص الذي يغادر دائما " . كانت كلماتها جارحة "أعتقد أنني قد اكتشفت أخيرا الخطأ بيننا . إنك راضٍ بأسلوب حياتك هذا الذي لا يكفل لي مكانا فيها " .

- " هذا ليس صحيحا " .

أرادت "نوويل" أن تصدقه . لكن الآن وقد علمت لماذا كان عمله على هذا القدر من الأهمية بالنسبة له ، لن تستطيع أبدا أن تطالبه بأن يتخلى عنه .

- " لا أبالي بأن يكون لي مجرد مكان في حياتك يا "برودي" . لن أرضى بما هو أقل من المكان الأول فيها . آسفة إذا بدا لك ذلك أنانية ، لكن هذا هو

إحساسي " .

شعر بأنها تضيع منه ، ولكنه لم يعلم ماذا يقول . كانت على حق . كانت مستحقة لأن يتقدم مكانها كل شيء سواه . ولم يكن في مقدوره أن يعطيها ذلك فورا . ربما يحتاج إلى بعض الوقت في "رويدوسو" . ربما لو شغل تماما بالاستعدادات اللازمة للسباق ، يمكنه أن يكتشف بعد ذلك ما يجب أن يفعله .

- " اذهب إلى "رايلي" يا "برودي" . اذهب إلى خيلك . هذا ما تريده " .

كان من الأفضل أن تصرفه عنها ، بدلا من أن تمزقه إربا لا تفيد أحدا .

وقف ثم استدار حاملا قبعته وقال :

- " أصبحت لا أدري ما الذي أريد أن أفعله "

- " لقد اتخذت قرارك منذ مدة طويلة " . لم تستطع أن تواجه نظرته المتألمة . حاربت رغبتها في أن تمسك به وتخفف ألمه في الوقت الذي كان "داني" يحتاج إلى عنايتها .

- " اذهب " .

أراد أن يبقى . أن يضمها بين ذراعيه ولا يدعها أبدا . ولكنه اضطر إلى أن يذهب . لم تكن تريد ، أو حتى تحتاج إلى ذلك القدر الضئيل الذي بمقدوره أن يقدمه لها .

- " هل يمكنني أن أقول إلى اللقاء لـ "داني" ؟ "

- " إنه نائم الآن . وسوف أخبره بأنك فعلت " .

التفت "برودي" إلى "داستي" الذي كان قد انتهى من إعداد الصورة الملونة

- " أعتقد أن هذا وداع يا رفيقي " قال للطفل

- " أرجو أن تفوز جميع أفراسك يا "برودي" .. خذ . " قال "داستي" وهو يدفع بالورقة إلى يدي "برودي" "كنت أرسمها من أجل "داني" لكن خذها لك ، وسأرسم له صورة أخرى غيرها " .

أحس "برودي" بثقل في حلقه .

- " شكرا يا رفيقي . سآخذها معي إلى نيو مكسيكو"

ودون أن يعي ما يفعل انحنى "برودي" نحو "نوويل" سائلا :

- " هل أراك عندما أعود ؟ " كان يخشى أن يسأل هذا السؤال ولكنه فعل .

www.elromancia.com

– " لا أعتقد أن ذلك سيكون من الحكمة يا "برودي" . سيكون صعبا على جميع الأطراف المعنية . خاصة الأولاد . أظن أحيانا أن غيابك عنهما سيؤثر عليهما أكثر من غياب والدهما ".

– " يمكننا أن نتدبر الأمر . أليس كذلك ؟ "

– " نعم " كانت "نوويل" ترتعد تماما ومع ذلك تحدثت بحزم . "أعلم كم تكره الارتباط بوعود . لكن هل تعدني شيئا واحدا ؟ "

– " ما هو ؟ " أجاب مسرعا . فقد كان على استعداد في هذه اللحظة – وقد تطورت الأمور على هذا النحو – أن يعدها بأي شيء تطلبه .

– " ألا تحاول أن تراني ، أو تتصل بنا هاتفيا . ففي مثل هذه الظروف أعتقد أن قطع العلاقات نهائيا هو الحل الأمثل ".

– " "نوويل" ! مستحيل أن تعني ما تقولين ! ".

– " يمكنك أن تعد بهذا القدر . أليس كذلك ؟ " قالت في يأس هامس ، بينما امتلأت عيناها بدموع لم تشأ أن يراها .

– " أعد " ، ووعد وإن لم يكن واثقا من أنه يستطيع أن يبر بوعده .

– " لا أريد أن ننتهي هكذا "

– " ولا يمكنني مواصلة أداء مشاهد الوداع حتى نرضخ للأسلوب الذي تريده أنت ".

– " أعني ... "

– " إلى اللقاء يا برودي " .

أدار ظهره دون ان ينطق بكلمة أخرى . وعندما انفتحت الأبواب الأوتوماتيكية أمامه همست اسمه برقة :

– "برودي" ؟

واستدار مسرعا .

– " نعم ؟ " ولم يكن يعلم أبدا أن مثل هذه الهمسة المختصرة يمكن أن تغرس بداخله ذلك القدر من الأمل .

– " لا تراهن ثانية على ما هو بعيد المنال " . وإذ قالت ذلك التقطت "داستي" وأسرعت لتكون إلى جوار "داني" . كان لابد لها أن تسرع قبل أن تتساقط من عينيها تلك الدموع المريرة ... قبل أن تعدو باكية خلفه .

الفصل الثاني عشر

– "أعتقد أن كلينا قد خسرت راعي بقرها " قالت "دارسي" مواسية . "

– " ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة " . قالت "نوويل" بصوت محتبس .

– " لو كان الأمر كذلك لماذا تصعبينه إلى هذا الحد ؟ "

كان سؤال "دارسي" بليغا . سبق أن أخبرت "نوويل" بخطتها وبكيا معا بسببها. قد تكون هذه آخر مرة تتحدثان فيها معا قبل فراق قد يطول . لذا كانتا شغوفتين بأن تبقيا معا ما أمكنهما .

جلست الصديقتان بحجرة المعيشة بمنزل "نوويل" وأمامهما زجاجة من المياه المعدنية. كان الوقت متأخرا والبيت هادئا وانطلقت أغنية "رابسودي إن بلو" الحزينة من الاستريو لتتناغم مع حالهما تلك الليلة .

كانت "دارسي" تنتظر ومعها كيس كبير من الهامبورجر عندما عادت "نوويل" من المستشفى . أطعما الطفلين ووضعاهما في فراشيهما مبكرا . واستجاب "داني" بسرعة لتأثير المسكن الذي صرفته له المستشفى . كما كان "داستي" مجهدا بسبب أحداث ذلك اليوم الطويل .

ناقشت الصديقتان موضوع "برودي" و"رايلي" على مدى فترة طويلة وكانتا في حالة ألم عاطفي .

– " ليتك لا ترحلين " قالت "نوويل" لـ "دارسي" .

– " لا تبدئي الكلام هكذا ، وإلا جعلتني أضعف . لم تكن لدي الشجاعة لأقدم على ذلك لو لا إصرار أمي ".

– " هل أنت واثقة من أنها ستكون بخير ؟ وأنت بعيدة عنها في "ناشفيل" ؟ "

– " كورد" سيسهر عليها . وستحضر خالتي "بيرتي" الأسبوع القادم لتعيش معها . هي أيضا أرملة . وسوف تستمتعان بهذه الصحبة ".

رمقت "نوويل" صديقتها بإعجاب .

– " لقد تحدثت عن المغامرة ، وعن أن تجدي نفسك ، وعن أن تبلغي مكانة

مرموقة عن طريق الغناء . لكن حان الوقت لأن نواجه أنفسنا بالحقيقة . إنك تغادرين بسبب "رايلي" أليس كذلك ؟"

أومأت قائلة :

- " عندما تخلى "رايلي" عني ذلك الصباح بعد كل المتعة التي كانت لنا معا في الليلة السابقة ، أدركت أن أمامي أحد أمرين : إما أن أرحل فورا ، أو أن أدفع إلى الجنون ، وعندما عرضت الأمر على أمي شجعتني على الرحيل إلى "ناشفيل" ".

- " لابد وأن يكون ذلك صعبا في ضوء علاقتكما الوثيقة" . ألصقت "دارسي" قدميها العاريتين بجسدها واحتضنت ركبتيها .

- " كاد قلبي ينفطر عندما بدأت تبكي وتتحدث عن والدي . فكما ترين فإن الاعتياد على تلك المشروبات لا يؤذي الضحية فقط . أمي تحب "رايلي" إلا أنها تريد أن تجنبني ما عانته ".

ربتت "نوويل" كتف صديقتها قائلة :

- ... أنا مقدرة عذرك في الرحيل . إنه مجرد أنني سوف أفتقدك إلى حد بعيد." شعرت بالدموع تتدفق ثانية ولكنها كبتتها . كانت تبدو وكأنها قد بكت عدة ساعات متصلة . أولا على فراق "برودي" ثم على حال "دارسي" و"رايلي" .

عندما قصت على صديقتها المشهد الذي حدث في المستشفى حاولت "دارسي" مواساتها .

- " "برودي" و"رايلي" متشابهان في عدة أمور . قد يكون ذلك راجعا إلى ما عانياه في طفولتهما . "رايلي" يلجأ إلى تلك المشروبات ليتحمل ويخفف آلامه . "برودي" يلجأ إلى العمل . يلجآن إلى أمرين مختلفين تماما ليحققا هدفا واحداً."

كانت "نوويل" تعلم أن "دارسي" صائبة الرأي . لقد افتقدت "برودي" فعلا ، ولكنها شعرت أن ذلك هو التصرف السليم .

- " أعتقد أنهما بحاجة إلى ما هو أكبر من كلينا ليتبينا مدى تحطيمهما لذاتيهما ".

ظلتا تتحادثان حتى الساعة الثانية صباحا عن الأوقات السعيدة ، والأوقات

الحزينة ، كل ما وقع بينهما من أوقات أخرى . وبعد أن انصرفت "دارسي" استعدت "نوويل" لتأوي الى فراشها . كانت منهكة القوى ، لكنها كانت في حالة أفضل . بدا وكأنه بالحديث عن "برودي" بدأت عملية الشفاء بطريقة ما . ربما بدأت ولكنها لن تكف عن التفكير فيه قبل مضي فترة طويلة . وستكون الفترة أطول بكثير حتى تكف عن أن تحبه .

ودعت "دارسي" عند رحيلها إلى "ناشفيل" يوم السبت التالي الذي يسبق يوم عيد العمال - موعد السباق - بيومين فقط . كان الوداع دامعا ، إلا أن "دارسي" وعدت بالاتصال هاتفيا بمجرد الاستقرار في سكن مناسب .

أما "نوويل" فلم تكن في حالة تسمح لها بالعمل . حصلت على إجازتها لمدة أسبوعين في وقت مبكر حتى تبقى مع "داني" في المنزل . لن تكون هناك رحلات إلى البحيرة هذا الصيف . يمكن إنفاق بعض النقود المدخرة في حصالة الإجازة على الترفيه عن الطفلين وتسليتهما ، ويذهب الباقي إلى سداد أقساط التأمين . لم تتصور أن علاج مثل هذه العظمة الصغيرة يتكلف .. هذا القدر .

وفي "برودي" بوعده . لم يتصل . إلا أن "جلوري روبرت" زارتهم في أحد الأيام ومعها كثير من الكتب المصورة واللعب والخيل البلاستيك بزعم الاستفسار عن صحة "داني" .

ظنت "نوويل" أن تلك الزيارة كانت بتوجيه من "برودي" لأن "جلوري" قالت قبل رحيلها :

- " أعلم أن هذا ليس من شأني . لكن ما الخطب ؟ لقد اتهمت بالتطفل دائما . هل افترقت عن "برودي" ؟"

- " أسلوبك هذا مُسِلٌ جدا . ومع ذلك . نعم ".

- " إننا جميعا قلقون عليه . لقد اتصل والدي به ليعرف كيف تسير الأمور بشأن السباق وقال : إن صوت "برودي" يدل على أنه لم يكن بخير . أعتقد أنه يتألم بشدة . ليس من خصال أخي الأكبر أن يدع أي شيء يعوق طريق فوزه ".

- " أسفة لسماع ذلك ". قالت "نوويل" برقة "أعلم كم يعني الفوز له ".

- " إنه لا يعني حتى نصف ما تعنين له أنت وهذان العفريتان الصغيران ". قالت "جلوري" بثقة .

– " أنا لا أتفق معك في ذلك . حتى لوكان رأيك صائبا فهذا من شأنه أن يجعل الأمور أكثر استحالة ".

– " حاولي أن تفهمي يا "نوويل" . كنت صغيرة جدا عندما جاء "برودي" و"رايلي" ليعيشا معنا . كان "برودي" يبدو لي كبيرا جدا . لم يبك ولم يظهر مشاعره قط . لم يتصرف كصبي صغير أبدا . عمل أكثر مما توقع منه أي إنسان . وكان يختفي خجلا من الاهتمام به .

– " ولكنه ليس خجولا الآن بالتأكيد " قالت "نوويل" .

– " لا . إنه ليس كذلك . قد يكون مبالغا في تعويض ذلك على أي حال ".

– " "برودي" هو أكثر من عرفتهم اكتفاء ذاتيا ".

– " آه . لا . هذا هو موطن خطئك يا "نوويل" . "برودي" له احتياجاته ، لكنه ماهر في إنكارها . في إحدى الليالي عقب انقضاء شهر منذ مجيئهما ليعيشا معنا . سمعته يبكي في حجرته . كان يظن أن الجميع قد استغرقوا في النوم . وإذ كنت فضولية صغيرة خالية الذهن من أية شكوك ، أو وساوس دخلت إلى حجرته وأردت أن أعرف سبب بكائه .

سألته هل لا يحب أن يعيش معنا ؟ أم أنه لا يحبني وأبي وأمي ؟ ألم يكن سعيدا بالطعام ؟ وماذا ؟ كان في العاشرة أو الحادية عشرة من عمره وقتئذ ولكنه شعر بأنه كبير جدا على أن يضبط باكيا . فتظاهر بالخشونة فورا وأعاد القناع إلى وجهه . قال لي : إنه يحبنا جدا ، وإن تلك كانت المشكلة أننا كنا طيبين جدا معه. وإننا إن عاجلا أو آجلا سوف نكتشف بأننا نضيع وقتنا على مخلوق عديم القيمة ".

– " وكيف لأي طفل حتى وإن كانت له حياة "برودي" الأولى أن ينقص من قدر نفسه إلى هذا الحد ؟ " سألت "نوويل" .

– " إنه شيء مقلق أليس كذلك ؟ لم أكن إلا طفلة صغيرة ولكني قلت : إن ذلك كان أغرب شيء سمعته . بدأ يبكي ثانية ثم فجأة تكلم . تكلم فعلا للمرة الأولى. قال : إن أباه قد أخبره بأنه لن يكون إلا خاسرا على طول المدى . وإنه لن يساوي شيئا على الإطلاق ".

– " ومازال "برودي" يحاول أن يثبت عكس ما قاله والده ؟ حتى الآن وبعد كل

هذا النجاح ؟ "

– " هذا ما أعتقده ".

– " وعندما لم أقبل ما عرضه أكدت مشاعره بعدم الأمان ".

– " هذا ما أرى . إنه يعتقد أنه لا يستحقك وليس جديرا بحبك . مع أن "برودي" لديه الكثير ليعطيه امرأته . وإن كان غير مدرك ذلك . كنت أمل أن تكوني أنت قد أدركته ".

مضت "جلوري" نحو الباب

– " لن يسر بزيارتي هذه لك . ولكني جئتك لأقول لك : إنه يجب ألا تدعا أي شيء يمكن أن يفرق بينكما ".

شغل ما كشفت عنه "جلوري" أفكار "نوويل" على مدى الأيام الثلاثة التالية.

اصطحبت الطفلين يوم عيد العمال في رحلة إلى "بحيرة هفنر" . كانت ذراع "داني" قد التأمت تماما بحيث إنه أخذ يلهو ويلعب فوق العشب وكأن شيئا لم يحدث إلا أنه كان يستغل ذراعه كلما أراد قليلا من العناية الزائدة .

تحدث التوءمان عن "برودي" كثيرا كالمعتاد حتى أن "نوويل" كانت تتساءل كيف تخبرهما بأن ذلك الرجل الذي يحبانه بهذا القدر لن يصبح جزءا من حياتهما . كانا يترقبان عودته عقب انتهاء السباق . ولم تجد لديها الشجاعة لأن تخبرهما بغير ذلك .

وسرعان ما ملأ التزحلق فقفزا جالسين على الغطاء الذي افترشته أمهما . مسدت الشعر الحريري الذي التصق بجبهتيهما الساخنتين وأبعدته عن عيونهما .

– " اليوم يوجد شيء مهم . أليس كذلك ؟ سأل "داستي" .

– " إنه يوم عيد العمال . يوم خصص للاعتراف بجهود العاملين " قالت شارحة لهما .

– " أنا لا أعني ذلك . أعني سباق "برودي" ".

– " نعم اليوم غير عادي بالنسبة لـ "برودي" ".

– " سأكون سعيدا عندما يعود " . قال "داني" .

فقالت "نوويل" في محاولة لأن تجد الكلمات الملائمة التي تفهم بها طفليها أنهما لن يريا بطلهما ثانية :

- " "برودي" مشغول جدا الآن . "
- " نعلم . "
- " قد لا يجد الوقت ليأتي ويرانا كما اعتاد . "

لاحظ "داستي" خنفساء سوداء صغيرة تزحف عبر الغطاء الذي جلسوا عليه بذلك الاهتمام الذي يوليه الأطفال فقط لمثل تلك الأشياء التافهة من الطبيعة.

- " سيأتي . وهذا أفضل ما في "برودي" إنه . إنه .. " وأخذ يبحث بين المفردات المحدودة التي يعرفها عن الكلمة الصحيحة " إنه شخص يعتمد عليه .
- " نعم " . أضاف "داني" "حتى عندما يكون بعيدا عنا نعلم أنه يفكر فينا . ويشتري لنا الهدايا ويفكر في الأشياء التي تسعدنا . لا يهم كم يطول غيابه ، لأنه يجعل عودته عظيمة جدا . "

شعرت "نوويل" بألم الدموع يزحف الى عينيها . ضمت طفليها بشدة إلى صدرها وقبلتهما بصوت مسموع .

- " هل أصبحتما على هذا القدر من الحكمة في أربع سنوات فقط ؟ "
- " لأن لنا أما ذكية ؟ " قال "داستي" مقترحا بنظرة ماكرة وهو يتسلل نحو السلة ليتناول كعكة أخرى .

هزت رأسها قائلة :

- " لا أظن أني بكل هذا الذكاء . "
- " بالتأكيد أنت كذلك يا "ماما" . لقد قالت لنا "مس جونسون" إن الذكاء ليس ما تعلم " قال "داني" شارحا لها في بطء فأكمل "داستي" له العبارة :
- " لكن الذكاء هو أن تعمل بما تعلمه " .

وجاءت الدموع . وللمرة الأولى خلال أسبوع كامل لم تكن "نوويل" حزينة الآن . لقد كانت مخطئة وولداها على صواب . كان "برودي" شخصا يعتمد عليه . ويحترم وعوده . لم يكن أبدا مثل "ستيف" .

كل مرة عادها محت وقع الوداع وكل معانيه . كيف لم ينكشف لها ذلك قبلا؟ لقد أوضحت لها الحكمة البريئة لأطفال السنوات الأربع أن الرحيل لا يهم مادامت العودة قادمة .

لقد احتلت من قلب "ستيف" مكانة ثانوية فقد استولت أحلامه على المقام الأول منه . رفضت مواصلة العيش مع "ستيف" على هذا الأساس . وخشيت أن يكون تدريب الخيل وسباقها هو الحب الأول لـ "برودي" . ربما كان كذلك لكن يجب ألا يظل حبه الوحيد .

بدأت تجمع مهمات الرحلة استعدادا للعودة .

- " شكرا لكما . وأخبرا مدرستكما إني أشكرها أيضا " .
- " أيجب أن نرحل الآن ؟ "
- " نعم ، نريد أن نعود قبل موعد بدء إذاعة السباق في التليفزيون حتى نستطيع مشاهدته . أليس كذلك ؟ "

جلست متوترة الأعصاب خلال إذاعة برنامج ماقبل السباق ، وعندما بدأت إذاعة وقائع السباق سرت إذ رأت اثنتين من أفراس "برودي" معدتين للاشتراك هما "فينيجانز فانسي" ومحبوبته الأولى " أحاسيس الليل " كانت هذه الأخيرة قد ربحت سبعا من عشر جوائز خلال هذا العام وبذلك كانت المشترك البارز بين الأفراس المتكافئة المشتركة في السباق . وقد بلغت جائزة سباق الأربعمائة وأربعين هذا مليون دولار للفائز، نصيب المدرب منها عشرة في المائة .

لكن جائزة "برودي" لن تكون بالدولارات وأجزائها فحسب . علمت "نوويل" كم كان فوز هذا العام يعني له . ومع بدء اقتراب موعد بدء السباق زاد توترها إلى حد غير محتمل .

وتركزت عدسات التليفزيون على لقطة ظهر فيها "برودي" أثناء حديث مع أحد مندوبي الصحف . انتبهت "نوويل" جيدا حتى لا يفوتها شيء ، أصغت إليه وهو يشرح زمن التأهيل ، ويتحدث عن المميزات الاستثنائية للفرس "أحاسيس الليل" . لم تلتفت كثيرا إلى ما كان يقوله . كل ما شغل تفكيرها هو كم كان يبدو عليه الإجهاد وبأية سرعة كانت ابتسامته لعدسات التليفزيون تذبل عندما كان يعتقد أنها قد تحولت عنه .

قررت أن تتصل به هاتفيا لتفسر له أسباب انفعالها إلى ذلك الحد في المستشفى . كانت مدينة له بالاعتذار وترجو أن يمنحها فرصة أخرى . فإن فعل فسوف تمنحه من الحب ما يكفي شفاء جميع جروحه السابقة .

www.elromancia.com

وفازت "أحاسيس الليل" بسهولة في السباق الاستقبالي الأمريكي . إلا أن "برودي" لم تكن لديه الرغبة في الاحتفال بفوزها . كان اليوم حصاد شهور من العمل الشاق . ومن أجل هذا السباق طار ما يزيد على خمسة آلاف ميل . فقد كان الفوز هدفه الأول والأوحد . كان يعني له كل شيء . ولكن .. دون "نوويل" أصبح لا يعني شيئا .

دخل حجرته بالموتيل وألقى بقبعته فوق المكتب . فقد استغرقت لقاءاته مع مراسلي الصحف ومقدمي البرامج الرياضية والهواة وغيرهم من المهنئين بالفوز عدة ساعات . أقام صاحب الفرس "أحاسيس الليل" حفلا صاخبا بالفندق احتفالا بفوزها ، دعا "برودي" إليه . لم يكن يمكنه الاعتذار عن عدم حضور الحفل ولكنه انسحب عائدا إلى حجرته بالموتيل عند أول فرصة أتيحت لذلك .

لم يكن مهيأ لأن يحتفل . جلس على فراشه يفحص ما كان "داستي" قد رسمه ، واحتفظ هو به على منضدة قريبة من الفراش . ملأته الجياد والأشخاص - التي رسمها "داستي" بسذاجة - بالحنين إلى العودة .

إذا عاد هل يجد "نوويل" والطفلين في انتظاره ؟ نظر إلى الهاتف . هل يخل بوعده ويتصل بها . لكن مادام لم يتغير شيء فماذا يمكنه أن يقول لها ؟

قضى الأسبوع الماضي يستعرض الاحتمالات والحلول . يمكنه اعتزال نشاطه في مجال تدريب الخيل ، إلا أنه لم يعرف عملا غيره ، وبذلك سوف يموتون جوعا . ناقش إمكان الحصول على عمل منتظم ما بين التاسعة صباحا والخامسة مساء . لكن مكتبه المكتظ بالأوراق دليل ناطق بعدم أهليته للأعمال المكتبية . ربما يبيع نصيبه إلى "رايلي" ويقضي وقته متسكعا بين أحواض الأزهار مع "بوبر سميث" بينما تذهب "نوويل" إلى عملها وتعود بالطعام . لكن ذلك غير مقبول .

قاطع أفكاره قرع خفيف بالباب . فتحه فرأى "رايلي" واقفا أمامه .

- " هاي . أخي الكبير ! " قال مازحا " لاتبدو ذلك البطل الفائز." جلس "برودي" ثانية .

- " ولا أشعر كذلك أيضا ".

- " لقد شاهدتك تتسلل تاركا حفل "ليهمان" وكنت أخشى ألا يكون لديك الوقت لتتحدث معي . "

- " بالتأكيد يا "رايلي" لدي الوقت دائما لأتحدث معك ".

فجلس "رايلي" على الفراش الآخر .

- " أعلم ذلك فهذه إحدى مشكلاتك الرئيسية . عندما اتصلت بك هاتفيا من السجن ذلك اليوم لماذا لم تقل لي أن أذهب إلى الجحيم ؟ لماذا لم تحاول أن تتخلص مني أو حتى توبخني ؟ "

أما "برودي" وقد كان مشغولا بأفكاره في شؤونه الخاصة . فقد نظر اليه وقال بحدة :

- " فيم تتحدث ؟ "

- " عندما حضرت إليّ لم تنطق بكلمة واحدة . نظفت قاذوراتي وسددت فواتيري وأخذتني معك على الطائرة . لم تصرخ في وجهي ولم تلعنّي ، ولم تقل لي : إنني شوكة تافهة في جسدك ".

- " لم أستطع ذلك . هذا ما كان يمكن أن يفعله "جو" . "

ولم يكن "برودي" مثل "جو" . ولن يكون أبدا .

- " لا يا "برودي" " قال "رايلي" فهذا ما كنت أستحقه . إذا لم تعرف ، فأنا بالفعل شوكة في جسدك . كما أني مفرط في تعاطي تلك المشروبات ".

- " أنت تشربها . نعم " قال "برودي" مقاطعا "ولكنك لست معتاد الإفراط في تناولها . "جو" كان كذلك . "

- " وأنا أسير على خطاه . كانت "دارسي ديورانت" أفضل حدث في حياتي على الإطلاق ، ولكنها لن تتحدث إليّ ثانية ، هل تريد أن تعلم لماذا ؟ "

- " هل تريد أن تخبرني ؟ " كان "برودي" حريصا على ألا يثقل في طلب معرفة الدوافع إلى اختفاء "رايلي" المفاجيء الذي ترتب عليه سجنه . كان يعتقد أنه إذا لم يتحدثا عنه لن يحدث ثانية .

- " الله هو الذي يعلم لماذا . لكن "دارسي" قد أحبتني . وأنا أعلم أني أحبها أيضا . قالت لي : إنني أستهين بحياتي وأدمرها . طلبت مني أن أتزوجها . وأنها سوف تساعدني على الاستقامة . وأنها تعلم كل شيء عن ذلك ، لأن أباها

كان ضحية تلك المشروبات . كانت على استعداد لأن تضحي بأي شيء من أجلي."

- " إذن ماذا كنت تفعل في ذلك المكان في "ساند سبرنجز" أوكلاهوما ؟ "

- " مختبئا .. من "دارسي" ومن نفسي ومنك . كنت أشعر أنني لا أزال أختبئ من "جو" . "

- " "رايلي" ... "

- " لا يا "برودي" أصغ إليّ . ما سوف أقوله ذو أهمية لك . أنا أعلم كم سببت لك المتاعب ، وكما سببتها لـ "دوب" و"روبي" ولطفلي "كاندي" ولـ "دارسي" . بالجحيم . كنت موشكا أن أتخذ من عملية إيذاء الناس مهنة لي . لكن كل ذلك سوف يتبدل نهائيا واعتبارا من الآن . "

- " وكيف ؟ "

- " لقد رتبت موعدا لي مع مركز التأهيل في "دالاس" سأرحل صباح غد . سأفقد اتصالي بكم لفترة محدودة . وعندما أعود ستكون فخورا بي . "

عانق "برودي" أخاه . تذكر جميع الأوقات التي جعل فيها مشكلات "رايلي" متاعبه الشخصية . جميع الأوقات التي وقف فيها بين "رايلي" والعالم . لن يكون هناك المزيد منها . "رايلي" الآن على استعداد لأن يقف على قدميه .

- " إني فخور بك بالفعل يا أخي الصغير . وكنت هكذا دائما . "

ولم يحاول "برودي" أن يكبت المشاعر القوية التي احتوته . إن امتلأت عيناه بالدموع فليدعها .

- " والآن . وقد جعلتك في هذه الحالة المعنوية الطيبة ، هناك معروف كبير أريد أن أطلبه منك . "

- " اطلب . فأنت أقدر على استغلال عواطفي . "

- " هل تذكر السباق السادس اليوم ؟ السباق الذي كانت جائزته ألفين وخمسمائة دولار ؟ "

- " نعم . ماذا عنه ؟ "

- " لقد اشتريت الفرس الفائز بالجائزة واسمه "افتداء المتمرد" . اسم جيد للفرس سوف يفتدي صاحبه . أليس كذلك ؟ أكون شاكرا لو أعدته إلى

"سيمارون" نيابة عني وبدأت تدريبه أثناء غيابي . أعلم أني أطلب منك الكثير . ولكنني أزمع أن تشاركني إياه بمقدار النصف . "

- " لادعي لذلك . " استطلع "برودي" من نبرة الاقتناع التي في صوت أخيه ومن نظرة الثقة التي في عينيه أن هذا الفرس هو المشروع الذي سوف يستعيد به "رايلي" احترامه لذاته .

- " لقد فات الأوان . وضعت اسمك على الأوراق فعلا . "

ابتسم "برودي" فقال "رايلي" : "لم ينته الحديث بعد . هناك شيء آخر . "

- " هذا ما كنت أخشاه . "

- " عد يا أخي وابذل كل ما في وسعك لتستعيد "نوويل" إنها امرأة فاضلة . كلاكما بحاجة إلى الآخر . أخبرها بأنه بمجرد أن أنتهي من إجراءات محو تلك الفعلة ، سأقوم بالنصيب الأكبر من السفر . أخبرها بأني سأعود ثانية لأحمل نصيبي من العمل . "

عانق "برودي" أخاه . كان يبتسم . بدأ يخطط بالفعل ويرتب الكلمات التي يسترضي بها "نوويل" .

- " "برودي" ! إذا تحدثت مع "دارسي" فأخبرها بأني لن أتخلى عنها . اطلب منها ألا تتخلى عني . حاولت الاتصال بها فأخبرني أخوها بأنها قد رحلت إلى "ناشفيل" الأسبوع الماضي . رفض إعطائي رقم هاتفها هناك . لا ألومه فالصورة التي كنت عليها آخر مرة رآني فيها لا تشجعني أنا على أن أعطي أو أطلب رقم هاتفها . "

- " أنا آسف بشأن "دارسي" . "

- " وأنا أيضا . فمن أجلها وجدت القوة أخيرا لأعمل على تصحيح الأوضاع بمجرد أن أفي بوعدي لك سوف أصلح أموري معها . وسوف أستعيدها . "

- " اعتن بنفسك . هذا كل ما أطلبه منك . وما يجب أن تفعله من أجلي . "

دق "برودي" جرس الباب بمنزل "نوويل" رغم أن سيارتها الصغيرة لم تكن هناك . جاء من المطار رأسا إليها . لم يرغب في أن يغامر ويتصل بها هاتفيا . قد لاتصغي إليه . ربما استمعت إليه لوجاهها بشخصه .

- " هل تطلب "نوويل" سألت "مسز سترلنج" بينما كانت تروي شجيرات الأزهار

www.elromancia.com

بالمنزل المجاور .

– " نعم . لقد عدت حالا وكنت أرجو اللحاق بها ."

كانت لديها كل المعلومات .

– " لقد خرجت حالا . ذهبت مع الطفلين إلى حديقة الحيوان منذ دقائق قليلة ."

لمس "برودي" قبعته في أدب وشكرها ومضى . قاد شاحنته صوب حديقة الحيوان بأقصى سرعة ممكنة .

كان "داستي" و"داني" يستمتعان بمشاهدة الغوريلات كالمعتاد . لم تستطع "نوويل" الابتسام وهي تراقب حركاتها فقد تذكرت آخر مرة كانت هناك . يوم التقت بـ "برودي" . لم تكن راغبة في أن تأتي هذه المرة . إلا أن شدة توسلات الطفلين وحسن سلوكهما دفعاها إلى ألا تضن عليهما بهذه المتعة الجميلة .

كانت "نوويل" قد حاولت الاتصال بـ "برودي" في الموتيل الذي يقيم به عادة لدي وجوده في "رويدوسو" . أخبرها المسؤولون بأنه لم يتصل بالمنزل . شعرت بالضياع إذ لم تعرف أين كان .

وإذ أحست "نوويل" بأن شخصا ما كان يراقبها رفعت بصرها إلى أعلى فرأت "برودي" واقفا على قيد عدة أقدام منها ، قبعته في يده وعيناه تفيضان بالأمل ، وعلامات الاستفهام تبحثان عن عينيها . أغمضت عينيها قليلا شاكرة الله على أن أعاده ثانية إليها ثم فتحتهما وشعرت كأن أسبوعا من الآلام المبرحة قد سقط عنها حالا . اتخذت أولى الخطوات نحوه ففتح لها ذراعيه مرحبا .

ورآه "داستي" و"داني" . قفزا الى أعلى وإلى أسفل وهما يرددان اسمه ويعانقان ساقيه .

– " "برودي" ! أنا آسفة " قالت ذلك في نفس اللحظة التي كان يقول لها فيها :

– " "نوويل" أنا آسف ".

– " لا ." اعترضت "لم يكن يجب أبدا أن ... "

– " لا تقولي أبدا " قال قبل أن يقبض علي شفتيها بشفتيه . كانت قبلته إعلانا عاجلا لمشاعره . وتركت نفسها تضيع في سحره الخاص .

– " أهنئك على فوز "أحاسيس الليل" ، أنا سعيدة جدا بهذا النجاح ."

– " لقد ربحت ما يفوق سباقا في "رويدوسو" بكثير . سأخبرك بكل ذلك فيما بعد . لكني الآن أود أن أعلم ما إذا كان يمكنك أن تغفري لي ."

– " أغفر ماذا ؟ "

– " إخلالي بوعدي . لقد وافقت على ألا أتصل بك هاتفيا أو أراك . لم يمكنني الاحتمال . قد يكون الحب مغامرة خطرة بعيدة المنال يا "نوويل" إلا أنه أفضل من عدم المغامرة على الإطلاق ".

– " المغامرات الخطرة قد تعود بالربح الوفير " قالت مذكرة إياه بقبلة دافئة قبل أن تتدخل أصوات التوسين الفرحة .

– " آه هيك "برودي" ! كفى تقبيلا لأمي وأخبرنا بما أحضرت لنا هذه المرة " قال "داستي" عابسا .

– " هذه المرة أحضرت شيئا لـ "ماما" فقط " بحث في جيبه وأخرج علبة مجوهرات مكسوة بالقطيفة السوداء . "لقد رأيت أن أحضر هذا معي . قلت إنه لو وافقت على الزواج مني فسأضعه في إصبعك فورا قبل أن تغيري رأيك ."

وأخرج الخاتم الماسي المتقن الصنع من علبته وأمسك به في عصبية .

– " أحبك يا "نوويل" وقد افتقدتك جدا هذا الأسبوع . سأبذل كل ما بوسعي كي أكون الرجل الذي تريدينني أن أكونه ".

أخذت وجهه برقة بين يديها .

– " أنت ذلك الرجل بالفعل . يا راعي البقر . وقد كنته دائما . أنا التي كنت عمياء ، فلم أدرك ذلك . إني أحبك ."

– " إذن قد تبدو هذه المغامرة الخطرة ، وكأنها شيء واقعي ؟ "

وأزاحت عن جفنيها الدموع .. دموع السعادة هذه المرة .

– " أراهن على ذلك ."

– " لن يكون الأمر سهلا ولكننا فريق ظريف . اصبري وسوف ترين . سأكون نعم الزوج ، ونعم الوالد . سأبقى بالمنزل مدة أطول ، ولن أعمل بهذا القدر . وعندما أسافر عليك أن تتأكدي أنني لابد عائد إليك دائما و ... "

– " "برودي" " قالت مقاطعة إياه بابتسامة مثيرة "هل أنت واثق من أنك لا تحاول فقط الحصول على من يقوم بإجراء قيودك الدفترية ؟ "

- " لست بحاجة إلى من يقوم بإمساك دفاتري ، ولكني بحاجة شديدة إلى المرأة التي أحبها . "

- " وأنا تلك المرأة ؟ " سألت لاهثة .

- " الوحيدة دائما أبدا . "

لم تعر أي اهتمام لذلك الجمع من الغرباء زوار الحديقة الذي وقف يشاهد هذا المنظر الشاعري ويصغي إلى تلك العبارات الرقيقة . قبلته بحرارة ، ذلك الحب الذي لن يسعه إلا أن ينمو ويقوى على مر السنين .

- " إذاً هل توافقين ؟ أعني على الزواج مني ؟ "

- " قولي نعم يا أمي . " صرخ الطفلان " قولي نعم . "

- " نعم يا "برودي" . سأتزوجك " .

- " ي ي ي ب ي ي ي " هتف "برودي" والطفلان .

" السبب في أني كنت أعمل تلك الساعات الطويلة ، " قال مفسرا " هو أن حياتي كانت خاوية تماما . أنت والطفلان أعز ما لدي وستكونون دائما في مقدمة اهتماماتي . قبل كل شيء آخر . وجميع مشكلاتنا سوف نحلها معا لأن حبنا يفوقها قوة وتماسكا . " ثم أضاف في خشوع :

- " أعدك " .

قبل "برودي" "نوويل" مرة أخرى مصدقا على ذلك العهد . أمسكا بطفليها الصغيرين بينهما . وإذ مضيا كانا يفكران في البيت الذي سوف يضمهم فأدركهما وعد آخر : عمر في حلقة الفائزين .

(تمت)